42

المُطَالَعَة

لِلصّفّ الأوّل الثّانوى

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
العامة للأبحاث والمناهج والمواد التعليمية

الطبعة الثالثة

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

يوزّع مجّانًا ولا يباع

Marfat.com

Marfat.com

ـكة العربية السعودية
وزارة المعارف
ة العامة للأبحاث والمناهج والمواد التعليمية

قرّرت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

2072

المطالعة

للصّف الأوّل الثّانوى

تأليف

الدكتور حسن شاذلي فرهود — والدكتور شكري عيّاد — والدكتور رمضان عبد التوّاب
والدكتور محمّد قدري لطفي — والدكتور محمّد حامد الأفندي — وأحمد فرح عقيلان
وعبد اللّه بن إدريس

الطبعة الثالثه — ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م — يوزّع مجّانًا ولا يباع

Marfat.com

60129

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على نبيه الأمين . وعلى آله وصحبه الأكرمين وبعد .

فهذا كتاب « القراءة المختارة » لطلاب الصف الأول الثانوي . استودعناه فنوناً شتى من المعرفة . وألواناً مختلفة من روائع الكلم . فَضَمَّنّاهُ طائفة من آيات الله العظيم . وأحاديث رسوله الكريم . لتكون موجهة لهم وجهة الإسلام الحنيف . وهادية لهم إلى الصراط المستقيم .

وقد حرصنا على أن نأتي فيه بموضوعات متعددة . تتسم بالتنويع الذي يلائم اختلاف الأذواق . وبالشمول الثقافي الذي يتناول جوانب شتى من المعرفة . فمنها موضوعات تاريخية تبين أمجاد الإسلام . وتصف معاركه وفتوحه في سبيل نشر الدعوة وإعلاء كلمة الحق . وتوضح البطولات العربية وأيامها الخالدة .

ومنها موضوعات أدبية تشتمل على نماذج من الشعر والنثر لتنمي الميول الأدبية في الطلاب . وتقفهم على تراثهم الأدبي المجيد . وعلى الإنتاج الأدبي الحديث . وتمدهم بالأساليب الرفيعة والتعبيرات الراقية .

ومنها موضوعات علمية تطلعهم على ما جدّ في العلم من تطور . وما في الكون من قدرة الله وإحكام خلقه . وما كان لأجدادهم العرب من إسهام فعّال في الحقل العلمي . ومن سَبْقٍ مبكر إلى الكثير من الكشوف العلمية والوافر من المؤلفات القيمة في مجالات الطب والعلوم .

ومنها تراجم لبعض المشاهير من رجال العرب والمسلمين ونسائهم . تمد الطلاب بصورة مشرفة من البطولات والتضحيات والجهاد في سبيل الله .

ومنها موضوعات تتحدث عن جزيرتهم العربية ووطنهم السعودي بماضيه العريق . وحضارته الأصيلة . ووثباته السريعة الواسعة في ميادين التقدم والازدهار والعمران

Marfat.com

والاقتصاد والثقافة وغيرها . وما يعقده هذا الوطن من آمال عريضة . وما ينتظره من نهضة شاملة .

ومنها موضوعات تقف الطلاب على طرف من أبناء العالم الإسلامي وطاقاته . ومدى ما وصل إليه جهاده في سبيل البناء والتفوق والازدهار .

ومن موضوعات هذا الكتاب ما يتصل بتوجيه الشباب في ميادين الدرس والعمل . وما يتناول بعض القضايا العربية والإسلامية وعلى الأخص قضية فلسطين وشعبها ومقدسات المسلمين فيها . وما يتصل بالنواحي الإنسانية المختلفة .

ولم تخل موضوعات الكتاب من الفكاهات والطرائف الأدبية . ومن القصص الهادفة الشائقة . ترويحاً عن أذهان الطلاب . وتحبيباً لهم في القراءة . وتوعية ببعض النواحي المرحة في ثقافة العرب وتراثهم الأدبي .

وفي كل موضوع من هذه الموضوعات . حرصنا على إمداد الطلاب بالأساليب التعبيرية المختلفة . والمواد الفكرية المتباينة . والثروة اللغوية المختارة .

وقد أسهبنا في قليل من الموضوعات لندرب الطلاب على القراءة الطويلة المتصلة . وهي مهارة لا غنى للطالب عن اكتسابها والانتفاع بها في قراءة المقالات والموضوعات والفصول والكتب .

وعنينا بتجنيب الطلاب الوقوع في الخطأ . فضبطنا الآيات القرآنية الكريمة ضبطاً كاملاً بالشكل وكذلك ما يحتاج إلى ذلك الضبط من النصوص الأدبية شعرها ونثرها وخصصنا بعض الموضوعات — وبخاصة العلمية منها — بالقليل من الشكل لتدريب الطلاب على قراءتها غير مشكولة تعويداً لهم على قراءة ما سيقابلهم في الحياة من المواد القرائية التي لم تجر العادة بضبطها .

وشرحنا في هوامش الكتاب ما رأينا حاجة الى شرحه من الألفاظ . وتخطينا الكلمات التي يستطيع الطلاب فهم معناها من السياق . أو التي ألفوها من قبل في دراساتهم ومطالعاتهم .

وذيلنا كل موضوع بمناقشة تختبر الطلاب فيما قرأوه . وتستحضر ما اشتمل عليه من الأفكار الرئيسية والمعلومات الجانبية .

والله نسأل أن يجعل هذا الكتاب محققاً لما أردناه . وأن يمهد به للنشء في المملكة العربية السعودية . وفي سائر البلاد العربية سبيل الهداية الإسلامية . والثقافة الواسعة إنه خير مسئول . وبه التوفيق والسداد .

المؤلفون

Marfat.com

آياتٌ لأُولى الأَلبَابْ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١) (٢) (٣) ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِهِمْ (٤) وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا (٥) سُبْحَانَكَ (٦) فَقِنَا (٧) عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا
إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ (٨) وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا (٩) يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ
فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا (١٠) وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١١) ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا (١٢) مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ (١٣) وَلَا
تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٤) ﴿١٩٥﴾ ﴾

(سورة آل عمران من آية ١٩٠ — ١٩٥)

---

(١) اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان وتعاقبهما . (٢) أدلة . (٣) أصحاب العقول .
(٤) في كل أحوالهم من قيام وقعود ورقاد . (٥) عبثاً ولعبا . (٦) تنزيهاً لك عن أي وصف لا يليق بعظمتك . (٧) احفظنا . (٨) أصبته بالإهانة والفضيحة . (٩) هو النبي صلى الله عليه وسلم .
(١٠) أخطاءنا . (١١) الصالحين . (١٢) أعطنا . (١٣) على ألسنة رسلك . (١٤) الجزاء .

Marfat.com

مناقشة الآيات :

(١) حص الله بعض الناس بإدراك ما في خلقه من أدلة وعبر . من هم ؟ ولم خصهم بذلك الإدراك ؟

(٢) في الآيات ما يدل على أن الله تعالى خلق الكون لحكمة يقصدها . .بيّن موضع ذلك

(٣) دعانا الله تعالى الى التفكير والتأمل فيما خلق ، أين هذه الدعوة في الآيات ؟ ولم دعا الله تعالى إليها ؟

(٤) في الآيات مساواة بين الجنسين عند الله . أين تلك المساواة ؟ وفيم جعلها الله ؟

(٥) يأمرنا الله تعالى في هذه الآيات بالجد والعمل . اذكر موضع هذا الأمر .

(٦) « فقنا عذاب النار » في هذه الجملة فعل ، بيّنه ، وهات النوعين الآخرين منه .

Marfat.com

مِن أَدَبِ المخَاطَبة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ۝١ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَرْفَعُوْٓا اَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوْا لَهٗ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَنْ تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ ۝٢ اِنَّ الَّذِيْنَ يَغُضُّوْنَ
اَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوٰى لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّاَجْرٌ عَظِيْمٌ ۝٣ اِنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ
مِنْ وَّرَآءِ الْحُجُرٰتِ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ ۝٤ وَلَوْ اَنَّهُمْ صَبَرُوْا حَتّٰى تَخْرُجَ اِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝٥
يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاٍ فَتَبَيَّنُوْٓا اَنْ تُصِيْبُوْا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوْا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نٰدِمِيْنَ ۝٦ وَاعْلَمُوْٓا
اَنَّ فِيْكُمْ رَسُوْلَ اللّٰهِ لَوْ يُطِيْعُكُمْ فِيْ كَثِيْرٍ مِّنَ الْاَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ اِلَيْكُمُ الْاِيْمَانَ وَزَيَّنَهٗ فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَكَرَّهَ اِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوْقَ وَالْعِصْيَانَ
اُولٰٓئِكَ هُمُ الرَّاشِدُوْنَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ اللّٰهِ وَنِعْمَةً وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ۝٨ وَاِنْ طَآئِفَتٰنِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا فَاَصْلِحُوْا
بَيْنَهُمَا فَاِنْۢ بَغَتْ اِحْدٰىهُمَا عَلَى الْاُخْرٰى فَقَاتِلُوا الَّتِيْ تَبْغِيْ حَتّٰى تَفِيْٓءَ اِلٰٓى اَمْرِ اللّٰهِ فَاِنْ فَآءَتْ فَاَصْلِحُوْا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَاَقْسِطُوْا اِنَّ اللّٰهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ ۝٩ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ اِخْوَةٌ فَاَصْلِحُوْا بَيْنَ اَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ۝١٠ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ
مِّنْ قَوْمٍ عَسٰٓى اَنْ يَّكُوْنُوْا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّنْ نِّسَآءٍ عَسٰٓى اَنْ يَّكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوْٓا اَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوْا بِالْاَلْقَابِ
بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوْقُ بَعْدَ الْاِيْمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝١١ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِّنَ الظَّنِّ اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ
اِثْمٌ وَّلَا تَجَسَّسُوْا وَلَا يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضًا اَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ اَنْ يَّاْكُلَ لَحْمَ اَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ
رَّحِيْمٌ ۝١٢ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّاُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰكُمْ
اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ ۝١٣ ﴾

(سورة الحجرات من آية ١ — ١٣)

Marfat.com

مناقشة الآيات :

(١) بم وصف الله تعالى الذين يخفضون أصواتهم عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وما الحكمة في هذا الأمر ؟

(٢) أمرنا الله بالتثبت من الأخبار . أين هذا الأمر في الآيات ؟ ولماذا أمرنا الله تعالى بذلك ؟

(٣) بيّن الله في هذه الآيات ما يجب عمله اذا اختلفت جماعتان من المسلمين . اذكر خطوات هذا العمل.

(٤) في هذه الآيات دعوة من الله الى التآخي بين المؤمنين . ما الآيات الدالة على ذلك ؟ وما فوائد هذا التآخي ؟

(٥) تدل الآيات على أن الناس متساوون مهما تختلف أجناسهم وأوطانهم . اذكر الآيات الدالة على ذلك . وبيّن أساس التفريق بين الناس في نظر الإسلام .

(٦) « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ » . ما المقصود بالاستفهام في هذه الآية ؟.

---

(١) كونوا تبعاً لله في كل شيء .
(٢) لا ترفعوا أصواتكم عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم .
(٣) تبطل . (٤) يخفضون . (٥) درب قلوبهم على الثبات والتقوى وخشية الله .
(٦) بيوت نساء النبى صلى الله عليه وسلم . (٧) عاص . (٨) بخبر . (٩) تأكدوا من حقيقة الخبر .
(١٠) وأنتم جاهلون بالحقيقة . (١١) بينكم . (١٢) في كل ما تريدونه . (١٣) لهلكتم .
(١٤) أي إلى بعضكم . (١٥) السائرون في طريق الرشاد والصواب . (١٦) جماعتان .
(١٧) أزيلوا ما بينهم من خلاف . (١٨) اعتدت . (١٩) ترجع . (٢٠) أي إلى الحق .
(٢١) اعداوا . (٢٢) يهزأ . (٢٢) اللمز الطعن وذكر العيوب أي لا تعيبوا فتعابوا أي لا يعب بعضكم بعضاً . (٢٤) لا يدع بعضكم بعضاً بألقاب سيئة لا يحب سماعها . (٢٥) العصيان .
(٢٦) الاتهام في غير موضعه . (٢٧) ذنب . (٢٨) لا يتتبع بعضكم معايب بعض .
(٢٩) لا يذكر أحدكم غيره بالسوء في غيابه . (٣٠) أي أن الذي يغتاب غيره فكأنه يأكل لحمه وهو ميت . (٣١) أي أن الغيبة عمل مكروه . (٣٢) من آدم وحواء . (٣٣) ليعرف بعضكم نسب بعض .

Marfat.com

الحَذر مِن الأَعْدَاء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا (١) حِذْرَكُمْ (٢) فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ (٣) أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ (٤) فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ (٥) قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ (٦) مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧) (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ (٨) فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) فَلْيُقَاتِلْ (٩) فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ (١٠) فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ (١١) فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ (١٢) وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ (١٣) نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ (سورة النساء : من آية ٧١ – ٧٦) .

مناقشة الآيات :

(١) وضحت الآيات للمؤمنين كيف يحترسون ويأخذون حذرهم . بيّن ذلك .

(٢) بم وصف الله حال المنافقين والمتخلفين عن الجهاد؟

(٣) ماذا يستفيد العرب والمسلمون من هذه الآيات في ظروفنا الحالية مع الأعداء؟

(٤) ما المقصود بالاستفهام في قوله تعالى « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ؟ »

(٥) القرية الظالم أهلها : ما المقصود بها في هذه الآيات ؟ ولم وصف أهلها بالظلم في تلك الأيام ؟

---

(١) احترسوا . (٢) ثبات جمع ثبة الجماعة من الرجال يزيدون على عشرة . (٣) مجتمعين .
(٤) يبطئ ويتخلف عن الجهاد في سبيل الله . (٥) هزيمة أو قتل . (٦) على المبطئ المتخلف .
(٧) حاضرا . (٨) انتصار أو غنيمة . (٩) أي يبيعون الدنيا في سبيل الآخرة . (١٠) الضعفاء الذين يقعون في الأسر . (١١) مكة . (١٢) عندك . (١٣) والياً يرعى مصالحنا ويقودنا الى النصر .

Marfat.com

قُدْرَةُ اللهِ وَنِعْمَتُه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) ﴾

(سورة النحل : من آية ٧٧ – ٨٣)

مناقشة الآيات :

(١) بم شبه الله تعالى قيام الساعة ؟ وعلام يدل ذلك ؟

(٢) في هذه الآيات الكريمة دلائل متعددة على قدرة الخالق . وضحها .

(٣) بيّن الله تعالى فوائد الأنعام ومزاياها . وضح ذلك من الآيات .

(٤) لم خص الله تعالى الأنعام بالذكر في هذه الآيات ؟

(٥) ما علامة الكافرين في هذه الآيات ؟

(٦) ما السرابيل التي خلقها الله للإنسان في هذه الآيات ؟ وما فائدتها ؟

(٧) أوضح الله تعالى لنبيّه الكريم موقفه ممن يتولى عن الإيمان بخالقه . أين هذا من الآيات الكريمة ؟

Marfat.com

قِصَّةُ سُلَيمَان

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

(١)

﴿ وَلَقَدْ اٰتَيْنَا دَاوٗدَ وَسُلَيْمٰنَ عِلْمًا ۚ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ فَضَّلَنَا عَلٰى كَثِيْرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوٗدَ
(٥) (٤) (٣) (٢)
وَقَالَ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَاُوْتِيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۭ اِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِيْنُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمٰنَ جُنُوْدُهٗ
(٧) (٦)
مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوْزَعُوْنَ ﴿١٧﴾ حَتّٰٓى اِذَآ اَتَوْا عَلٰي وَادِ النَّمْلِ ۙ قَالَتْ نَمْلَةٌ يّٰٓاَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوْا مَسٰكِنَكُمْ ۚ
(٩) (٨)
لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُوْدُهٗ ۙ وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ اَوْزِعْنِيْٓ اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيْٓ
(١٠)
اَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلٰي وَالِدَيَّ وَاَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰىهُ وَاَدْخِلْنِيْ بِرَحْمَتِكَ فِيْ عِبَادِكَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ
(١٢) (١١)
مَالِيَ لَآ اَرَى الْهُدْهُدَ اَمْ كَانَ مِنَ الْغَاۗىِٕبِيْنَ ﴿٢٠﴾ لَاُعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيْدًا اَوْ لَاَاْذْبَحَنَّهٗٓ اَوْ لَيَاْتِيَنِّيْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ﴿٢١﴾
(١٧) (١٦) (١٥) (١٤) (١٣)
فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيْدٍ فَقَالَ اَحَطْتُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ وَجِئْتُكَ
(٢٠) (١٩) (١٨)
مِنْ سَبَاٍ بِنَبَاٍ يَّقِيْنٍ ﴿٢٢﴾ اِنِّيْ وَجَدْتُّ امْرَاَةً تَمْلِكُهُمْ وَاُوْتِيَتْ
(٢١)
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَّلَهَا عَرْشٌ عَظِيْمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُوْنَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ اَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
(٢٢)
عَنِ السَّبِيْلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُوْنَ ۙ ﴿٢٤﴾ اَلَّا يَسْجُدُوْا لِلّٰهِ الَّذِيْ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ
(٢٣)
﴿٢٥﴾ اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ۭ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ اَصَدَقْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ ﴿٢٧﴾ اِذْهَبْ بِّكِتٰبِيْ هٰذَا
(٢٤)
فَاَلْقِهْ اِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُوْنَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يٰٓاَيُّهَا الْمَلَؤُا اِنِّيْٓ اُلْقِيَ اِلَيَّ كِتٰبٌ كَرِيْمٌ ﴿٢٩﴾ اِنَّهٗ مِنْ سُلَيْمٰنَ
(٢٦) (٢٥)
وَاِنَّهٗ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۙ ﴿٣٠﴾ اَلَّا تَعْلُوْا عَلَيَّ وَاْتُوْنِيْ مُسْلِمِيْنَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يٰٓاَيُّهَا الْمَلَؤُا اَفْتُوْنِيْ فِيْٓ اَمْرِيْ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً
(٢٧)
اَمْرًا حَتّٰى تَشْهَدُوْنِ ﴿٣٢﴾ قَالُوْا نَحْنُ اُولُوْا قُوَّةٍ وَّاُولُوْا بَاْسٍ شَدِيْدٍ ۙ وَّالْاَمْرُ اِلَيْكِ فَانْظُرِيْ مَاذَا تَاْمُرِيْنَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ
(٢٨)
اِنَّ الْمُلُوْكَ اِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً اَفْسَدُوْهَا وَجَعَلُوْٓا اَعِزَّةَ اَهْلِهَآ اَذِلَّةً ۚ وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٣٤﴾ وَاِنِّيْ مُرْسِلَةٌ اِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
(٢٩)
فَنٰظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاۗءَ سُلَيْمٰنَ قَالَ اَتُمِدُّوْنَنِ بِمَالٍ فَمَآ اٰتٰىنِيَ اللّٰهُ خَيْرٌ مِّمَّآ اٰتٰىكُمْ ۭ بَلْ اَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ
(٣٢) (٣١) (٣٠)

Marfat.com

(٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦)
تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا
(٣٧) (٣٨)
أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ
(٣٩)
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
(٤٠) (٤١)
قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾
(٤٢) (٤٣)
قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ
وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا
(٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨)
ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ
(٤٩) (٥٠)
نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة النمل : من آية ١٥ — ٤٤)

---

(١) ورثه في الملك والنبوة . (٢) كلام الطير ولغته . (٣) أعطانا الله من كل شيء يحتاج إليه الملك .
(٤) الظاهر . (٥) جمع لسليمان . (٦) يكف أولهم على آخرهم حتى لا يتقدم أحد عن منزلته ومرتبته .
(٧) أي مر سليمان وجنوده على وادي النمل . (٨) ألهمني . (٩) نعمة معرفة لغة الطير والحيوان .
(١٠) طلبها . (١١) بعذر . (١٢) واضح . (١٣) غاب زمناً قليلا . (١٤) اطلعت على ما لم تطلع عليه . (١٥) ملوك اليمن أو أهلها . (١٦) صادق حق . (١٧) ملكة عليهم هي بلقيس .
(١٨) لديها كل شيء مما يحتاج إليه الملوك . (١٩) سرير . (٢٠) متعهم . (٢١) سبيل الحق وطريقه .
(٢٢) ما هو مخبأ في الأرض والسماء . (٢٣) انصرف . (٢٤) الجماعة . (٢٥) تتكبروا .
(٢٦) طائعين . (٢٧) تحضروني . (٢٨) أصحاب . (٢٩) خربوها .
(٣٠) بأي جواب يعودون . (٣١) أتعطونني مالا لأتركـكم ؟ . (٣٢) أعطاني من ملك ومال وجنود.
(٣٣) أنتم الذين تسرون بالهديا وتنقادون لها . (٣٤) لا مقدرة لهم على قتالها . (٣٥) من بلدهم .
(٣٦) أذلة مهانون . (٣٧) مجلسك . (٣٨) على حمله . (٣٩) بصرك .
(٤٠) ليختبرني . (٤١) غنى عن الشكر . (٤٢) غيروه (٤٣) أتعرفـه .
(٤٤) القصر الذي أمر سليمان ببنائه لبلقيس من زجاج يجري تحته الماء . (٤٥) ماء .
(٤٦) حتى تستطيع أن تخوض الماء . (٤٧) مبنى بناء أملس . (٤٨) زجاج .
(٤٩) ظلمت نفسي بما كنت فيه من كفر وشرك . (٥٠) اتبعت دين سليمان الذي يعبد الله وحده .

Marfat.com

مناقشة الآيات :

(١) اشتملت الآيات على نعم كثيرة أنعم الله بها على سليمان . بينها

(٢) ما المفاجأة التي أتى بها الهدهد ؟

(٣) كانت بلقيس تأخذ بمبدأ الشورى بينها وبين من تحكمهم . ما الآيات التي تدل على ذلك ؟

(٤) ماذا كانت تقصد بلقيس بهديتها لسليمان ؟

(٥) كيف قابل سليمان هذه الهدية ؟

(٦) في الآيات منافسة على إحضار عرش بلقيس في أسرع وقت . عيّن مكانها في الآيات .

(٧) ماذا يقصد سليمان بالضمير « هذا » في قوله : « هذا من فضل ربي . »

(٨) ما معنى قول بلقيس إنها ظلمت نفسها ؟

Marfat.com

مِن هَدْيِ الحَدِيث الشّريف

(١)

قال صلى الله عليه وسلم :

« بينما رجلٌ يمشي بطريق اشتدّ عليه العطشُ فوجد بئراً . فنزل فيها فشرب . ثم خرج ، فإذا كلبٌ يَلْهَثُ[١] يأكل الثَّرَى[٢] من العطش .

فقال الرجل : لقد بَلَغ هذا مِثلَ الذي بَلَغَ بي . فنزل البئر ، فَمَلأَ خُفَّهُ ماءً . ثم أمْسَكَه بِفِيه حتّى رَقِيَ[٣] ، فسقى الكلبَ . فشكر اللهُ له .

قالوا : يا رسولَ الله ، وإنّ لنا في البهائم لأَجْراً ؟

فقال : في كلّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ[٤] أَجْر . »

مناقشة الحديث :

(١) ما معنى قول الرجل : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ؟ وعلامَ يعود اسم الإشارة ؟

(٢) ما معنى : في البهائم ؟

(٣) ما الذي أفادته كلمة « رطبة » في الحديث ؟

(٤) ماذا في هذا الحديث الشريف من توجيه إسلاميّ ؟

---

(١) يخرج لسانه من شدة العطش .

(٢) التراب الندي .

(٣) خرج من البئر .

(٤) أي كل حيوان .

Marfat.com

(٢)

من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ا) « إنما الأعمال[1] بالنيّات ، وإنما لكل امرئ ما نَوَى . »

(ب) « ليس الإيمان بالتمنّي[2] ، ولكن ما وَقَرَ[3] في القلب وصَدَّقَه العمل »

(ج) « من حسن إسلام المرء تَرْكُهُ ما لا يَعنيه . »

(د) « لا إيمان لمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له . »

(هـ) « كُلُّ[4] المسلِم على المسلم حرام : دمُه ومالُه وعِرضُه[5] . »

مناقشة الأحاديث :

(١) متى تكون أعمال الإنسان صالحة يستحق عليها الثواب ؟ ما دليلك من الحديث (أ) ؟

(٢) ما العلاقة بين هـــذا الحديث وبين قول رسول الله الكريم : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . »

(٣) يتم إيمان المرء بشيئين . وضحهما مما جاء في الحديث (ب) .

(٤) ما المقصود بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما لا يعنيه » في الحديث (ج) ؟

(٥) أمرنا الله تعالى بأن نُعرض عن اللغو . ما علاقة هذا الأمر بما جاء في الحديث (ج) ؟

(٦) بيّن في الحديث الشريف (هـ) كيف تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم . وضّح ذلك .

---

(١) ثواب الأعمال أو صحتها . (٢) بالأقوال دون الأفعال . (٣) ثبت واستقر .

(٤) أي كل ما للمسلم . (٥) محرم العدوان عليه .

Marfat.com

الهُدَى والعِلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنّ مَثَلَ ما بَعَثَنِي الله به من الهُدَى والعلم كَمَثَلِ غَيْثٍ(١) أصاب أرضاً فكان منها طائفةٌ طيّبةٌ قَبِلَت الماءَ فأنْبتت الكلأَ(٢) والعشبَ الكثيرَ . وكان منها أجَادِب(٣) أمسَكَتِ(٤) الماءَ فَنَفَعَ الله تعالى بها الناسَ فشربوا منها وسَقَوْا وزرعوا . وأصابَ طائفةً أخرى ، إنما هي قِيعان(٥) لا تُمسِك ماءً . ولا تُنْبِت كَلأً . فذلك مَثَلُ مَنْ فَقِهَ(٦) في دين الله تعالى . ونَفَعَه ما بَعَثَنِي الله تعالى به فَعَلِمَ وعلَّمَ . ومَثَلُ مَن لم يَرفعْ بذلك رأساً . ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ بـــه . »

مناقشة الحديث :

(١) لم ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المثل ؟

(٢) بم شبه النبي صلى الله عليه وسلم الذين يعرضون عن تقبل ما جاء به من المواعظ والهدى والذين يقبلون عليها ويفيدون منها ؟

(٣) ما المقصود بهدى الله في الحديث ؟ وما دليلك على ذلك ؟

(٤) العالم حقاً هو الذي يتعلم ويعلّم غيره . أين هذا المعنى من الحديث الشريف ؟

---

(١) مطر . (٢) العشب . (٣) جمع أجدب : الأراضي المقفرة غير الخصبة .
(٤) احتفظت به . (٥) جمع قاع : الأراضي السهلة بين الجبال . (٦) صار عالماً وفاهماً .

Marfat.com

جَلالة الفيصل يَصِفُ والِدهُ العَظيم

رحمهما الله

« ليس من اليسيرِ أن أتحدَّثَ عن والدي « كملكٍ » ، لأنَّ ذلك من حَقِّ التاريخِ وَحْدَه . وربما كان غيري أقْدَرَ مني على إنصافِ رجلٍ عظيمٍ مِثْلِه، بَنَى مُلْكاً بِعِصَامِيَّتِه [1]، وحَفِظَ للعربِ تُراثاً مجيداً في البلادِ المُقَدَّسة، وأقامَ الأَمْنَ والنظامَ في بِقاعٍ كانت تَسُودُها الفَوْضَى ، ويُهَدِّدُها الخوف في طُرقِها وأَرْجائها وتتألَّف من مُقاطَعاتٍ وإماراتٍ وقبائلَ شتَّى [2] في مساحاتٍ واسعة .

غيرَ أنَّني أستطيع أن أذْكُرَ بعضَ مَزَاياه التي هَيَّأَتْ له أن يَبْنِيَ هذا المُلْك. وأن يُشَيِّدَ هذا السلطان . على الرَّغْمِ مما صادَفَه من شدائدَ وأهْوال . لم تثْنه [3] عن الوصولِ إلى غايَتِه . ولم تَصْرِفْه عن تحقيقِ أهدافِه .

وأولى هذه المزايا التي يَتَّصِف بها والدي قُوَّةُ الإيمان . فما رَأَيْتُه منذ نَشَأت قد ضَعُفَ إيمانُه بالله. أو تَخَلَّى عن ثِقَتِه بِنَصْرِ الله . ولقد أُصِيبَ في عُنْفُوان [4] صِباه بِضَيَاعِ إمارَةِ أبيه عبدِ الرحمنِ الفَيْصل ، على الرياض، وسُقُوطِها في أَيْدي مُنافِسِيه آلِ رشيد . فَرَحَل مع والده وأهلِه إلى الكويت ، ونزلوا ضيوفاً على شَيْخِها . وانْضَمُّوا إليه في محاربتِه لابنِ رشيد .

وعلى الرغمِ من هزيمتهم في عِدَّةِ مَعارِكَ فإنه ما كاد يَسْتَعِيدُ جيشَ أبيه الصغيرَ في ذلك الحين . حتى هَبَّ لاستعادةِ بلادِه، تَحْدُوه [5] قُوَّةُ إيمانِه ، وقد

---

(١) بجهده الشخصي وكفاحه . (٢) متفرقة . (٣) تقعده . (٤) ريعان . (٥) تدفعه .

يوزع مجاناً ولا يباع

Marfat.com

صَمَّمَ على الموتِ أو الفوزِ بالرياض ، حتى أعادها وأعادَ إليها مجدَ آبائِه .

وثانيةُ هذه المزايا التي يَتَّسِمُ بها جلالتُه ، قوّةُ إرادتِه وشجاعتُه التي تَبْرز في أحْرَجِ المواقفِ وأدَقِّ الظُّروف . وأذْكُرُ على سبيلِ المِثالِ أنه كان في مَوْقعةٍ تُدْعى « موقعةَ الحريق » فدارت الدّائرةُ أثناءَ القتالِ على جيشِه ، وهَمَّ الجُنُودُ بالفِرار ، فَبَرَزَ في مُقَدِّمةِ الصفوفِ مُمْتَطياً جوادَه ومُتَقَلِّداً سيفَه ونادى : « أيّها الإخوان ! مَنْ كان يُحِبُّ عبدَ العزيز فَلْيَتَقَدَّمْ ، ومن كان يُؤْثِرُ[٦] الراحةَ والعافيةَ فَلْيَذْهَبْ إلى أهلِه ، فوالله لن أَبْرَحَ هذا المكانَ حتى أَبْلُغَ النصرَ أو أموت » فَسَرَت الحماسةُ والحَمِيَّةُ في نفوسِ الجُند ، وعادوا فَشَدُّوا على أعدائِهم وكان لهم الفَوْز .

وحَدَثَ أن قبائلَ العَجَمانِ بالأَحساء ، أرادوا أن يَسْتَقِلُّوا بأعمالِهم ويَتَصَرَّفُوا وَحْدَهم في مِنْطَقَتِهِم ، فَأَبَى ذلك عليهم . وزَحَفَ بجيشِه فوقَعَتْ بينه وبينهم عِدَّةُ معارك .

وكاد في النهاية أن يَخْسَرَ المعركة ، وقد أَطْلَقَ أحدهم عليه في أثنائِها رصاصة في حِزامِه المملوءِ بالرصاصِ حَوْلَ وَسَطِه ، فانْفَجَرَتْ أربع رصاصاتٍ منها ، وشَقَّتْ بَطْنَه شَقّاً تَدَلَّت منه أَمْعاؤه . فأَسْرَع إلى رَبْطِها بِحِزامٍ آخر ، وعاد إلى ميدانِ المعركة ، وكان الجند قد ضَعُفَتْ عزيمتُهم ، وتَزَعْزَعَتْ شجاعتُهم لِما أصابَ قائدَهم ، فوقف جلالتُه وقال لهم : « أيُّها الإخوان ! لو أَنّني بَقِيت وَحدِي دُونَكم فلن أَتَقَهْقَر . وقد عَزَمْتُ على أن أُدْفَنَ هنا أو أَبْلُغَ النصر . فَمَن شاءَ أن يَبْقَى معي فَلْيَعملْ مشكوراً ، ومن شاء أن يعودَ فَلْيَرجِعْ إلى أهلِه غيرَ مَأْسُوفٍ عليه .. فأجابه الجُند : نحن معك يا عبدَالعزيز حتى الشهادة . وكان الفوزُ لهم في النهاية . ودارَتْ الدائرةُ على القبائل .

---

(٦) يفضل .

Marfat.com

وثالثةُ هذه المزايا حِكْمَتُه وأناتُه[٧] في معالَجَتِه لأمورِ دولتِه ، وهو يَتَوَخَّى حلَّ المشكلاتِ بالسِّلم أولاً ، كما أنه مُتَسامِحٌ مع خُصومِه واسعُ الصدر . لا يَدَّخِرُ وُسْعاً في استخدامِ المُرُونةِ ووسائلِ اللِّين . ولا يَلْجَأُ إلى الشِّدَّةِ حتى يَسْتَنْفِدَ هذه الوسائل .

وَأَذْكُرُ أنه لما وَقَعَ الخلافُ بينه وبين الإمامِ يَحْيى إمامِ اليمن السابق ، لَم يَتَعَجَّل الشدة . وجَعَلَ يحاولُ حَلَّ ما وقع بينهما من خلافٍ باللِّين والحلم . حتى كِدْنا نحن أبناءَه ورجالَ دولتِه أن نَرْمِيَه بالضَّعف . فلم يَعْبَأْ[٨] بنا . وسار في طريقه الى الحَدِّ الذي لا مَلامَ عنده لِلائِم . ثم اضْطُرَّ إلى السيفِ اضطراراً . وعندما تَوَسَّطَ سادةٌ من العربِ بين الملكين كان سريعاً إلى الكَفِّ عن القتال .

وقد تَمَّ بفضل سياسةِ الحكمةِ والحزمِ التي يسيرُ عليها في إدارةِ بلادِه الواسعةِ إقرارُ الأمنِ فيها على مِنْوالٍ[٩] غيرِ مَعروفٍ في أكثرِ البلادِ حَضارةً ومدنية . فاطْمَأَنَّ الناسُ على أرواحِهم وأموالِهم حتى نَدَرَ وُقوعُ الحوادثِ العادية . والفَضْلُ في ذلك إلى يَقَظَتِه الزائدةِ وأَخْذِه المجرمين بالشِّدَّة .

وأما جلالتُه كَأَبٍ . فأستطيعُ أن أقول : إنَّ كلَّ فَرْدٍ في شعبِه يعتبرُه أباً له . لما عُرِفَ عنه من عنايته بأبناءِ رَعِيَّتِه وعَطْفِه الكبيرِ وحَنانِه الواسع .

إن والدي في تَربيتِه لنا ، يجمعُ بين الرَّحمةِ والشدة ، ولا يُفَرِّق بيننا وبين أبناءِ شعبِه . وليس للعَدالةِ ميزانان يَزِن بأحَدِهما لأبنائِه . ويَزِن بالآخر لأبناءِ الشعب . فالكلُّ عنده سواءٌ والكلُّ أبناؤه . وأذكر أن أحَدَ إخْوَتي الأطفالِ اعتدى على طفلٍ آخر . فما كان من جلالتِه إلاَّ أن عاقَبَه ولم يَشْفَعْ له أنه ابنُ المَلِك .

وليس لِشفقةِ والدي وحنانِه على أبنائِه وأحفادِه حدود . فهو يَغْمُرُهم

---

(٧) حلمه . (٨) يهتم . (٩) أسلوب ، نظام .

Marfat.com

بعطفه في كلّ آن ، وهو يحبّ أن يراهم كلّ يوم ، وخاصّة صغارَهم، فيجتمعون بعد مَغْرِبِ كلّ يوم في قصرِه ، ويجلس إليهم فيُلاطِفُهم واحداً واحدا، وَيُقدّم إليهم الهدايا والحَلْوَى .

ويُحِبّ جلالتُه المُباسطةَ على المائدةِ خلالَ تَنَاولِ الطّعام . ويُمازح أبناءَه وجلساءَه ويُحادِثُهم أحاديثَ طَلِيّة لا أَثَرَ للكُلْفَةِ فيها، ويعامِلُهم معاملةَ الصديقِ للصديق .

ويُحِبُّ جلالته الانتفاعَ بالعلومِ الحديثة، ويَرَى أن نأخذَ من المدنيّة أفضلَ ما فيها . ونتركَ مساوِئَها . »

المناقشة :

(١) كيف كانت الأحوال في جزيرة العرب قبل أن يتولى الملك عبد العزيز أمورها ؟

(٢) ماذا حدث للعاهل العظيم عبد العزيز في موقعة الحريق ؟ وكيف كان موقفه من ذلك ؟

(٣) أصيب الملك عبد العزيز في لقائه مع قبائل العجمان في الاحساء إصابة بالغة. كيف حدث ذلك ؟ وكيف واجه جلالته هذا الموقف ؟

(٤) ما سياسة الملك عبد العزيز في حل ما يصادفه من مشكلات سياسية؟ اضرب مثلاً لذلك .

(٥) اطمأن الناس في عهد الملك عبد العزيز على أرواحهم وأموالهم . إلام يرجع الفضل في ذلك ؟

(٦) ما موقف الملك عبد العزيز من العلوم الحديثة ؟.

Marfat.com

وَفَاء !

قال صاحب شرطةِ المأمون :

دَخلت يوماً مجلسَ أميرِ المؤمنين ببغداد ؛ وبين يديه رجلٌ مُكَبَّلٌ بالحديد ، فلما رآني . قال لي : يا عباس ! قلت : لَبَّيْكَ يا أميرَ المؤمنين ! قال : خُذْ هذا إليك . واحْتَفِظْ به . وبَكِّرْ به إليَّ في غَدٍ ! فَدَعَوْت جماعةً فَحَمَلُوه ، ولم يَقْدِرْ أن يتحرك ! فقلت في نفسي : مع هذه الوصيةِ التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظِ به يجب أن يكونَ معي في بيتي . فأَمَرْتُهم فتركوه في مجلسٍ لي في داري .

ثم أخذت أسأله عن قضيته ، وعن حالِه . ومن أين ؟ فقال : أنا من دِمَشْق . فقلت : جَزَى الله دمشقَ وأهلَها خيراً . فَمَنْ أنتَ من أهلِها ؟ قال : وَعَمَّن تسأل ؟ قلت : أتعرف فلاناً ؟ قال : ومِنْ أين تَعْرِف ذلك الرجل ؟ قلت : وَقَعَتْ لي معه قَضيَّة . فقال : ما كنت بالذي أُعرِّفُك خَبَرَه حتى تُعَرِّفَني قضيَّتَك معه ! فقال : كنت مع بعضِ الولاة في دِمَشق . فَبَغَى أهلُها . وخَرجوا علينا حتى إنَّ الوالي تَدَلَّى في زِنْبيلٍ[1] من قصرِ الحَجَّاج . وهرب هو وأصحابُه . وهَرَبْتُ في جملةِ القوم .

فبينما أنا هاربٌ في بعضِ الدُّروب[2] إذا بجماعةٍ يَعْدُون[3] خَلْفي . فما زِلْتُ أعدو أمامَهم . حتى فُتُّهُم[4] ، فَمَرَرْت بهذا الرجلِ الذي ذَكَرْتُه لك .

---

(١) قفة . (٢) جمع درب : طريق . (٣) يجرون . (٤) تجاوزتهم وبعدت عنهم .

Marfat.com

وهو جالس على بابِ دارِه ، فقلت : أَغِثْني أَغاثَكَ الله قال : لا بأسَ عليكَ ! ادْخُل الـــدار ؛ فَدَخَلْت ، فقالت زوجتُه : ادْخُلْ تلكَ المَقْصورة(٥) ، فَدَخَلْتُها . ووقف الرجل على باب الدار ، فما شَعَرْت إلاّ وقد دخل ، والرجال معه ، يقولون : هو واللهِ عندك .

فقال دونَكُم الدار . فَتَّشوها ، فَفَتَّشُوها حتى لم يَبْقَ سوى تلك المقصورةِ ، وامرأتُه فيها ؛ فقالوا : هو هنا ! فصاحَتْ بهم المرأة ونَهَرَتْهُم (٦) ، فانصرفوا .

وخرجَ الرجل وجلس على باب داره ساعة ، وأنا قائمٌ أَرْجُف(٧) ، ما تَحْمِلُني رِجْلايَ من شِدَّةِ الخوف . فقالت المرأة : اجْلِس لا بأسَ عليك ! فَجَلَسْت فلم أُلْبَثْ حتى دخل الرجلُ فقال : لا تَخَفْ . فقد صَرَفَ اللهُ عنك شَرَّهُم ، وصِرتَ إلى الأَمْنِ والدَّعَة(٨) .

فقلتُ له : جَزَاكَ اللهُ خيراً ، ثم ما يزالُ يُعاشِرُني أَحْسَنَ معاشرةٍ وأجْمَلَها ، وأَفْرَدَ لي مكاناً في دارِه ، ولم يَفْتُرْ عن تَفَقُّدِ أحوالي .

فأقمتُ عندَه أربعةَ أَشْهُرٍ في أَرْغَدِ عيشٍ وأَهْنَئِه إلى أن سَكَنَتْ الفِتنةُ وهَدَأَتْ . وزال أَثَرُها ، فقلتُ : أَتَأْذَنُ لي في الخروج حتى أَتَفَقَّدَ حالَ غِلماني ، فَلَعَلِّي أَقِفُ منهم على خَبَر ، فَأَخَذَ عليَّ المواثيقَ بالرجوعِ إليه .

فَخَرَجْتُ فَطَلَبْتُ غِلماني . فلم أَرَ لهم أَثَراً ، فَرَجَعْتُ إليه وأَعْلَمْتُه الخبر . وهو مع هذا كُلِّه لا يَعْرِفُني ولا يَسْأَلُني ؛ ولا يَعرِفُ اسمي ، ولا يُخاطِبُني إلا بالكُنْيَة .

ثم قال : عَلامَ تَعْزِم ؟ فقلتُ : عَزَمْتُ على التَّوَجُّهِ إلى بغدادَ ، فقال :

---

(٥) الدار الواسعة المحصنة ولا يدخلها إلا صاحبها .
(٦) زجرتهم وعنفتهم .
(٧) أرتعد .
(٨) الهدوء .

60129

Marfat.com

القافلةُ بعد ثلاثةِ أيام ، وهـأَنَذَا قد أَعْلَمْتُك .

فقلتُ له : إنَّك تَفَضَّلْتَ عليَّ هذه المدةَ ، ولَكَ عليَّ عهدٌ ألا أَنسَى لك هذا الفضلَ ولأُكافِئَنَّكَ ما اسْتَطَعْت .

ثم دعا غلاماً له وقال له: أَسْرِج الفَرَسَ ، ثم جَهِّزْ آلَةَ[٩] السَّفَر ، فقلتُ في نفسي : ما أَظُنُّ إلا أنه يُريدُ أن يَخْرُجَ إلي ضَيْعةٍ أو ناحيةٍ من النواحي فيومَهم ذلك في كَدٍّ وتَعَب .

ولما حان يومُ خروجِ القافلةِ جاءني السَّحَر[١٠] ، وقال لي : قُمْ ؛ فإنَّ القافِلَةَ تَخرُج الساعة ، وأَكْرَهُ أن تَنْفَرِدَ عنها ، فقلتُ في نفسي : كيف أَصنعُ ؟ ليس معي ما أَتَزَوَّدُ به ، ولا ما أَكْتَرِي به مَرْكُوباً[١١] ! ثم قُمْتُ ، فإذا هو وامرأتُه يحملان أَفْخَرَ الملابسِ ، وخُفَّيْنِ جَديدَيْن ، وآلةَ السَّفَر . ثم جاءني بِسَيْفٍ ومِنْطَقَةٍ[١٢] فَشَدَّهُما في وَسَطي ، ثم قَدَّم بَغْلاً فَحَمَّل عليه صُندوقَيْن وفوقَهما فَرْشٌ ، وقَدَّمَ إليَّ فَرَساً ، وقال : ارْكَبْ ، وهـذا الغلامُ يَخْدُمُكَ ، ويَسُوسُ[١٣] مَرْكُوبَك .

وأَقْبَلَ هو وامرأتُه يَعْتذِرانِ إليَّ من التقصيرِ في أَمْري ، وَرَكِبَ معي يُشَيِّعُني[١٤] ، وانصرفتُ إلى بغدادَ وأنا أَتَوقَّعُ[١٥] خَبَرَه ، لأَفِيَ بِعَهْدي له في مُجازاتِهِ ومكافأتِه ؛ واشْتَغَلْتُ مع أميرِ المؤمنين ، فلم أَتَفَرَّغْ أن أُرسِلَ إليه من يَكْشِفُ خَبَرَه ، فلهذا أَسألُ عنه .

فلما سَمِعَ الرجلُ الحديث قال : لقد أَمْكَنَكَ اللهُ من الوفاءِ له ، ومُكافأتِهِ على فِعْلِه ومُجازاتِه على صَنيعِهِ بِلا كُلْفَةٍ[١٦] عليك ، ولا مَئُونةٍ تَلْزَمُك .

---

(٩) الأدوات اللازمة للسفر .
(١٠) قبيل الصبح .
(١١) ما يركب .
(١٢) حزام .
(١٣) يقود .
(١٤) يودعني .
(١٥) انتظر .
(١٦) نفقة .

Marfat.com

فقلتُ : وكيف ذلك ؟ فقال أنا ذلك الرجلُ ، وإنما الضُّرُّ الذي أنا فيه غيَّرَ عليكَ حالي ، وما كنتَ تَعْرِفُهُ مِنّي .

فما تَمالَكْتُ أن قُمْتُ وقَبَّلْتُ رَأْسَه ، ثم قلتُ له : فما الذي أَصارَكَ (١٧) إلى ما أَرَى ؟ فقال : هَاجَتْ بِدِمَشْقَ فِتْنَةٌ مثلُ الفِتْنَةِ التي كانت في أَيّامِك ، فنُسِبَت إليّ وَبَعَثَ أميرُ المؤمنين بِجُيُوشٍ ، فأَصْلَحُوا البَلَد ، وأُخِذْتُ أنا وضُرِبْتُ إلى أن أَشْرَفْتُ على الموت ! وقُيِّدْتُ وبُعِثَ بي إلى أميرِ المؤمنين ، وأَمْرِي عندَه عظيمٌ ، وخَطْبِي لَدَيْه جَسيمٌ ؛ وهو قاتِلي لامَحَالَة !

وقد أُخرجْتُ من عِندِ أَهْلِي بلا وَصِيَّة ، وقد تَبِعَنِي من غِلْماني مَنْ يَنْصرِفُ إلى أهلي بِخَبَرِي ، وهو نازلٌ عند فلان ، فإن رَأَيْتَ أن تَجْعَلَ من مُكافَأَتِكَ لي أن تُرْسِلَ مَنْ يُحْضِرُهُ حتى أوصِيَه بما أُريد ؟ فإنْ أنتَ فَعَلْتَ ذلك فقد جَاوَزْتَ حَدَّ المكافأة ، وقمتَ لي بوفاءِ عهدِك ! قلت : يَصْنَعُ اللهُ خَيْراً .

ثم أَحْضَرَ العبّاسُ حَدّاداً في الليلِ فَكَّ قُيُودَه ، وأَزَالَ ما كان فيه من الأَنْكال (١٨) ؛ وأَدْخَلَهُ حَمّامَ داره ، وأَلْبَسَهُ من الثياب ما احتاجَ إليه ، ثم سَيَّرَ مَنَ أَحْضَرَ له غُلامَه .

فلما رآه جَعَلَ يَبكِي ويُوصِيه ، فاسْتَدْعى العباسُ نائِبَه ، وقال : عَلَيَّ بالأَفْراسِ والهدايا ، ثم أَمَرَهُ أن يُشَيِّعَهُ إلى حَدِّ الأَنْبار .

فقال له : إنَّ ذَنبِي عند أميرِ المؤمنين عظيمٌ ، وخِطْبِي جَسيمٌ ، وإن أنتَ احْتَجَجْتَ بأني هَرَبْتُ بَعَثَ في طَلَبي كُلَّ مَن على بابِه ، فأُردُّ وأُقْتَلُ .

فقال العباسُ : انجُ بنَفْسِك ودَعْنِي أُدَبِّرْ أمرِي ! فقال : واللهِ لا أَبْرَحُ بغدادَ حتى أَعْلَمَ ما يكونُ من خَبَرِك ! فإن احْتَجْتَ إلى حضوري حَضَرْتُ .

فقال العباسُ : إن كان الأمرُ على ما تقولُ ، فَلْتَكُنْ في مَوضِعِ كذا ،

---

(١٧) بصيرك .

(١٨) جمع نكل : القيد الشديد .

Marfat.com

فإن أنا سلِمْتُ في غَداةِ غَدِ أعْلَمْتُك ، وإن أنا قُتِلْتُ فقد وَقَيْتُكَ بِنَفْسِي كما وَقَيْتَنِي .

ثم تَفَرَّغَ العباسُ لنفسِه وتَحَنَّطَ[19] وجَهَّزَ له كَفَناً . قال العباسُ : فلم أفْرَغْ من صَلاةِ الصُّبْحِ إلا وَأَرْسَلَ المأمونُ في طَلَبي ، وهم يقولون : هاتِ الرجلَ مَعَكَ وقُمْ .

فَتَوَجَّهْتُ إلى دارِ أميرِ المؤمنين ، فإذا هو جالسٌ يَنْتَظِر . فقال : أين الرجلُ ؟ فَسَكَتُّ ! فقال : وَيْحَك ! أين الرجلُ ؟ فقلت : يا أميرَ المؤمنين . اسْمَعْ مني . فقال لي : للهِ عَلَيَّ عَهْدٌ لَئِنْ ذَكَرْتَ أنه هَرَبَ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَك ! فقلت : لا والله يا أميرَ المؤمنين ما هَرَبَ . ولكن اسْمَعْ حديثي وحَدِيثَه . ثم شأنكَ وما تُريدُ أن تَفْعَلَهُ في أمْرِي ! قال : قُلْ .

فقلتُ يا أميرَ المؤمنين ، كان حديثي معه كَيْتَ وكَيْت . وقَصَصْتُ عليه القِصَّةَ جميعَها ، وعَرَّفْتُه أنّي أُريدُ أن أفِيَ له . وأكافِئَهُ على فِعْلِه معي ، وقلتُ : أنا وسَيِّدي ومَوْلايَ أميرُ المؤمنين بين أمْرَين : إمّا أن يَصْفَحَ عَنّي ، فأكونَ قد وَفَيْتُ وكافَأْتُ . وإمّا أن يَقْتُلَني فأقِيَهُ بِنَفْسِي . وقد تَحَنَّطْتُ . وها هو ذا كَفَنّي يا أميرَ المؤمنين .

فلما سَمِعَ المأمونُ الحديثَ قال : وَيْلَكَ . لا جَزاكَ اللهُ عن نفسك خيراً . إنه فَعَلَ بك ما فَعَلَ من غير مَعْرِفَةٍ . وتُكافِئُه بَعد المَعْرِفَةِ بهذا ؟ هَلاَّ عَرَّفْتَني خَبَرَه . فكُنّا نكافئُه عنك . ولا نُقَصِّرُ في وفَائِكَ له !

فقلتُ يا أميرَ المؤمنين ، إنه ها هنا وقد حَلَفَ ألاَّ يَبْرَحَ حتى يَعْرِف سلامَتي . فإن احْتَجْتَ إلى حُضورِه حَضَر . فقال المأمونُ : وهذه مِنَّةٌ[20] أعظمُ من

---

(١٩) اغتسل بالحنوط .

(٢٠) فضل ومكرمة .

Marfat.com

الأُولى ، اذْهَبْ إليه الآن ، فَطَيِّبْ نفسَه ، وسَكِّنْ رَوْعه[٢١] ، وائْتِنِي به حتى أَتَوَلَّى مُكافَأَتَه .

فَأَتَيْتُ إليه وقلتُ له : لِيَزُلْ خَوْفُك ، إن أميرَ المؤمنين قال كذا وكذا !

فقال : الحمدُ لِلّهِ الذي لا يُحْمَدُ على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ[٢٢] سواه ؛ ثم قام وَرَكِبَ . فلما مَثَلَ بين يَدَي أميرِ المؤمنين أَقْبَلَ عليه ، وأَدْنَاهُ من مَجْلِسِه وحَدَّثَه . حتى حَضَرَ الغَداءُ فَأَكَلَ معه ؛ وخَلَعَ[٢٣] عليه ، وعَرَضَ عليه أعمالَ دِمَشْق . فاسْتَعْفَى[٢٤] ، فَأَمَرَ له بِصِلَةٍ[٢٥] وكَتَبَ إلى عامِلِه بِدِمَشْقَ بالوَصِيَّةِ به .

المناقشة :

(١) في القطعة خلق عربي عظيم ؟ وضحه وبين موقعه من القصة ؟

(٢) لِم لم يُفَتِّش الشرطة المقصورة ؟ وعلامَ يدل ذلك ؟

(٣) أعدّ صاحب الدار مفاجأة لضيفه عند سفره إلى بغداد . وضحها ؟

(٤) ما دور المرأة العربية في هذه القصة ؟

(٥) كان وفاء صاحب شرطة المأمون لضيفه وفاء نادراً . اشرح ذلك ؟

(٦) ما رأيك في موقف الخليفة المأمون في هذه القصة ؟

(٧) لم حلف الرجل ألا يبرح بغداد إلا إذا علم بسلامة صاحب الشرطة ؟ وعلام يدل ذلك ؟

(٨) للرجل الذي أكرمه صاحب الشرطة مكرمتان . اذكرهما ؟

---

(٢١) خوفه .
(٢٢) السراء ما يسر والضراء ما يضر .
(٢٣) أعطاه خلعة أو هدية .
(٢٤) طلب إعفاءه .
(٢٥) مكافأة .

Marfat.com

مِن أمثالِ العَربِ

للعرب أقوال بليغة ، امتازت ألفاظُها بالإيجاز ، ومعانيها بالشمول ، تلك هي « الأمثالُ » التي خلّفوها لنا فيما خَلَّفوا من أدب وحكمة .

ومن هذه الأمثال العربية قولُهم : « وافَقَ شَنٌّ طبقة » وهو يضرب فيمن يَجمعُ بينهما توافقٌ وتشابه .

ولهذا المثل قصة ، ذلك أن رجلاً من حكماء العرب وعقلائهم يقال له « شَنّ » عرف بين الناس برجاحة العقل ، وصواب الحكم ؛ فكانوا يستشيرونه في أمورهم ، ويعملون بما يُسديه إليهم من النصح والرأي .

وحدث أن أراد « شن » أن تكون له شريكةُ حياة ، لها من رجاحة العقل ما لَه ، ومن حسن التفكير ما يتصف هو به ، فأخذ يبحث عن طَلِبَته في موطنه ، فلم يَهتد إلى ما يريد . فعزم على أن يُطَوِّف في الأرض حتى يعثر على ضالّته .

وفي إحدى سَفَراته ، قابله رجل في الطريق ، فسأله « شن » عن وجهته ، فذكر له البلدة التي يسعى إليها . فقال شنّ : إني لَقاصدُها ؛ ثم اتفقا على الصحبة ، وسارا معاً إلى وجهتهما .

ونظر « شن » إلى صاحبه وقال له : أتحملني أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا لك من جاهل ! كل مِنّا راكب دابّته ، فكيف يحمل أحدنا الآخر ؟ فسكت عنه شن . ولم يمض غير قليل حتى لاح لهما زرع حان حَصادُه ، فقال شنّ لصاحبه : لست أدري أأكِلَ هذا الزرع أم لم يُؤكل !

Marfat.com

فقال له الرجل : عجباً لك ! تَرى زرعاً يوشك أن يُحصَد فتسأل : أأُكِلَ أم لم يؤكل ؟ فلزم شن الصمت ومضى الرجلان .

ولما دخلا البلدة شاهدا جنازة فقال شن لرفيقه : أحَيٌّ صاحب هذا النعش أم ميت ؟ فقال الرجل : لقد ضِقتُ بك ذرعاً ، ترى جنازة فتسأل أحيّ صاحبها أم ميت ؟ فسكت عنه شن ، وعزم على أن يفارقه ، غير أن الرجل أبى أن يتركه حتى يستضيفه في بيته ، فمضى شن معه . وكان للرجل ابنةٌ تدعى « طبقة » فسألت أباها عن ضيفه ، فحكى لها ما كان من أمره .

فقالت الفتاة لأبيها : ما هذا الرجل بجاهل يا أبي . إن قوله أتحملني أم أحملك يعني أتحدثني أم أحدثك ؟ وقوله أأُكِلَ هذا الزرع أم لم يؤكل ؟ يريد به أباعه أصحابه فأكلوا ثمنه أم لم يبيعوه ؟ وقوله أحيّ صاحب هذا النعش أم ميت ؟ قصد به : هل ترك هذا الميت ولداً يُحيِي ذكره أم لم يترك ؟

ثم إن الرجل خرج ليجلس مع ضيفه ، فتحدثا زمناً ، وكان مما قاله الرجل لشن : أتود أن أفسر لك ما سألتني عنه في الطريق ؟ قال : حبذا إن فعلت . فأخذ الرجل يفسر ويجيب . فقال له شن : ما أحسب أن هذا كلامك ، فهلاّ أخبرتني عن صاحبه ؟ فقال له الرجل : إنها ابنتي « طبقة » ؛ فأُعجب « شن » بذكائها ووجد فيها ضالته ، فخطبها إلى أبيها ، فزوجه إياها .

وعاد « شن » إلى أهله ، فلما رأوا ما هي عليه من ذكاء وفطنة ، قالوا : « وافق شنٌّ طبقة » ، فذهب قولهم مثلاً .

المناقشة :

١ – فيم يضرب هذا المثل ؟
٢ – بم عُرف « شن » بين قومه ؟
٣ – لم خرج شنّ يطوف البلاد ؟
٤ – كيف عثر « شن » على ضالته ؟
٥ – ما الدليل على ذكاء « طبقة » وفطنتها ؟

Marfat.com

الخَنسَاء

هي تماضر بنت عمرو ، وتكنى « أم عمرو » . والخنساء لقبٌ غَلَبَ عليها ، وهو يعني « الظبية » . وتشبيهها بالظبية يوحي بما لَهَا من جَمَال . كانت البنت الوحيدة لأسرتها ؛ فكانت أَثِيرَة ، يحنو عليها الكبير والصغير ، وكانت — بصفة خاصة — محببة لأخويها معاوية وصخر ، فبادلتهما حُبّاً بحب .

والخنساء شاعرة بني سليم ، ذاع صيتها في الجاهلية والاسلام ، وحفظ تاريخ الأدب الكثير من شعرها في الرثاء . وقد عاشت معظم حياتها في الجاهلية ، وأنجبت أولادها قبل ظهور الاسلام ، الذي أدركته وهي متقدمة في السن . وَفَدَت إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ، مع قومها ، وبايعته على الإسلام ، في السنة الثامنة من الهجرة . وقد رَقَّ لها الرسول عليه الصلاة والسلام . ويقال انه استمع لشعرها وهو يقول « هيه يا خناس » ، مجاملة لها في حزنها .

ويروى أن أبا الخنساء كان من ذوي الجاه والثراء ، وكان كثير المفاخرة بولديه معاوية وصخر ، يشيد بذكرهما ، ويطاول غيره بهما .

وقد كان معاوية بن عمرو ، أخو الخنساء ، بطلاً شجاعاً ، يقود فرسان سليم للغارة والاشتجار ، شأن فرسان القبائل في الجاهلية ، وكانت الخنساء آنئذ ، ما تزال في شبابها ، أو في سنّ الصِّبَا . وكانت الغارات التي يَشُنُّهَا معاوية سبباً في مصرعه ، إذ نشأت بينه وبين هاشم بن حرملة ، سيد بني مرة ، مخاصمةٌ أدّت إلى أن يقتتلا ، فكان أن انفرد هاشم ودريد ، ابنا حرملة ، بمعاوية ، واحتالا حتى قتلاه ، فكان قتله ، والحِدُّ في الأخذ بثأره ، من أهم الأسباب التي أطلقت لسان الخنساء ، لتكون شاعرة الرثاء الأولى.

Marfat.com

وأما صخر ، الأخ الثاني للخنساء ، فقد كان شريفاً في بني سليم ، موصوفاً بالحلم ، ومشهوراً بالجود، ومعروفاً بالتقدم والشجاعة، ومحظوظاً في عشيرته . وكان يتميز بعفة لسانه ، وترفعه عن الدنايا ، وذلك خلق يرفع شأن صاحبه ، ويحمل الناس على حبه . ولعل هذا الخُلُق هو الذي جعل لسان الخنساء ينطلق ، فتقول هذا البيت ، الذي فتَنَ القدماء ، وهو قولها :

وإن صخراً لتأتَمُّ(١) الهداةُ به كأنه عَلَمٌ(٢) في رأسه نار

أما شجاعته فتتمثل في جِدِّه للأخذ بثأر أخيه معاوية، وغاراته المتوالية على بني مُرَّة للانتقام منهم . وقد استطاع – أول أمره – أن يقتل دريداً الذي قتل معاوية . ولكنه لم يقنع بذلك ، فتابع غاراته على بني مُرَّة ، حتى أصيب بجرح قتّال أودى بحيـــاته .

وهكذا فقدت الخنساء أخويها معاً . وكان معاوية شقيقها ، وكان صخر أخاهـــا لأبيها ، غير أنها أكثرت الرثاء في صخر ، وفيه تقول من قصيدة مشهورة :

يُذَكّرني طلوعُ الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثـرةُ الباكين حولي على إخوانهم ، لقتلتُ نفسي
ولكن ، لا أزال أرى عَجُولاً وباكيـــةً تنوحُ ليومِ نحس
أراها وَالِهاً(٣) تبكي أخاهـــا عَشِيَّةَ رُزْئه(٤)، أو غِبَّ أمسي
وما يبكين مثلَ أخي ، ولكن أُعَزِّي النفسَ عنه بالتأسّي

وقد تزوجت الخنساء رجلاً من قبيلتها ، وهو مرداس بن أبي عامر السلمي . وكان سيداً معروفاً ، يلقب بالفيض لكرمه ، وكان ذا ثراء واسع ، يفيض به على المحتاجين ، وسائلي فضله .

---

(١) تأتم به : تتخذه قائداً . (٢) جبل . (٣) الوله : شدة الحزن . (٤) الرزء : المصيبة .

Marfat.com

وكان للخنساء أربعة بنين ، حضرت معهم وقعة القادسية ، سنة ست عشرة من الهجرة ، وأوصتهم – ليلتها – بقولها :

« يا بَنِيَّ ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين . والله الذي لا إله إلا هو . إنكم لبَنُو رجل واحد . كما أنكم بنو امرأة واحدة . ما هَجَنتُ حَسَبَكم ، ولا غيّرت نسبكم . واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا ، وصابروا . ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقهـا ، وجَلَّلَتْ ناراً على أرواقها ، فتَيَمَّمُوا وطيسها(٥) ، وجالدوا رئيسها(٦) ، تظفروا بالغُنْم والكرامة . في دار الخلد والمقامة » .

فلما أضاء لها الصبح ، باكروا الى مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحـد ، يُنْشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم ، حتى قتلوا عن آخرهم . ولما بلغها الخبر قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمـة » .

تلك هي الخنساء ، إحدى شهيرات النساء ، في الجاهلية والإسلام ، وصاحبة أشهر المراثي في الأدب العربي ، وأمّ أربعة من الشهداء .

المناقشة :

١ – لم لقبت تماضر بنت عمر بالخنساء ؟
٢ – ما الفن الشعريّ الذي عرفت به الخنساء ؟ ولماذا ؟
٣ – لم اختصت الخنساء أخاها صخراً بالرثاء الحار ؟
٤ – ما الظروف التي أحاطت بموت صخر ؟
٥ – بم أوصت الخنساء بنيها الأربعة ؟
٦ – كيف قابلت الخنساء موت أولادها معاً ؟ وعلامَ يدل ذلك ؟

---

(٥) الوطيس : شدة القتال . (٦) رئيس الشيء : بدايته .

Marfat.com

التدخين

أظهرت الدراسات الكثيرة التي أجريت في القرن العشرين ، أن التدخين يعرض الصحة لكثير من المخاطر ، وأنه يلعب دوراً كبيراً في الإصابة بكثير من الأمراض ، ومن أهمها بعض أمراض القلب ، وسرطان الرئة ، والالتهاب الرئوي ، كما أنه يساعد على العجز ، وعدم القدرة ، ويزيد نسبة الوفيات .

والناس – في العصر الحديث – يندفعون في التدخين اندفاعاً مخيفاً ، ويمكن أن نقول – عن ثقة – إنه إذا لم يوقف تيار الاندفاع نحو التدخين ، فإن نسبة الإصابة بالأمراض الخطيرة ، والوفيات ، والعجز ستزداد بشكل كبير . صحيح أن كل شيء بقضاء الله ، وأن الموت والحياة ، والمرض والصحة ، كلها بيد الله ، ولكننا يجب أن نتذكر دائماً ، أن الله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » !

ومن الدراسات التي أجريت ، لإثبات مدى العلاقة بين التدخين والإصابة بسرطان الرئة ، الذي لوحظ أن نسبة وفاة المصابين به تزداد بازدياد استهلاك السجاير ، من هذه الدراسات دراسات قارنت بين المدخنين المصابين ببعض الأمراض ، ونظراء لهم من المدخنين غير المصابين .. وقد أظهرت هذه الدراسات ارتباط بعض الأمراض المعينة ، بعادات التدخين . ومما شملته هذه الدراسات اختبارات لوظائف القلب والرئة لبيان أثر التدخين الوقتي والمزمن عليهما !

وأجريت دراسات أخرى لمقارنة حالات كثيرة من المدخنين بأخرى مماثلة من غير المدخنين ، وبيان نسبة الوفيات والعجز . وقد استمرت المقارنات عدة سنوات متتالية في كل من كندا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والمملكة المتحدة . وقد أكدت هذه الدراسات وجود ارتباط بين التدخين وازدياد نسبة الوفيات ، والعجز ، نتيجة لأمراض معينـــة .

Marfat.com

وترجع الزيادة في نسبة الوفيات بين مدخني السجاير ، إلى زيادة نسبة الإصابة ببعض الأمراض ، ومن أهمها : السرطان الرئوي ، والالتهاب الرئوي ، والقصبات الهوائية ، وأمراض القلب ، والجهاز الوعائي ، بالإضافة إلى التعرض لأمراض أخرى ، كسرطان المعدة ، والحنجرة ، والبلعوم ، والمثانة .

والمدخنون يبذلون مجهوداً أقل من مجهود غير المدخنين ، في الخدمة العامة ، وفي العمل اليومي ، بسبب كثرة إصابتهم بالأمراض ، وملازمتهم الفراش ، وبسبب الضعف الذي ينتاب المدخنين .

والإصابة بسرطان القصبة الهوائية ، تحدث نتيجة لتعرض غشائها ، بصورة مستمرة للدخان ، المحتوي على المواد المسببة للإصابة بالسرطان والمشجعة عليها .

وقد أثبتت الدراسات ـ أيضاً ـ أن هناك علاقة كبيرة بين التدخين والإصابة بالتهاب الشعب الهوائية ، وأن السعال والبلغم ينتشران بين المدخنين بمقدار ما يدخنون ، وذلك يؤدي إلى ضيق الممرات الهوائية ، وإعاقة تبادل الغازات في الرئة ، مع ما يترتب عليه من نتائج خطيرة .

ومما أثبتته الدراسات كذلك ، أن أمراض القلب تزداد بين المدخنين عنها بين غيرهم . وتعتبر الذبحة الصدرية من الأمراض الأكثر شيوعاً بين المدخنين ، وتزيد الخطورة بين الأشخاص ذوي ضغط الدم المرتفع ، والمصابين بالسمنة ، والسكر ، وارتفاع نسبة الكولسترول في الدم . وظهر من البحث أن دخان السجاير ، يؤدي إلى زيادة إفراز معين من الغدة الكظرية ، ويقود إلى لزوجة الصفائح الدموية ، مع زيادة التعرض للنزيف وزيادة تركز الدهنيات في الدم ، وزيادة ضربات القلب ، التي قد تسبب الموت المفاجئ .

وقد يؤدي التدخين إلى الإصابة بتصلب الشرايين ، الذي يؤدي إلى العجز أو الوفاة نتيجة لتوقف وصول الدم إلى المخ ، أو إلى الأرجل . ومن الأمراض المرتبطة بالتدخين ـ أيضاً ـ سرطان الفم ، والبلعوم ، والمثانة والقرحة المعدية والسل الرئوي . .

ومن المضار التي أثبتت الدراسات ارتباطها بالتدخين ، أن التدخين يؤدي إلى نقص

Marfat.com

في وزن المولود ، عندما تدخن المرأة أثناء الحمل وتعرض الحامل للإجهاض – ويؤدي التدخين – أيضاً – إلى نقص في وزن المدخنين !

هل في كل هذا ما يدق ناقوس الخطر ؟ ، وهل يدرك صغار الشباب بصفة خاصة ، مدى ما ينتظرهم من أخطار وأضرار ، إذا فكروا في التدخين ، وأقدموا عليه ؟!

إن كل الجهات التي يعنيها الأمر ، والأجهـــزة الصحية بصفة خاصة ، يجب أن تتحرك ، وأن تعمل على حماية الناس من هذه الأضرار ، وألا تترك الشباب ينزلقون إليها ، سعياً وراء التقليد الزائف ، وجرياً وراء وهم العظمة الكاذب .

المناقشة :

١ – لم يعرض التدخين الصحة للمخاطر ؟
٢ – ما الأمراض التي يسببها التدخين ؟
٣ – أثبتت الدراسات علاقة ظاهرة بين التدخين والإصابة بسرطان الرئة . وضح ذلك .
٤ – ما موقف الشاب المسلم من التدخين ؟
٥ – لم كان التدخين مضراً بالمرأة بصفة خاصة ؟

Marfat.com

الحيتان

حديثُ الحيتان جِدُّ مَشُوق ، وقبل أن نخوضَ فيه نعودُ قليلاً إلى الماضي ، ونُقَلِّبُ صفحات تُراثِنا العربيِّ على عَجَل لنرى ماذا كَتَبَ أسلافُنا عن الحوت ، فقد تَرَدَّدَ ذكْرُهُ كثيراً في كُتُبِهِم وشاهده مَلاَّحُوهم ، الذين جَابُوا[1] المحيطَ الهِنْدِيَّ ، وبِحارَ الصِّين . هذا بالإضَافة إلى قصَّةِ الْتِقَامِ[2] الحُوتِ لسيدنا يُونَسَ المَعْرُوفَةِ في القرآنِ الكريم .

وفي مكتبةِ باريسَ مخطوطٌ عربيٌّ قديمٌ تحت اسمِ رِحْلَةِ « التَّاجِرِ سُلَيمان » كُتِبَ حَوَالى عام واحد وخمسين وثمانمائة من الميلاد يصِفُ أخبارَ التُّجَّارِ والمَلاَّحِينَ العَرَبِ بين « سيراف » و « كانتون » وحوالى عام ستة عشر وتسعمائة من الميلاد ، عَلَّقَ عليه رجلٌ من أهلِ سيرافَ ، هو « أبو زَيْدٍ الحَسَنُ بْنُ الْيَزِيدِ » المعروفُ باسم « السِّيرَافِيِّ » وأضَاف إلى الرحلةِ مَعْلوماتٍ استَقَاها من أحَادِيثِ التُّجَّارِ ورِجَالِ البَحْرِ . وفي معرضِ الكَلاَمِ عن الحوت يقول السِّيرَافِيُّ : « إنه سَمَكٌ مِثْلُ الشِّراعِ ، ورُبَّمَا رَفَعَ رَأسَه فتراه كالشَّيءِ العظيمِ . وربما يَقَعُ الماءُ مِنْ فيهِ فيكونُ كالمَنَارَةِ[3] .... والمراكِبُ التي في البحر تخافُه ، فَهُمْ يَضْرِبون باللَّيْلِ بِنَواقِيسَ مَخَافَةَ أنْ يَتْكِئَ عَلَى المَرْكَبِ فَيُغْرِقَه » . ويضيف : « هَذَا هوَ الحوْتُ المعروفُ « بالبالِ »[4] ، وَرُبَّمَا عُمِلَ من فَقَارِ ظهره كراسِيٌّ يقعُدُ عليها الرَّجلُ وَيَتَمَكَّنُ ... وذكروا أن بِقَرْيَةِ « سيراف » بُيُوتاً لِطَافاً ، سُقُوفُهَا من ضُلُوعِ هَذَا الحُوت.

---

(١) قطعوا . (٢) ابتلاع . (٣) موضع النور ، ومنه منارة المراكب ، والمسرجة ، والمئذنة .
(٤) الحوت العظيم من حيتان البحر ، لا زعنفة له على ظهره ، وقد يبلغ طوله ٥٠ أو ٦٠ قدماً .

Marfat.com

وسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ إنه وَقَعَ في قديم الأيام إلى قُرْب « سيراف » مِنْه وَاحِدَة ، فَقَصَدَ للنَّظَرِ إلَيْهَا فَوَجَد قَوْماً يَصْعَدُونَ إلى ظَهْرِها بِسُلَّمٍ لَطِيف . والصيادون إذَا ظَفِرُوا بها طَرَحُوهَا في الشَّمْسِ ، وقَطَّعُوا لَحْمَهَا ، وحَفَرُوا لها حُفَراً يَجْتَمِعُ فيها الوَدَك[1] ويُغْرَفُ مِنْ عَيْنِها بالحرارة ، إذا أذابَتْها الشمسُ فيُجْمَعُ ويُبَاعُ على أربابِ المَرَاكِبِ ، ويُخْلَطُ بأخْلاَطٍ لهم تُمْسَحُ بها مَرَاكِبُ البحر، ويُسَدُّ بِها خَرَزُهَا[2] ، ومَا تَفَتَّقَ منها ..... » وكَلامُ « السِّيْرافيّ » صحيحٌ في جُمْلَتِه . وكذلك كَتَبَ القَزْوِينِيُّ عن الحوتِ في كتابِه « عَجَائِبُ المَخْلُوقَاتِ » كَمَا كتبَ عنه « الدميري » في كتاب « الحيوان » .

وفي قِصَصِ السِّنْدِبَادِ الكثيرُ عن الحوتِ ، وَذِكْرِ الجُزُرِ التي تَتَحَرَّكُ مِنْ مَوْضِعِها ، ويَقْصِدُ بها الحيتانَ الضَّخْمَةَ . وصِراعُ الحوت مع الأُخْطُبُوطِ العِمْلاَقِ كَانَ مَثَار الكثيرِ من القَصَصِ البَحرِيِّ المَشُوقِ عِنْدَ كُتَّابِ القُرون الوُسْطى .

وَالحُوتُ أو القَيْطَسُ أو البَالُ اسمٌ يطلق على طائِفَةٍ من الثَّدْيِيَّاتِ البحرية تَلِدُ وتُرْضِعُ أطْفَالَها . ويُعَدُّ الحوتُ من غيرِ جدالٍ أضخمَ الحيواناتِ المعروفةِ على ظَهْرِ الأرضِ اليومَ ، والأنواعُ الكبيرةُ منه، يَزِنُ الواحدُ منها نحو مائتَيْ طُنٍّ أيْ أكثرَ من عَشَرةِ أفْيَالٍ مُجْتَمِعَة . ويُستخرج من الحوتِ الكبيرِ نحوُ مائةٍ وخمسةٍ وأربعين بِرْميلاً من الزَيْتِ . ويُوجَدُ هذا الزيتُ مختزناً في طبقَةٍ تحت الجِلْدِ سُمْكُهَا أكثرُ مِنْ قَدَم ، كما يُستخرجُ الزيتُ من الرأسِ أيضاً .

وتنقسم الحيتانُ تبعاً لنوع التَّغْذِية قسمين كبيرين : أحدُهما يتغذَّى على اللحومِ والأسماكِ ، ويتميزُ بوجودِ الأسنانِ في فَكَّيْهِ ، والآخَرُ يتغذَّى على الكائناتِ البحريةِ الدقيقةِ التي يُرَشِّحُهَا بِمِصْفَاةٍ ضَخْمةٍ في فمِه .

---

(١) الدسم والشحم . (٢) ثقوبها .

Marfat.com

وأما ما نراه من نافورةٍ فَوَّارَةٍ ، ترتفع فوقَ رأسِ الحوت ، فيُعْزَى إلى هَواءِ الزَّفيرِ الساخنِ الذي يَطْرُدُهُ الحَيوانُ بِقُوَّة فيتكثَّفُ بخارُ الماءِ الموجودِ فيه نتيجةً لبرودَةِ الجَوِّ ، ويبدُو على هيئةِ نافورةِ ماءٍ .

وللحوتِ مقدرةٌ عجيبةٌ على تحمُّلِ اختلافاتٍ كبيرةٍ في درجة الحرارةِ وعلى تَحَمُّلِ الضغْطِ أيضاً ؛ فهو يَغُوصُ إلى عُمْقٍ كبيرٍ قد يَصِلُ إلى سبعمائةِ مترٍ تحت سَطْحِ الماءِ ، ثم يَصْعَدُ مرةً أُخْرَى ليتنفسَ الهواءَ الجَوِّيَّ ، ولا يستطيع كائنٌ آخرُ أن يجاريَهُ في هذا العملِ دونَ أن يُصابَ بمكروهٍ . ومن ثَمَّ كان الحوتُ موضَعَ اهتمامِ العلماءِ ليتفَهَّمُوا آليَّةَ الغَوْصِ تحتَ الماءِ .

وتهاجِرُ الحيتانُ في أفواجٍ كبيرةٍ وبخاصَّةٍ في مَوْسِمِ تَكاثُرِها وتَقْطَعُ في سبيلِ ذلكَ رِحْلةً طويلةً بينَ البحارِ الجنوبيةِ والبحارِ الشماليةِ عَبْرَ خطِّ الاستواء .

وثَمَّةَ عِدَّةُ أنواعٍ مشهورةٍ من الحيتانِ ، وهي التي يجري الصيادون وراءَها في البحارِ . منها الحوتُ ذُو الزَّعْنَفَةِ وهُوَ ضَخْم الجُثَّةِ يُسْتَخْرَجُ منهُ نحوُ مائةِ بِرْميلٍ من الزَّيْتِ ، وَيَتَمَيَّزُ بِزَعْنَفَةٍ فوقَ ظهره ، ويسيرُ في تَجَمُّعَاتٍ كبيرة .

ومنها الحوتُ الحقيقيُّ ، ويبلغُ طولُه نحوَ خمسةٍ وعشرين متراً وهو غنيٌّ بالزيت ، وبعظامِ مصفاةِ الفَكِّ التي تُسْتَخْدَمُ في الصناعة تحت اسم « البالين » لِصَلابَتِها ومُرُونَتِها .

ومنها الحوتُ الأزرقُ وهو أكبرُ الحيتانِ حجماً ويكثُرُ في المياهِ الباردةِ الجنوبيةِ ، وقد يصلُ طولُ الحيوانِ الواحدِ منه اثنين وثلاثين متراً ، ويحتوي على مائةٍ وأربعينَ بِرْميلاً من الزيت .

ومنها الحوتُ الأحْدَبُ وطولُه نحوُ ثمانيةَ عَشَرَ متراً ، ويستخرج منه نحو ستين برميلاً من الزيت ؛ ولما كان عددُه قليلاً فقد حُدِّدَ صيدُه بثلاثة أيامٍ فقط في السنة .

Marfat.com

وثمةَ أنواعٌ من الحيتانِ أقلُّ أهمّيّةً مما ذُكِر . منها الحوتُ « السفّاحُ » الذي لا يتورّعُ عن مُهاجمةِ أيِّ حيوانٍ آخرَ في البحر لشدة نهمه . وقد وُجِدَ في معِدةِ واحدٍ من هذا النوع ذاتَ مرّةٍ نحوُ ثلاثةَ عشرَ دُلفياً وأربعةَ عشرَ حيواناً من نوعِ سبُعِ البحرِ ، كما وُجِدَ بحلقيهِ سبُعُ بحرٍ واحِد !

وتحمِلُ أنثى الحوتِ جنينَها في بطنِها لمدةِ اثني عشر شهراً ، وتلِدُ مولوداً واحداً أو اثنين في كلِّ مرّة . ووليدُ الحوتِ يُعَدُّ أكبرَ مولودٍ ينزلُ من بطنِ أُمّهِ في الوجودِ ، إذ يبلُغُ طولُه من خمسةِ أمتارٍ إلى سبْعة . وتُرْضِعُ الأمُّ وليدها من أثداءٍ في بطْنِها ، لمُدّةِ ستةِ شهور ، وهُوَ طِفْلٌ نهِمٌ يلْتهِمُ ما مِقْدارُهُ نحوُ طِنٍّ من لبَنِ أُمّهِ الدسِمِ في كلِّ يوْمٍ .

والحوتُ حيوان مُعَمّرٌ قد يبلغُ من العمر أرْذَلَهُ ، خمسين سنةً أو تزيدُ . والحيتانُ تشيبُ فيبيضُّ لوْنُها شيئاً فشيئاً ، وبخاصّةٍ حولَ الرأسِ ، كلما تقدّمت بِها السِّنُّ . ومن العجيبِ أن أُنْثَى الحوتِ تصل سنَّ البلوغِ في عامِها الرابِع وسنَّ اليأسِ ، وهي في عُنْفُوانِ شبابِها ، فلا تستطيع الحملَ مرّة أخرى ، بعد سن العشرين .

ولَرُبَّ سائِلٍ يسْأَلُ : « وكيْفَ تسنّى للعُلَماءِ أن يُقَدِّرُوا سِنَّ الحوت ؟ » والجوابُ أنّهم تمكنوا من ذلك بعلاماتٍ لا تُخْطِئ : منها فحصُ الفقَرَات العظْمِيّةِ للحيوان حيث تُوجَدُ عليها حلَقاتُ نُمُوٍّ تمثلُ كلُّ حلْقةٍ منها سنةً من عمره . كما توجد عُظَيماتٌ صغيرةٌ في أُذُنِ الحوتِ ، عليها هي الأُخْرَى ، حلَقاتٌ للنمو يمكن عدُّهَا وإحْصاؤها .

ولا يُمْكِنُ الجزْمُ بأنَّ الإنْسانَ قد احترَفَ صيْدَ الحوتِ في العصورِ القديمةِ ، وإنْ كانَ من المؤكّدِ أنّه فطِنَ إلى الزّيْتِ في الحيتانِ التي كانَتْ تضِلُّ سبيلَها ويُلقِي بِها البحرُ الى الشاطِئ ثم استخدمَهُ في إضاءةِ المصابيح .

Marfat.com

وقد بدأ احترافُ صَيْدِ الحوتِ في القَرْنِ الثّامِنِ أو التاسِعِ الميلاديّ على وَجْهِ التحقيقِ. وأفادَ العَرَبُ من زَيْتِهِ ومن عِظَامِهِ. وكانَ صيدُ الحوتِ مقتَصِراً في مَبْدَأ الأمرِ على الأماكِنِ القريبةِ من الساحلِ، ثم تَوَغَّلَ الصيّادُونَ وراءَ الحيتانِ بعيداً في أعالي البحارِ، وبَلَغَ هذا الأمْرُ أَشَدَّه في القَرْنَيْنِ الثامِنِ عَشَرَ والتاسع عشر. وفي تلك الآونةِ كانت قوافلُ المراكبِ تخرجُ من موانِي أوروبّا وأمريكا بأعدادٍ هائلةٍ، وتغيب شهوراً عديدةً في البحر، بحثاً عن الحيتان. ومثلُ هذهِ الحَمَلاتِ كانَتْ أيضاً حافزاً على كَشْفِ أراضٍ، وجُزُرٍ جديدةٍ في البِحَارِ الجَنُوبِيَّةِ بِخَاصَّةٍ. إلا أنَّ تلكَ المِهنةَ كانت محفوفةً بالأَخْطَارِ، لا يَنْخَرِطُ في سِلْكِها إلا كلُّ مُغَامِرٍ، فقد كانت المراكبُ صغيرةً، وأدواتُ الصيدِ بدائيَّةً، وكثيراً ما كانَ الحوتُ يُغْرِقُ المركبَ بمن فيه.

وخلالَ القرنِ الماضي أصابَ الكسادُ هذه المِهْنَةَ بعد أن كشَفَ الأمريكيونَ النَّفْطَ في بلادِهم، فاضْمَحَلَّتْ صِنَاعَةُ الزَّيْتِ من الحوت؛ ثم انْتَعَشَتْ حِرْفَةُ صَيْدِ الحوتِ مرَّةً أُخْرَى منذُ بدايةِ القرنِ العشرين، وذلك نتيجةً للانجازاتِ العلميةِ الفائقةِ التي أُدْخِلت على هذهِ الصناعةِ وأَهَمُّهَا ابتكارُ طريقةٍ لتسديدِ الحَرْبَةِ إلى جسمِ الحوتِ وذلك بإطلاقِها من مَدْفَعٍ على سَطْحِ المرْكَبِ يتصل به حَبْلٌ طويلٌ، ويمكنِ التصويبُ بهذه القَذِيفَةِ على بُعْدِ خمسينَ متراً من الحُوت. كذلك استُخْدِمَتْ طريقةٌ مساعدةٌ تتلخَّص في نفخِ الهواءِ المضغوطِ في جسمِ الحوت فيخفُّ وَزْنُهُ في الماءِ ليسهل سحبُه.

أما مراكبُ الصيدِ فقد طَرَأَ عَلَيْها هي الأُخْرَى تجديدٌ كبيرٌ، فقد حلَّ البخارُ فيها محلَّ الشراعِ، وصُمِّمَتْ تَصْمِيماً حديثاً جعلَ منها مصانعَ عائمةً تشبهُ مدينةً صغيرةً، تزيدُ حُمولتها على خمسينَ ألفَ طنٍّ وتتسعُ مخازِنُهَا لنحو ثلاثينَ ألفَ طن من الزيتِ، وعليها روافعُ ومناشيرُ كهربيَّةٌ وجَرَّارَاتٌ ومراجِلُ بُخَارِيَّةٌ وهي مُجَهَّزَةٌ بأماكنَ مريحة لمعيشةِ البحارة، بعد أنْ كانَ أجْدَادُهم يَقْضُونَ الشهورَ الطويلةَ وَسَطَ براميلَ تَنبعثُ منها روائحُ كريهةٌ، ويعانُونَ قسوةَ الحياةِ وشَظَفَ العيشِ.

Marfat.com

والحوتُ حيوانٌ نافعٌ يُصنَّع كلُّ جزءٍ فيه ، فهو يُطْلَب أولاً لزيته ، الذي يُسْتَخْدَم في صناعةِ الصابونِ والجلسرينِ وأنواعِ الطِّلاءِ والفِراء ، كما يُصْنَع منه السَّمْن .

ويحتوي زيت الحوتِ على كمياتٍ كبيرةٍ من فيتامينات « أ » و « د » التي تُعين الأطفالَ على النُّمُوِّ وتَردُّ عنهم غَوائلَ المَرضِ ، كما تُسْتَخْرَجُ من هذا الزيت أيضاً بعضُ المُرَكَّباتِ الطبية .

أما لحمُ الحوتِ فيؤكلُ طازَجاً أو يُجَمَّد ، وما تبقى من أحشائه ونُفاياته يُجَفَّف ويُسْحَق ويُصْنَع منه ما يُسمى « دَقيقَ السَّمك » الذي يُستعمل بكَثْرَةٍ عَلَفاً للحيوانات والدواجن لتسمينِها . هذا بالإضافة إلى عَظْمَةِ فَكِّ الحوت التي تُصنَع منها أجْوَدُ أنواعِ الأمشاطِ ومقابضُ المِظَلاَّت وغيرِها .

بيد أن الحوتَ أضحى – مع الأسف – مهدَّداً بخَطَرِ الانقراضِ لتَكالُبِ سُفُنِ الصيد على قتله . وفي عامٍ واحدٍ قتلت هذه المراكبُ نحو ستةٍ وأربعينَ ألفَ حوت من مياهِ المنطقةِ الجنوبيةِ وحدَها . ولهذا السببِ نُظِّمَتْ عمليات صيد الحيتانِ بمعاهَداتٍ دَوْليَّةٍ ، تُحدِّد مواسمُها وحجم الحوت المُصَرَّحِ بصيدِه وغير ذلك .

هذه بعض طبائعِ الحيتانِ وفوائدها ، فسبحان الخلاقِ العظيم !

المناقشة :

(١) اذكر شيئاً مما كتبه أسلافنا من علماء المسلمين عن الحوت .
(٢) ورد ذكر الحوت في القرآن الكريم ، فما مناسبة وروده ؟
(٣) في القطعة وصف لما يفعله الصيادون حين يظفرون بصيد الحوت . وضح ذلك ؟
(٤) للحيتان نوعان مختلفان تبعاً لنوع التغذية . اذكرهما ، ووضح الفرق بينهما .
(٥) ما تفسير النافورة التي ترى مرتفعة فوق رأس الحوت ؟
(٦) للحوت قدرة عجيبة على تحمل الاختلاف الكبير في درجة الحرارة والضغط . وضح ذلك ؟
(٧) كيف تسنى للعلماء أن يقدروا عمر الحوت ؟
(٨) لم أصاب الكساد مهنة صيد الحوت خلال القرن الماضي ؟
(٩) لم نظمت عمليات صيد الحوت بمعاهدات دولية ؟

Marfat.com

جَوْلة في المَمْلكة المغربيّة

المملكةُ المغربيةُ إحدى دولِ الشمال الغربي من أفريقيا التي تعرف باسم « المغرب العربي » ويضمّ تونسَ والجزائر أيضاً . ومساحةُ المغرب أكثرُ من أربعمائة وخمسةٍ وأربعين ألف كيلومتر تطلّ على المحيط الأطلسيّ والبحر المتوسط . ويمثل المغرب مناخ البحر المتوسط خير تمثيل ، ويقع موسمُ الأمطار فيه شتاء ، وتؤدي غزارةُ المطر مع ارتفاع الجبال إلى نموّ مساحاتٍ كبيرة من الغابات من أشهر أشجارها الأرز . ويتكون سكان المغرب من البربر الذين يسكنون معظم المناطق الجبلية ، ومن العرب الذين يسكنون السهولَ الساحلية . ويبلغ عدد السكان وفقاً لإحصاء عام ١٩٧١م خمسة عشر مليون نسمة .

ومن أشهر حاصلات المغرب : الزيتون والحبوب والكروم والقمح والشعير والذرة ، وفيه ثروةٌ معدنية هائلة ، وهو يأتي في المرتبة الثانية بين دول العالم في إنتاج الفوسفات . وفي المغرب مساحات كبيرة صالحة للرعي .

والرباط هي عاصمة المملكة المغربية ، وهي مدينة الشجر والزهر ، يجتاز الداخل إليها جنةٌ حافلةٌ بالأشجار السامقة[1] ، والأزهار الفوّاحة الشّذَى[2] ، وشتى مظاهر الطبيعة الساحرة . والرباط يطلق عليها اسمُ « رَباطِ الفتح » لأنها كانت رباطاً عسكرياً ، ولها سورٌ كبير كانت تقوم فيه أبواب تاريخيةٌ عظيمة كباب الرواح ، وباب قصبةِ الوِدايــة .

وعلى مسافة من الرباط ، تقــوم منارةٌ ضخمة ، ضاربةٌ في الفضاء ، تسمى :

---

(١) العالية الطويلة . (٢) المنتشرة الرائحة الزكية .

Marfat.com

« صَومعةَ حسّان » ، يصعد فيها الصاعدُ فيرى المدينةَ ممتدّةً في منظرٍ خلّاب ، ويرى مصبَّ نهر « أبي رقراق » ، ويرى مدينة « سَلاَ » ذاتَ الآثارِ الرومانية الرائعة ، ويشاهدُ « قصبةَ الوِداية » البيضاء ، تلمع وسط الأسوار العالية ، كأنها جوهرةٌ كبيرةٌ متألقة .

ويرى المتجول في أسواق « سلا » و « الرباط » صُنّاعاً كثيرين ، لهم قدمٌ راسخةٌ ، في الاحتفاظ ، بالطابعِ العربيّ الأصيلِ ، لصناعاتهم ، كصناعات : الجِلْدِ ، والأواني النُّحاسيّةِ ، والحديديةِ ، والزَّرابيِّ[1] والطُّرزِ .

والذاهب إلى « مِكْنَاسَ » يَجْتَاز « غَابَةَ المَعْمُورَةِ » المُترامِيَةِ الأطراف ، الزاخرةِ بأشْجارِ الفلّينِ . وحين يُشْرِف على المدينةِ يُرَى مِنْ حَوْلِهَا نِطاقاً مُثَلَّثاً ، من الأَسْوَارِ والحُصُون ، المُمْتَدَّةِ إلى مدىً بعيد . فإذا دَخَلَ المدينةَ ، رَاعَهُ مَا يرَى من أَبْنِيَةٍ عتيقةٍ ، ضَخْمَةٍ ، تُثِيرُ في النفسِ الهيبةَ والجلالَ ، ويَسْتَهويه ما يَجِدُ في أسواقها من زَرَابِيَّ ، مُوَشَّاةٍ بأشكالٍ هندسيةٍ بديعة ، ومن مصنوعاتٍ خشبيةٍ ، مصبوغةٍ بمُخْتَلِفِ الألوانِ . والذي يُطِلُّ من « مكناس الحديثة » يتراءى له من بعيدٍ ، جبل « زرهُون » ، ويَرَى سَهْلَ « مَجاط » الخِصْبَ ، المشهورَ بكُرُومِهِ ، وحقولِه ، وحدائِقِهِ ، والواقِعَ على الطريقِ المُؤَدِّي إلى الأطْلَس المُتَوَسِّطِ ، حيثُ توجَدُ غاباتُ الأَرْزِ العتيدةُ ، الشامخةُ .

وزائرُ مدينةِ « فاس » ، يجدُها تمارسُ ما كانت تمارسُه من قديمِ الزمان من تجارةٍ ، تزدَهِر أسواقُها بمختلفِ الصناعاتِ المحلّيّةِ الدقيقةِ ، ومن ثقافةٍ إسلاميةٍ أصيلةٍ ، يَشِيعُ نورُها من دُورِ العلمِ ، وبخاصّةٍ من « جامعةِ القَرَوِيِّينَ » .

والذاهِبُ إلى « مُرَّاكِش » ، يَمُرُّ في طريقه إليها ، بمُصْطَافِ « يِعْران » ، يزيدُ ارتفاعُه على ألفِ قدمٍ ، فوقَ سَطْحِ البحر ، والذي تكسُو الثلوجُ أرضَه في الشتاء ، فيَتَرَدَّدُ عليهِ هواةُ « الانزلاقِ على الجليدِ » . و « مُرَّاكِش » هي

---

(١) جمع زربى : وهو ما بسط واتكىء عليه

Marfat.com

جوهرةُ الجنوبِ ، وهي المدينةُ الثانيةُ في المغربِ قِدَماً وعَرَاقَةً ، إلا أن الآثارَ الموجودةَ بها آثارٌ حديثَةٌ ، وأهَمُّهَا « قَصْرُ الباهِيَةِ » الذي شُيِّدَ في نهاية القرنِ التاسِعَ عشَرَ الميلاديِّ ، وهُوَ يستهوي القلوبَ ، بما فيه من جَنَّاتٍ ، ذاتِ طابَعٍ مَغْرِبِيٍّ ، وزَخَارِفَ أَنْدَلُسِيَّةٍ رائعةٍ .

ولأسواقِ « مراكش » ميزةٌ تخصُّها من دونِ الأسواقِ الأخرى ، فهي تَمُوجُ بِسُكَّانِ الجنوبِ ، وبِسُكَّانِ « الأَطْلَسِ » الجَبَلِيِّين ، وهؤلاءِ وأولئكَ يَمشُون في الأَزِقَّةِ ، المُظَلَّلةِ بالقَصَبِ ، مُصْطَحِبِين جِمَالَهُم وحَمِيرَهم ، في غُدُوِّهم إلى السوق ، وفي رَوَاحِهم منها . ولِكُل حرفةٍ حيٌّ خاصٌّ بها .

ومن أرادَ أن يرى منظراً رائعاً فريداً ، يجتمعُ فيه النخيلُ والثلجُ في إطارٍ واحدٍ ، فما عليه إلا أن يميلَ إلى مِنْطَقَةِ « أغراسِ الزيتون » و « واحةِ النخيلِ » بمُرَّاكش ، فهناكَ تُطَالِعُه سلسلةُ جبالِ الأطلسِ الشاهِقَةِ ، التي غَطَّتْ قِمَمَها الثلوجُ ، وتناثَرَت أمَامَها أشجارُ النخيل .

وفي الطريقِ إلى مدينةِ « الدارِ البيضاء » توجدُ مدينة « آسْفى » ، وهي من أَهَمِّ مَوَاني صيدِ السردينِ في العالمِ ، حيث يكثرُ السمكُ في منطقتها ، على ساحلِ المحيطِ ، وهي — كذلك — من الموانِي الرئيسةِ في تصدير الفوسفات ، المستخرجِ من مناجمِ « كِشْكاطِ » القريبةِ منها .

أما « الدار البيضاء » نفسُها ، فهي العاصمةُ التجاريّةُ والصناعيَّةُ ، للمملكةِ المغربيةِ ، وهي مدينةٌ مترامِيةُ الأطرافِ ، تنمُو نمواً مُتزايداً ، وتمتازُ بضخامةِ الأبنيةِ ، ذاتِ الأشكالِ الهندسيةِ الجميلةِ ، كما تمتازُ بشواطِئِها الممتدةِ ، التي يُقْبِلُ عليها المصطافُون للسياحةِ والرياضة .

وللدارِ البيضاءِ مكانةٌ رفيعةٌ بين موانِي القارةِ الإفريقيةِ ، وقد شَهِدَت أحداثاً تاريخيةً خطيرةً في العصر الحديث .

Marfat.com

والمملكةُ المغربيةُ تَمْضِي إلى الأمامِ ، نحو مُسْتَقْبَلٍ زاهرٍ ، حافلٍ بأسبابِ الرقيِّ والمجدِ والرخاءِ ، بخُطُوَاتٍ وَثَّابَةٍ مُتَحَرِّرَة .

المناقشة :

١ – لِمَ يطلق على مدينة الرباط اسم « رباط الفتح » ؟
٢ – بِمَ تشتهر مدينتا « فـــاس » و « مراكش » ؟
٣ – أين يجتمع النخيل والثلج في إطار واحد بالمغرب ؟
٤ – بِمَ يشتهر ميناء « أسفى » المغربي ؟
٥ – ماذا عرفت عن مدينة « الدار البيضاء » ؟

Marfat.com

من المشكلات الاجتماعية :

الخطبة والخاطبة

تختلف عادات الخِطبة في البلاد العربية والإسلامية ، إلى درجة التناقض في بعض الأحيان . وقلّ أن نجد أحداً يسير على نظام الخِطبة ، الذي كان في صدر الإسلام . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أتاكم من ترضَوْن دينَه و خُلُقه فأنكحوه .إلاّ تفعلوه تكُن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير » ..

ومما يروى عن سعيد بن المسيّب ، وهو تابعيّ جليل ، عرف بالعلم والزهد ، أنه كانت له ابنة ، تناقل الناس بهاءها ، وجمالها ، ورجاحة عقلها ، وعلمها ، وأن الخليفة عبد الملك بن مروان ، أراد أن يخطبها لابنه ، وولي عهده الوليد ، ولكن سعيداً رفض ، على الرغم من كثرة مراجعته والإلحاح عليه ، وكان لسعيد هذا تلميذ ، اسمه « أبو وداعة » ماتت زوجته ، وفي مناقشة دارت بين الأستاذ وتلميذه ، ولم يكن يملك غير درهمين أو ثلاثة ، زوّج سعيد أبا وداعة ابنته التي رفض تزويجها الوليد بن عبد الملك ، على صداق قدره درهمان أو ثلاثة دراهم . وكان أبو وداعة يفكر في الاستدانة لإتمام الزواج ، ولكنه فوجئ بسعيد بن المسيّب ، الذي لم يكن يُرى إلاّ بين بيته والمسجد ، مدة أربعين عاماً ، يطرق عليه بابه ، ومعه ابنته ، ويقول له : قد أحضرت إليك زوجك . وكانت الزوجة من أجمل الناس ، وأحفظهم لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج !

أما في عصرنا الحاضر ، فيخلو الخطيب – في بعض البلاد – بمخطوبته ، قبل إعلان الخطبة ، ويصحبها في نزهات وزيارات ، في المتنزهات العامة ، والأماكن البعيدة . وليس معهما أحد من أهلها ، ويتردد على بيتها كأنه أحد أفراد العائلة ! وتزداد المجاملات ، والتكلّف ، والظهور بغير المظهر الحقيقي ، ليبدو كل من الخطيبين

Marfat.com

أمام صاحبه ، بما يحوز إعجابه وينال رضاه ، ويأخذ الخـــداع أشكالاً مختلفة ... ثم تتوالى المشكلات بعد الزواج !

وعلى النقيض من ذلك، يوجد في بعض البلاد الأخرى تشدد مبالغ فيه، إذ يخطب الرجل فتاة لا يعرفها ، ولا يرى منها شيئاً ، ولا يقرب البيت الذي تسكنه . وتوجد حالات تخطب فيها الأم ، ويتزوج الابن ، ويتم الزواج ، دون أن يرى الفتاة . وكثيراً ما يتم الزواج عن طريق الوسطاء !

ومن وسطاء الزواج : الخاطبة ، التي تسعى لتزويج الناس ، وتتخذ مـــن ذلك حرفة ، تبغي من ورائها الكسب .. وما أشبهها بدلاّل السلعة ، يهمه أن تباع الأجـــر .

والخاطبة إحدى امرأتين : جاهلة ، كالببغاء تحفظ ما يقال لها ، وتفرغه في أذن الخاطب ، ولا تعرف من معنى ما تقول شيئاً ، ولا ما يترتب عليه من نتائج . وامرأة شريرة ، تنصب فخاخها لتصطاد الباحثين عن المجهول ، ليقعوا في الفخ ، وتظفر هي بالأجر .

وكم من رجل راح ضحية الخاطبة ، بسبب أقوالها الزائفة ، وأوصافها البعيدة عن الصواب ، لمن تعرض عليه خطبتها .

والخاطبة الناصحة ليست محترفة ، ولا هي متخذة من عملها هذا مهنة ومَوْرِدَ رزق ، وإنما يختارها الراغب في الزواج ، ثقة فيها ، ويقيناً في أمانتها وإخلاصهـــا ، ليعرف عن طريقها ما لا يستطيع الوقوف عليه بنفسه ، وقد حوى تاريخ الأمة العربية ، أمثلة لخاطبات كن موضع الثقة ، وكنّ عند حسن الظن بهنّ ، وتمت عن طريقهنّ زيجات ناجحة . ومن ذلك ما حدث في الجاهلية ، قبل الإسلام بخمس وأربعين سنة ، كان الحارث بن عمرو ، ملكاً لكندة . بلغه أن ابنة عوف بن محلم الشيباني ، تمتاز بالجمال والكمال وقوة العقل ، فدعا امرأة من بني كندة ، اسمها « عصام » ، وكانت ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ،

Marfat.com

مضت « عصام » حتى انتهت إلى أم الفتاة ، فأعلمتها بما قدمت من أجـــله . وأرسلت الأم إلى ابنتها، وقالت لها : أي بنية ! هذه خالتك أتت لتنظر إليك، فلا تسترى عنها ما أرادت النظر إليه ، من وجه وخلق ، وناطقيها إن استنطقتك [1] .

دخلت « عصام » على الفتاة، فرأت ما قرّت به[2] عينُها، بهجة وحسناً ، وجمالا ، ووجدتها أكمل الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداعَ من كشف القناع .

ولما عادت إلى الحارث ، قال لهـــا : ما وراءَكِ يا عصام ؟ أخبريني . قالت أخبرك صدقاً وحقاً ، رأيت جبهةً كالمرآة الصقيلة[3] ، يزينها شَعرٌ حالك كأذناب الخيل المضفورة ، إن أرسلَتْه خلْتَه السلاسل ، وإن مشطته قلت : عناقيد كَرْم [4] جلاها الوابل[5] ، وحاجبين كأنما خُطّا بقلم، أو سُوّدا بحِمم[6] ، قد تقوّسا على عين الظبية العَبْهرة[7] ، التي لم يَرُعها قانص ولم يخِفها قَسْوَرَة[8] ، بينهما أنف كحد السيف المصقول ، ليس به قِصَر وليس به طول ، شُقّ فيه فم حلوُ المُبتسَم ، فيه ثنايا[9] غُرّ ، وأسنان تبدو كالدُّر ، يتقلب فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، يحركه عقل وافر ، وجواب حاضر .

فأرسل الحارث إلى أبيها فخطبها ، فزوّجه إياها ، فكانت من خيرة الزوجات .

هذه خاطبة . فماذا نقول في خاطبات اليوم ؟

المناقشة :

١ ــ علامَ يدلّ ما فعله سعيد بن المسيّب في زواج ابنته ؟
٢ ــ ما رأي الكاتب في خاطبات اليوم ؟
٣ ــ بمَ أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام في موضوع الزواج ؟
٤ ــ وصف الكاتب الخاطبة بوصفين .. ما هما ؟
٥ ــ فيمَ يضرب المثل العربي : « مـــا وراءكِ يا عصام » ؟
٦ ــ مـــا معنى : « ترك الخداع من كشف القناع » ؟

---

(١) طلبت منك أن تتكلمى. (٢) سرت وسعدت . (٣) المستوية . (٤) الكرم: العنب . (٥) المطر . (٦) الحمة قطعة الحجر السوداء . (٧) الممتلئة الجسم . (٨) الأســد . (٩) الأسنان الأمامية .

Marfat.com

شَيخ الإِسلام ابن تيميّة

هو أحمدُ تقيُّ الدينِ أبو العباسِ ، وُلِدَ في العاشِرِ من شهرِ ربيعٍ الأول سنَةَ إحدى وستين وستمائةٍ من بعدِ الهجرةِ النبوية ، وكان مولدُه بمدينةِ « حرّان » وفيها نَشَأَ إلى أن بَلَغَ السابعةَ من عمره . فلما أغارَ عليها التَتّارُ ، فرَّ أهلُوها منها إلى دِمَشْقَ ، وكانت أسرةُ ابنِ تيميةَ من بين أولئك المهاجرين .

كانت أسرةُ ابنِ تيميةَ أُسْرَةَ علْمٍ ، أثمنُ ما تمتلكُ الكتبُ التي هي للعلماءِ متاعٌ وثروةٌ وغذاءٌ ، حملوها معهم في رِحلةٍ شاقّةٍ عسيرةٍ ، حتى إذا بلغُوا دمشقَ . استقرُّوا فيها آمنين ، بعد أن رَأَوْا الهولَ الأكبرَ في غاراتِ التتارِ المفسدين ، فانطبعَ في نفسِ ابن تيميةَ منذُ الصغرِ كُرْهُ التَتَارِ وكُرْهُ الاعتداءِ ، ولَعَلَّ هذا يُفَسِّرُ ما كانَ منه من قِيادةِ الجحافلِ لقِتالهم ، بعد أن استَوَى رَجُلاً ، مُكْتَمِلَ القُوَّةِ .

نشأَ ابنُ تيمية فوجد أباهُ ، الشيخَ شهابَ الدين ، وجدَّه الشيخَ مجدَ الدين على قَدْرٍ كبيرٍ من العلمِ والتقديرِ ، حتى أنَّهُما كانَا يُعَدَّانِ من أئمَّةِ الفِقْهِ الحنبليّ . فكانَ ذلك مُوَجِّهًا لهُ إلى العلمِ ، منذُ صِغَرِه ، حَفِظَ القُرآنَ الكريمَ مُنذ حداثةِ سِنِّه ، واتّجَهَ بعد حِفْظِه ، إلى حِفْظِ الحديثِ واللُّغَةِ ، وتَعرُّفِ الأحكامِ الفِقْهِيَّةِ . وكان يَتَمَيَّزُ بالجِدِّ والاجتهادِ ، وقوَّةِ الذَّاكرةِ ، والذَّكاءِ الحادِّ ، فساعدهُ ذلكَ على التَفَوُّقِ والنبوغِ ، في كثيرٍ من العلومِ ، كالرياضياتِ والعلومِ العربيةِ ، وحفظِ المنظومِ والمنثورِ ، ومعرفةِ أخبارِ العربِ في القديمِ ، والبراعةِ الواضحةِ في علمِ النحو ، والفقهِ الحنبليِّ .

وقد تَوَلَّى ابنُ تيميةَ التدريسَ في الجامعِ الكبيرِ بدمشقَ ، وهو في الثانية

Marfat.com

والعشرين من عمره ، في المكانِ الذي خلاَ بوفاة أبيهِ ، فجلس نظيراً لأئِمَّةِ الحديث الممتازينَ ، كابنِ دقيقِ العيد ، وغيرِه من أئمةِ ذلك العصر . وقد اتجهت إليه الأنظارُ ، وكثُرَ مُرِيدُوه والمُعْجَبُونَ به والمُلْتَفُّونَ حَولَهُ .

وكانَتْ دُرُوسُه ـ وإنْ تَعَدَّدَتْ نَواحِيهَا ـ يَجْمَعُهَا اتجاهٌ واحدٌ ، وهو احياءُ ما كانَ عليه الصحابةُ ، أهلُ القَرْنِ الأولِ ، الذين تَلَقَّوْا الإسلامَ صَافِياً ، لم يُرَنَّق بأفكارِ غريبةٍ ، أو نِحَلٍ بائدةٍ .. وقد اتَّجه ابنُ تيميةَ إلى إزالةِ البدع والمنكراتِ . من ذلك أنه علم بأن صخرةً تُزارُ وتُنْذَرُ لها النذورُ ، فذهبَ مع أصحابهِ ومعهم حَجَّارُون يقطعون الصخور فقطعها وأراحَ المسلمين من وِزرِها .

وكانتْ لابنِ تيميةَ وَقَفَاتٌ تاريخيةٌ ، لنُصْرَةِ الدَّولةِ والعامَّةِ ، عندَ إغَارةِ المُغِيرينَ ، فَعِنْدَمَا جاءَ التَّتَارُ إلى الشَّامِ في نهايةِ القرنِ السابعِ الهجريّ ، فَرَّ كثيرونَ من أعْيانِ العلماءِ ـ مَعَ مَنْ فَرَّ ـ إلى مِصْرَ ، حتى أصبحَ البَلَدُ شَاغِراً من الحُكَّامِ وَكِبَارِ رِجالِ الدِّين ، ولكنَّ ابنَ تيميةَ كانَ العالِمَ الوحيدَ ، الذي بقِيَ مع العامّةِ ، فَلَمْ يَفِرَّ ، ولم يَخْرُجْ ، بل جَمعَ من بَقِيَ من أعيانِ دِمَشْقَ ، وَذَهَبَ على رَأْسِ وَفْدٍ منهم ، يُخَاطِبُ مَلِكَ التَّتَارِ في الامتناعِ عن دُخُولِ دِمَشْقَ ، واسْتَطَاعَ بقُوَّةِ إقْنَاعِهِ وثَبَاتِ قَلْبِهِ ، أنْ يَحْصُلَ على وَعْدٍ من ملكِ التتارِ بألا يدخُلَ جنودُه دمشقَ ، ولكنهم لم يَلْبَثُوا أنْ نَقَضُوا العَهْدَ ، فَدَخَلُوها وعاثُوا فيها فَسَاداً ، ثم غَادَرُوهَا .

وفي عام ٧٠٢ عاد التَّتَارُ بجموعِهِم إلى الشامِ ـ بعد أن سَبَقَتْهُمْ الشَّائِعَاتُ بأنَّهُمْ عازِمُون على دخولِ الشامِ ومصرَ ـ فاسْتَعَدَّتْ لِمُلاقَاتِهِم الجيوشُ المصريَّةُ والشاميَّةُ وَتَحَالَفَ العُلَمَاءُ والقُضَاةُ والأُمَرَاءُ على أن يُلاقُوا العَدُوَّ ، وكان ابنُ تيميةَ يُحَرِّكُ النَّخْوَةَ في القلوبِ ، ويَعِدُ الجيوشَ بالنصرِ . وقد امتطى صَهْوَةَ جَوَادِهِ ، وخَرَجَ إلى ميدانِ القتالِ مُحَارِباً ، فَأبْلَى بَلاءً حَسَناً حتى انتصرَ جُنْدُ مِصْرَ والشَّامِ ، وانحسرَ جُنْدُ التَّتَارِ إلى الجِبالِ والتِّلالِ ، وَمِنْ ورائِهم ابنُ تيميةَ ، ومَنْ مَعَهُ من الجُنُودِ ، يَضْرِبُون ظُهُورَهُمْ ،

Marfat.com

ويَرْمونَهم عن قَوْسٍ واحِدَةٍ ، حتى زَالَ خَطَرُهُمْ ، وكانَ ذلكَ آخِرَ عهدِهم بالإغَارَةِ بَعْدَ أن كانَتْ غَارَاتُهُمْ تهزُّ المشرقَ والمغربَ من أقْدَمِ العُصُورِ .

وفي عام ٧٠٥ سارَ ابنُ تيميةَ إلى مِصْرَ ، وأقامَ بِهَا أكثرَ من سَبعِ سنواتٍ كانَ فيها مَوْضِعَ التقديرِ والإجلالِ ، وإنْ نَالَهُ بعضُ الأَذَى مِنْ حُسَّادِهِ والمُنَافِسِينَ لَه . وقد أَلْقَى في مِصْرَ دُروساً كثيرةً في المساجِدِ وعلى المنابِرِ ، يُفَسِّر بَعْضَ آياتِ القرآنِ الكريم ، ويَعِظُ وَعْظاً ينتفعُ به العَامَّةُ ، ويَعْقِدُ مَجَالِسَ للمُنَاظَرَةِ ، فَنَفَعَ اللهُ به خَلْقاً كثيراً ، ورَأَوْا فيهِ رَجُلاً خَالِصاً في قَلْبِهِ وعَقْلِهِ للهِ رَبِّ العالمين .

وقد أمضى ابنُ تيميةَ حياتَه في إفادةِ الناسِ بعِلْمِهِ ، إماماً في الفِقهِ والتوحيدِ ، مجاهداً في سبيل الله . منصرِفاً إلى العلمِ والتأليفِ ، حتى ثَوَى إلى رحمةِ رَبِّه ورضوانِه عام ٧٢٨ بعد أن جاهَدَ أكثرَ من ثلاثينَ سنَةً في ميادينِ العلمِ والحربِ وهو في المَيْدَانَيْنِ كالجَوْهَرِ الجيِّدِ ، لا يَزِيدُهُ الاحْتِكَاكُ إلاَّ لَمَعَاناً وصَقْلاً . يعلو من أوجٍ إلى أوجٍ ، ومن درجةٍ إلى درجةٍ ، حتى أَقَرَّ بفضلِه المخالِفُ والموافِقُ ، فكان مَعْدِناً خَالصاً ، لا زالَ اسمُهُ يَرِنُّ ، وسيَسْتَمِرُّ بين الخَالِدِينَ إلى يومِ الدِّين .

المناقشة :

١ – لمَ هاجرت أسرة ابن تيمية إلى دمشق ؟ ومتى ؟
٢ – ما أثر غارات التتار وإفسادهم على نفس ابن تيمية ؟
٣ – اتصف ابن تيمية بصفات شخصية عالية . اذكرها ؛ وبيّن أثرها في علمه .
٤ – كان لدروس ابن تيمية على كثرتها وتنوعها هدف أساسي . ما هو ؟
٥ – لابن تيمية وقفة تاريخية مع ملك التتار . اذكرها ، وبيّن دلالتها .
٦ – كان ابن تيمية مجاهداً ومحارباً إلى جانب علمه وتأليفه . وضّح ذلك.

Marfat.com

كيف نَستعيدُ فِلسطين

مَاذَا عَسَى أن أقولَ عن فلَسْطِين ؟ وهل أثْبَتَتْ التجارِبُ جدوَى الأقوال ، في استعادةِ الحقوقِ المسلوبةِ ، والكراماتِ المهدورةِ ؟ وهل حكَى لنا التاريـــخُ ، منذ أن بدأ الناسُ يُعْنَوْنَ بتدوينهِ ودراستهِ ، عن « حُرّيّةٍ » وَهَبَهَا الغاصبُ للمغصُوبِ ؟ أو « حَـــقٍّ » أسْلَمَهُ مُعتَدٍ ظالمٌ إلى أهلِه وَذَوِيه ؟. إنّ شيئاً من ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ ، والحُرّيّاتُ والكرَامَاتُ إنّما تُنْتَزَعُ انْتِزَاعـــاً ، وحتى تَحْصُلَ الأُمَمُ على حُقوقِها المسْلُوبةِ ، قد تَتَهاوَى الجُمُوعُ ، وتسيلُ البطاحُ بدِماءِ الشُهَدَاءِ ، وقد بَذَلُوا أرْوَاحَهُم ودماءَهُمْ رخيصةً ، في سبيلِ حمايةِ معتقداتِهِم وأوطانِهِم . هذه حقيقةٌ ثابتةٌ ، لا تتغيرُ دَائماً ، وَلَئِنْ كُنّا لاَ نَزَالُ نَسْمَعُ كُلَّ يَوْمٍ ، بأنْباءِ اعتداءٍ ، أو حوادثِ اغتصابٍ ، فإنما يَعْني كلُّ ذلكَ مَدَى إدْراكِ تِلكَ الشّعُوبِ المغْلُوبةِ على أمرها ، لهذهِ الحقيقةِ أو قُدْرَتِها على إنقَاذِها . وَلِأمْرٍ مَا استَهلَّ الشّاعرُ العربيُّ قصيدتَهُ لممدوحه المنتصر يقول :

السيفُ أصْدَقُ إنباءً من الكُتُبِ في حَدّه الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللّعِبِ

وهـــذا حَقٌّ ! .

فالسيفُ دائماً صادقُ القولِ ، قصيرُ اللهجةِ . وفلسطينُنَا العزيزةُ ذهبت ضحيةَ أطماعٍ وأحقادٍ ، ولن أتعرَّضَ للابَسَاتِ الغَزْوِ الصهيونيّ ، وما تَبِعَهُ من تشريدٍ لأصحابِ الأرضِ الشرعيين ؛ لأنَّ ذلكَ قد يدفعُ بي ، إلى الخروجِ عن فكرةِ هذا الحديثِ ، لكني سأحاولُ – في إيجازٍ – استعراضَ النتائجِ ، التي تلتْ ذلك الوعدَ المشئومَ ، الذي قطَعَهُ على نفسِه ، من لا يملِكُ التصرّفَ فيه ، وإلاّ ، مَتَى كانَ (بَالْفورْ) مَالِكاً لهذا الجزءِ العزيزِ من وطننا العربيّ ، حتى يدفَعَ به لقمةً سائغةً ، لشراذِمِ اليهودِ ، المشرَّدين في الأرضِ .؟

Marfat.com

إنها إحْدَى صورِ المآسي ، التي لا زَالَ وطَنُنَا العربيُّ يُعاني من وَيْلاَتِها (استعماراً ظالماً) يجْثُمُ على الكَوَاهِل ، لِيَجْتَنِي خيرَ الوطَنِ ، وَيَسْتذِلَّ أبناءَه ، أو ذيولاً ، وحواشيَ لذلك الاستعمارِ ، تَحْمِلُ ، وترسّمُ خُطَاهُ .

وما حَدَثَ في فِلَسْطينَ العزيزةِ ، ليس سوى النهايةِ الطبيعية ، التي قَدَّرَهَا المسْتَعْمِرُون ، وَعَمِلوا من أجْلِها . وقامَ العَرَبُ – وقد صَدَمَتْهُمُ الحقيقةُ المُرَّةُ – قَاموا لاسْتِرْدَادِ وَطَنِهِمْ السّليبِ ، وتربّصَ بهِم الاستعمارُ ، ليحولَ دونَ ذلكَ ، فقاوَمَ اندِفاعَهُم بارِزاً ومستَتِراً ، قاوَمَهُ بإيجادِ الفُرقةِ بينَ قادَةِ العُروبَةِ ، واستمالَةِ بعضِهِم ، ثم بالأسْلِحَةِ الفاسِدَةِ ، التي مَزَّقَتْ أيْدِي رُمَاتِها ، قبل أن تنطَلِق . ثمَّ جاءت ساعةُ الصِّفْرِ ، وكانتْ طائراتُ العربِ – إذْ ذاكَ – تُلْقي قَذَائِفَها ، في قلبِ عاصمةِ اليهودِ ، جاءت لتُعْلِنَ فيها الهدنةَ الظالمةَ ، والتي قَبِلَها العربُ ، ليَضَعُوا نِهايةً ، غيرَ مُشَرِّفَةٍ ، لجِهادٍ ، كان من المحْتَمَلِ أنْ يأتِيَهُمْ بأطيبِ الثمارِ ، . وقامت دولةُ العصابات ، وبَسَطَ المستَعْمِرونَ عليها حمايَتَهُم ، وانهالُوا عليها ، يمدّونَهَا بعَوَامِلِ البَقَاءِ ، وَعَنَاصِرِ التمكينِ . وبدأت الأعوامُ تمرّ ، والشعبُ العربيّ الفِلَسْطِينيّ ، يهيمُ على وجهِهِ في القِفَارِ وَالمتاهَاتِ ، يُصَوِّرُ للدنيا جِنَايةَ المستعْمِرِ ، وَتَخَاذُلَ الحُمَاة .

لا زِلْتُ عندَ وَعْدِي ، في عَدَمِ التّعَرّضِ ، لملابَساتِ ذلكَ الغزْوِ الصهيونيّ الغَادِرِ ، لكنِي لن أستطيعَ – بحالٍ – أن أتجاهَلَ الوَضْعَ المُزْرِي الحقيرَ ، الذي يعيشُهُ أولئكَ اللاجئونَ في أكواخِهِم البالية، في رعايةِ « وَكالَةِ الْغَوْث » الخَادِعَةِ ، ولنْ أستطيع – بحالٍ – أن أتجاهلَ عناصرَ الشرّ والمكْر، وهي تُقَوّي تلك الدولةَ الدخيلة « بالسلاحِ » و « بالمالِ » ، لتفتِكَ ، وتُدَمّر ، وتَبْسُطَ نفُوذَهَا في هذا الجزءِ الغالي ، من جسمِ الأمةِ العربيةِ .

وقضيةُ فلسطينَ لم تَعُدْ بحاجةٍ إلى هُتافَاتٍ وأقوالٍ ، وليست – في اعتقادي – ورقةً رابحةً ، يتداولها الزعماءُ ، لِكَسْبِ شعوبِهِمْ . إنها أكبرُ من ذلك وأعظمُ ، إنها بدايةَ النذيرِ لكلّ بلادِ العروبةِ . ولم يَعُدْ سرّاً ، ما يطمح إليه قادةُ اليهودِ ،

Marfat.com

من بسطِ نفوذِهم ، في كلّ بلاد العربِ . وهذا ما كتبهُ الزعيم اليهودي (بن هيخت) في جريدة « نيويورك تايمس » ، في شهر إبريل ١٩٤٨م ، يقول ما معناه : —

« انهُ لا سبيلَ إلى التفاهمِ مع العَرَبِ ، إلا بإعدادِ حملةٍ يهوديةٍ ، تَحتَلّ « المدينةَ » ، وتفعلُ كذا وكذا بالضريحِ النَبَوِيّ !! وحينئذٍ يبادر إلينا العربُ ، أذِلاّءَ ، خُشّعاً ، يَرْجُونَ التفاهمَ مَعَنَا » .

هذه مشاعرُهم ، وتلك أهدافُهم ، ومن الخير أن تَصِلَ إلى كلّ قلبٍ ، وأن تَطْرُقَ كلَّ أُذُنٍ ، حتى يعلم أبناءُ الإسلامِ ، حقيقةَ هذا الخطَرِ الدّاهِمِ ، الذي يَتَرَبّص بهم ، ويَتَرَقّبُهُمْ .

وَهُنا قد يقولُ قائلٌ : قد وَصَفْتَ ، ولكنّك لم تُعَالِــحْ ! وأحرَى بالوَصْفِ أن يَعْقُبَهُ علاجٌ ، يقضي على الداءِ ، ويَشْحَذَ الهِمَمَ للمُدافَعَةِ ، والمقاوَمَةِ !

وهي مشكلةٌ عويصةٌ ، عاشتْ في عقولِ العرَبِ ، وأعصابهم ، أكثر مــن ثلاثَةَ عشَرَ عاماً ، وهي التي تَلَتْ قيامَ ما يُسَمى بدولةِ « إسرائيلَ » . وقــد شَغَلَتْ أذْهانَ العُقَلاء ، والسّاسة ، لكنّهَا لاَ تَزَالُ كالجُرْحِ الغائرِ ، يَنْزِفُ الدَّمَ ، ويَبْعَثُ بالألَم . وأنا إذْ أُساهِمُ بما أعْتَقِدُ جَدْوَاهُ ، لا أدّعي ما ليسَ لي ، لكنّي وَأنا أتمَثّلُهُ خَطَراً داهِماً ، وَعُدواناً جاثماً ، لا يقْتَصِرُ على أمّةٍ عربيةٍ دُونَ أُخرى ، أرَى كلَّ مُسْلِمٍ ، في بِلادِ العُروبةِ ، مسئولاً عَنْ دَوْرِهِ ، وَقِسْطِهِ ، من هذا الواجِبِ العامِّ الشامِلِ . ثمَّ ألَسْنَا بما نحْنُ عليهِ اليوم ، قَدْ بَعُدْنَا كثيراً عن تعَاليمِ ديننا الحنيفِ ، وأعرَضْنَا عنْ يَنَابِيعِــهِ الطّاهِرَةِ الكريمةِ ؟. وإلاّ ، فَلأَيِّ شَــيْءٍ تُشِيرُ هذه الوَقَائِــعُ ، في كُلِّ بلاد العروبةِ المسلِمَةِ ، إذْ تَحْتَكِمُ لِغَيرِ شريعَةِ الله ، وتَتَجَاهَلُ أخْطَرَ أعداءِ المسْلِم ؟. وهيَ الخرَافَةُ والتّضْلِيلُ ، التي صَرَفَتْ جموعاً غفيرةً ، مــنْ أبْنَاءِ العُروبةِ ، إلى الوَهْمِ الكبيرِ ، وهو طلَبُ العَوْنِ من العاجِزِ عنــه ، المستحيل عليه ، والانصرافُ عَنْ واهِبِ العَوْنِ ، وَجَزيلِ العَطاء !. نَعَــمْ ! جموعٌ تشدّ رِحَالها إلى أجداثٍ ، رميمةٍ ، قد بَلِيَتْ ، وَعَفَتْ ، تطلب منها ما

Marfat.com

هِيَ محتاجةٌ إليه. إنها كُبرى المهازِلِ، زَيّنَها الشّيْطانُ، لِيَصرِفَ أبْنَاءَ الإسلامِ، عنْ حقيقةِ الإيمانِ باللهِ. الواحِدِ الأحَدِ. إنهمْ يَعْصَوْنَ خالِقَهُم، وَيَنْتَقِصُونَ قدرَته وعِلْمَه. وَهذا كِتابُ اللهِ، فيهِ الوضوحُ، الذي لا يَدَعُ طريقاً إلى الشاكّ في الرَّيْبِ، إلاّ أغْلَقَهَا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾

فالأمُورُ كُلُّها بمشيئَتِهِ، وَتحْتَ إرَادتِه. وذلك يستلزِمُ مُنَاجَاتَه، وإخلاصَ الدعاءِ لَهُ، وَإنابَةَ القلبِ إليه. وكُلٌّ هالكٌ ـ مَهْما عَلاَ قَدْرُهُ ـ محتاجٌ إلى دعاءِ ربّهِ، واستغفارِهِ، لأنه لا يملكُ لنفسه نفعاً، ولا ضَرّاً. وهي مشكلَةٌ. لا أقولُ قائمةٌ، ولكِنّها هادِمَةٌ، تَهْدِمُ الأساسَ، الذي ينبغي أن يُقيمه المسلمون، في قلوبهم، ونفوسِهِم، والذي يَرْبِطُهُم بخَالِقِهِم الواحِدِ الأحَدِ، المنَزَّهِ عَنِ المثيلِ والشبيهِ. ثمَّ هذهِ المنْكَرَاتُ الظّاهِرَةُ، في بِلادِ الإسْلامِ. والتي حَارَبَهَا، وأعْلَنَ بُطْلانَها، وَفَسَادَها، كُلُّها نَتَائِجُ لِمُقَدّمَاتٍ، قَدْ يَكُونُ منها ضَعْفُ الدّعَاةِ إلى دينِ اللهِ، وَفقْدَانُ إخلاصِهم لهذا الدّين، وَعَدَمُ أخْذِهِمْ أنفسَهم بِهَدْيِه وَتَعَالِيمِه، مما أدّى إلى انعدامِ تأثيرِهم.

وَلَئِنْ كُنّا نُفَكّرُ في استِعَادَةِ الوَطَنِ السّلِيبِ، فَلْنُفَكّرْ ـ قبلَ ذلكَ ـ في تَقْوِيَةِ الصّلَةِ باللهِ تبارك وتعالى، تلك الصلةُ الكريمةُ، التي ترتفعُ بالمسلمِ عن مَهاوي الضلال، ومتاهَاتِ الزَّيْغِ والانحِرَافِ، وتُنَمّي فيه شُعُورَهُ بكرامَتِه، وَحَقَّهُ الطبيعيّ في حياةٍ عزيزةٍ كريمةٍ. وبعدها، فليكُنْ واضحاً، أنَّ جَوْلَةَ الإسلامِ مَعْ أعدائِهِ، لا بُدَّ واقِعَةٌ، ومن الحمْقِ أن نَنتَظِرَ من أعدائنا، تَفَهّماً لِوَاقِعِنَا، أو دفاعاً عن قضايانا، والدلائلُ القائمةُ تحكي لنا انعكاسَ هذهِ المفاهيم، والقِيَم. وَلْيَعلَم كلّ مسلمٍ، أنه مُطالَبٌ بحماية دين اللهِ. وَهَلْ تَقَرَّبَ المسلمُ إلى ربّهِ، بَعْدَ تَوْحِيدِهِ لَهُ، بأعْظَمَ مِنَ الجِهادِ في سبيلِهِ،

Marfat.com

لتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُلْيَا ؟!

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ .

وأنا – إذْ أُعلِنُ هذهِ الحقيقة – لا أقولُ جديداً ، وإنما لأمُرَّ بها إلى الأذهانِ ، وهيَ مسئوليةُ المسْلِمِ ، في أيّ بلادِ اللهِ كانَ ، عنْ نُصْرَةِ دينِ اللهِ ، وإعلاءِ كلمتِهِ . وهو – إذاً – يندفِعُ ليُحَقّق هذهِ الأهدافَ الكريمة ، بتيقّنٍ ، في إيمانٍ عميقٍ ، إنه ينتهي إلى خيرِ ما يتمنّاه .. نَصْرٌ على الأعداء، وإعزازٌ لدينِ اللهِ ، وبَلاءٌ في سبيلهِ ، أو شهادةٌ كريمةٌ ، يفيدُ بها المسلمُ ، على ربٍّ كريمٍ ، منعمٍ ، متفضلٍ ، أوضحَ له طريقَه بقوله :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾

وما الذي يَبْقَى مَعَ المسْلِم ، ليُضْعِفَ مِنْ عزيمتِهِ ، أوْ يَشُلَّ إقدامه ؟. وحَبّذَا لَوْ وَجَد الشبابُ في مدارسِهِمْ ، ومَعَاهدِ علْمِهِمْ ، في كلّ أقطارِ العُرُوبَةِ ، اهتماماً منَ المسئولين ، بإدخالِ مادةِ « التدريب العمليّ » ضمنَ مناهجِ دراستِهِم. ولَوْ وَجَدَ غيرُهم مجالاً لإلمامِهِم ، ولو بمبادئ الدفاعِ العمليّ عن النفسِ والوطنِ .

وبَعْدُ ، فلَنْ يَسْتَعيدَ المسلمونَ فلسطينَ ، ولاَ غيرَهَا ، إلاّ بالجهادِ المقدّسِ ، تزْحَفُ بهِ جُمُوعٌ مؤمِنَةٌ ، تُقَاتِلُ ، لِتَكونَ كَلِمَةَ اللهِ هيَ العُلْيَا . ولاَ أحْسَبُ فِينَا ، مَنْ سَيُحْجِمُ عَنْ إجَابَةِ مِثْلِ هذا النّداءِ المؤْمِنِ ، وَصَدَقَ اللهُ العظيم حَيْثُ يَقُول :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

Marfat.com

المناقشة :

١ ــ ما الوعد الذي أشار إليه الكاتب في هذا المقال ؟ وبمَ وصفه ؟

٢ ــ كيف قاوم المستعمرون نضال العرب لاسترداد فلسطين ؟

٣ ــ أورد الكاتب أقوال زعيم يهودي في إحدى الصحف الأميركية . ما اسم هــذا اليهودي ؟ وماذا قال ؟ وعلامَ يدلّ قوله ؟

٤ ــ ما الحل الذي يراه الكاتب لمشكلة الخطر الإسرائيلي ؟

٥ ــ اقترح الكاتب إدخال مادة معيّنة على المناهج المدرسية . ما هي ؟ **وما فوائدها ؟**

٦ ــ الجهاد المقدس سبيل المسلمين إلى استعادة فلسطين . وضّح ذلك .

Marfat.com

وَصْفُ الشَّمسِ

لاحَ[1] منها حاجبٌ للنَّاظِرِين ... فَنَسُوا باللَّيلِ وَضَّاحَ الجَبين[2]
وَمَحَتْ آيتُها آيَتَهُ ... وَتَبَدَّتْ فِتنةً للعالَمين
نَظَرَ ابراهامُ[3] فيها نَظْرةً ... فَأَرَى[4] الشَّكَّ وما ضَلَّ اليَقِين
قال : ذا رَبِّي ، فلما أَفَلَتْ[5] ... قال : « إنِّي لا أُحِبُّ الآفِلِين »
ودَعَا القومَ إلى خَالِقِها ... وأَتَى القومَ بسُلْطانٍ[6] مُبِين
رَبِّ إنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وغَوَوْا ... ورَأَوْا في الشَّمسِ رَأْيَ الخاسِرِين
خَشَعَتْ أبصارُهم لَمَّا بَدَتْ ... وإلى الأَذْقانِ خَرُّوا ساجِدِين
نَظَرُوا آياتِها مُبْصِرَةً ... فَعَصَوْا فيها كلامَ المُرْسَلِين
نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرآتَها[7] ... تَتَجلَّى فيه حِيناً بعد حِين
ثم قالوا كيف لا نَعْبُدُها ... هل لها فيما تَرَى العينُ قَرِين[8] ؟
هي أُمُّ الأرضِ[9] في نِسْبَتِها ... هي أمُّ الكَوْنِ والكَوْنُ جَنِين
هي أُمُّ النَّارِ والنُّورِ معاً ... هي أمُّ الرِّيحِ والماءِ المَعِين[10]
هي طَلْعُ[11] الرَّوْضِ[12] نَوراً وجَنىً[13] ... هي نَشْرُ[14] الوردِ ، طِيبُ الياسَمِين
هي موتٌ وحياةٌ لِلْوَرَى[15] ... وضَلالٌ وهُدًى للغابِرِين[16]

---

(١) ظهر . (٢) القمر . (٣) لغة في إبراهيم وهو نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام
(٤) أظهر . (٥) غابت . (٦) برهان وحجة . (٧) التي تنعكس على أشعتها .
(٨) نظير . (٩) إشارة إلى ما يقال من أن الأرض كانت جزءاً من الشمس ثم انفصلت عنها وبرد سطحها بمرور الأزمان (١٠) النابع من العيون . (١١) الطلع أول ما يبدو من الثمرة .
(١٢) نور النبات . زهره . (١٣) ما يجنى من الشجر . (١٤) نشر الورد : رائحته المنتشرة .
(١٥) الناس . (١٦) أهل الأزمنة الماضية .

Marfat.com

صَدَّقُوا لكنَّهُم مـا عَلِمُوا أنَّها خَلْقٌ[1] سَيَبْلَى بالسِّنين
أإله لم يُنَـزَّهْ[2] ذاتَه[3] عن كُسُوفٍ، بِئسَ زَعْمُ الجَاهِلين
إنّما الشَّمسُ ومـا في آيِها[4] من مَعَانٍ لَمَعَتْ للعَـارِفِين
حِكْمَةٌ بالغةٌ قـد مَثَّلَتْ قُدرةَ اللهِ لِقَـومٍ غَافِلين

المناقشة :

١ ــ وضّح العلاقة بين شطري البيت الأول .

٢ ــ ما الفائدة التي تعود على المعنى من كلمة (بالليل) في الشطر الثاني من البيت الأول ؟

٣ ــ في البيت الثاني توضيح لمعنى البيت الأول . وضح ذلك .

٤ ــ تحتوي الأبيات على إشارة إلى ما قَصّه الله تعالى في سورة الأنعام عن إبراهـيم عليه السلام . اذكر الآيات التي اشتملت على هذه القصة .

٥ ــ ما المعنى الذي أفادته عبارة « إلى الأذقان » في البيت السابع ؟

٦ ــ مـا كلام المرسلين الذي عصاه قوم إبراهيم في البيت الثامن ؟

٧ ــ في البيت الثامن ظاهرة جغرافية . اذكرهـا .

٨ ــ وصف الشاعر الشمس عدة أوصاف . بيّنها ، واذكر الأبيات التي وردت فيها .

٩ ــ يقول الشاعر إن الذين اتخذوا من الشمس إلهاً كانوا جاهلين . اذكر حجتـه التي أوردها لبيان جهلهم .

١٠ ــ ختم الشاعر أبياته برأيه في الشمس . وضّح ذلك .

---

(١) من خلق الله . (٢) لم يصن (٣) نفسه (٤) آياتهـا .

Marfat.com

تحلية المياه*

الماء ضروري للحياة ، وحاجة الإنسان إليه ، لا تقل أهمية عن حاجته الى الهواء والغذاء ، ونور الشمس . وفي العالم مناطق يتوافر فيها الماء ، ومناطق أخرى تفتقر إليه ، وتعتمد على الأمطار التي تهطل عليها ، وتجميعها – بقدر الإمكان – لتسد حاجة السكان في أوقات الجفاف .

ومن الطريف أن نعلم أن ثلاثة أرباع سطح الأرض ، تغطيه المياه ، ولكن معظمها ، غير صالح للاستعمال المباشر ، ذلك لأن أكثر من سبعة وتسعين في المائة منها موجود في المحيطات وهي ملحة ، أما المياه العذبة فنسبتها تقل عن ثلاثة في المائة ، وليست كلها صالحة للاستعمال – مع ذلك – ، وإنما يصلح منها أربعةوثلاثون في المائة ، والباقي : إما جليد ، وإما كامن في أعماق الأرض ، على مسافات سحيقة ، تجعل الوصول إليه أمراً غير اقتصادي . والمياه الصالحة للاستعمال – مع قلتها – يضيع جزء كبير منها ، يتدفق في المحيطات ، من الأنهار ، والبحيرات ، ومن الطبقة العليا من الغلاف الخارجي للأرض . وفوق ذلك ، فإن كميات كبيرة من مياه الأنهار والبحيرات العذبة ، معرضة للتلوث ، في المناطق الصناعية ، مما يجعلها غير صالحة للشرب .

ونتيجة لكل ذلك ، فقد اتجهت بلاد العالم ، إلى البحث عن الطرق المناسبة ، لتحلية مياه البحار والمحيطات ، وهي تتفاوت في درجة الملوحة ، وكلما قلت نسبة الأملاح ، احتاجت تحليتها إلى جهود أقل . ويوجد في العالم

(*) للدكتور مروان راسم كمال ، قافلة الزيت ، شوال ١٣٩٤هـ – ص ٣١ (بتصرف) .

Marfat.com

– الآن – نحوُ أربعينَ ومائةِ مصنعٍ لتحليةِ المياه ، ويقعُ أكْثَرُهَا في النصفِ الشرقيِّ من الأرضِ ، وهي تُنْتج نحوَ خمسينِ وثلاثمائةِ مليونٍ من جالونات المياهِ ، في اليوم ، وأكبرُ هذه المصانِـــعِ هو مصنعُ تحليةِ المياهِ في الكويتِ ، وهو يُنْتِـــجُ أربعينَ مليوناً من الجالونات يومياً .

وتهتم المملكة العربية السعودية ، بالاستفادةِ من مياهِ البحر ، اهتماماً كبيراً ، وذلك لتوفيرِ المياه للسُّكان ، وللاستعمالِ في الأغراض الزراعية ، والمملكةُ تستخدمُ الطرقَ العلميةَ الحديثَة في تحليةِ المياه ، وقد أُنْشِئَ – حتى الآن – خمسُ محطاتٍ للتحلية ، موجودةٌ في : جدة ، والخبر ، والوجه ، وضبا ، والخفجي وسيَتِمُّ في القريبِ – إن شاء اللهُ – إنجازُ محطتين أخريين ، يجري العملُ في إنشائهما الآنَ ، في كل من : الجبيل ، وأملج . وبذلك يبلُغُ مجموعُ المحطاتِ سبعاً ، تُنْتِـــجُ في اليوم الواحد ، نحواً من ثلاثةَ عَشَرَ مليوناً من الجالونات ، من الماء النقي .

وهناكَ عدةُ طرقٍ ، تستعملُ في تحليةِ المياهِ ، في الوقتِ الحاضرِ ، ومنها طريقة التقطيرِ ، وطريقة التجميد ، وطريقة التنافُذِ العكسيّ ، وطريقةُ التحليلِ الكهربي ، وطريقة التبادُلِ الأيُّونيّ .

وطريقةُ التقطيرِ هي أكثرُ الطرقِ شيوعاً في تحليةِ المياه . وتبلُغ نسبةُ استعمالها ما يَقْرُبُ من خمسٍ وتسعين بالمائة ، وهي التي تستخدم في الكويت ، وفي المنطقتين الشرقية والغربية ، من المملكة العربية السعودية . وأساسُ هذه الطريقةِ هو تبخيرُ الماءِ المالِـــح ، ثم تكثيفُهُ ، فيتحول إلى ماءٍ عذب .

وطريقةُ التجميدِ ، تعتمد على تبريدِ الماء المالِـــحِ ، فينْتُجُ منه طَوْرَان ، أحدُهما مُكَوَّنٌ من الجليدِ ، الذي يُذاب ، فيُصْبِـــحُ ماءً عذباً ، والثاني ماءٌ مالحٌ ، شديدُ الملوحة .

وقد خضعت هذه الطريقةُ – ولا تزال تخضع – للعديدِ من الدراساتِ ، للتقليلِ من الطاقةِ التي تحتاج اليه من طاقةٍ كبيرةٍ ، لتجميدِ المياه ، وتعتبرُ نتائجُ هذه الدراسات مشجعةً ،

Marfat.com

على الاستمرارِ في القيامِ بالمزيدِ منها .

وطريقة التنافذ العكسيِّ ، تعتمد على استخدامِ غشاءٍ ، من نوعٍ معينٍ ، لفصل الأملاحِ عن المياه الملحة ، وهذا الغشاء يسمح بدخولِ الماءِ ، ويمنع دخولَ الأملاح التي يحتويها ، وللتَّغَلُّبِ على تسرُّبِ المياهِ العذبةِ إلى المِنْطَقَةِ التي تحتوي على نسبةٍ عالية من الأملاح ، يوضع ضَغْطٌ معيَّنٌ يمنع هذا التسربَ . والفرق بين الضغطِ المعاكسِ ، الذي يوقِفُ تسرُّبَ الماءِ ، وبين الضَّغْطِ التوازُنِيِّ ، على الماء العَذْبِ ، يعرف علمياً باسم « الضغط التنافذي » . وهناك صعوباتٌ فنيةٌ وعمليةٌ ، لا تزال تواجِهُ هذه الطريقةَ ، وتدعو إلى مزيدٍ من الدراساتِ لتذليلها . ويقتصر استعمالُ طريقةِ التنافذِ العكسيِّ ، على المياهِ ذاتِ الملوحة المنخفِضَةِ ، دون مياه البحار .

وطريقةُ التحليلِ الكهربيِّ ، تعتمدُ على وضعِ أغشيةٍ من نوعٍ خاصٍ ، بطريقة متواليةٍ بين قُطْبَين يُوضَعان في الماءِ ، أحدهما مُوجِبٌ ، والآخر سَالبٌ ، يَسْرِي بينهما تيارٌ كهربي مباشِرٌ ، وحيث إنَّ الأملاحَ الذائبةَ في الماء ، تتحول إلى أيوناتٍ ذات شِحنة موجبَةٍ ، وأخرى سالِبَةٍ ، فإن الأيُونَاتِ ذاتِ الشحنةِ السالبةِ الموجودةِ في الماء المالح ، تنتقل إلى القطبِ الكهربي الموجب ، الذي وُضِعَ في الماء، كما تنتقل الأيونات ذات الشحنَةِ الموجبةِ إلى القطب السالبِ . ومهمةُ الأغشية التي أشرنا إليها ، هي أن نِصْفَها يستقبل الأَيُونَاتِ ذاتَ الشحنةِ الموجبَةِ ، والنصفَ الثاني يستقبِلُ ذاتَ الشحنَةِ السالِبة ، فإذا وُضِعَتْ فواصلُ كهربيةٌ بين هذهِ الأغشيةِ ، تكوَّنَتْ مِنْطَقَتَان؛ إحداهما للماءِ الذي تنخفضُ نسبةُ الملوحةِ فيه، والأخرى للماءِ الذي ترتفع فيه هذه النسبةُ . وهذه الطريقةُ مُغْرِيَةٌ ، لأنها سَهْلَةُ التصميمِ والاستعمالِ ، ولكنَّ أمامَهَا عقباتٍ لا تزالُ في حاجةٍ إلى التَّغَلُّبِ عليها .

وتعتمد طريقة التبادل الأيوني ، على ما وصل إليه الكيميائيون ، من تحضيرِ « راتينجات عضوية » ، في استطاعةِ بعضها أن يستبدل أيونات « الهيدروجين » الموجبة ، بأي أيونٍ آخرَ موجودٍ في الماء ، يحمل شِحنةً موجبةً . وكذلك تعتمدُ

Marfat.com

هذه الطريقةُ على نوعٍ آخر ، استحضرَهُ الكيميائيــون ، يَستَبْدل أيوناتِ « الهيدروكسيل » السالبةَ ، بأيوناتٍ أخرى ، تحمل شحناتٍ سالبة . فإذا مرَّ الماءُ المحتوي على الأملاحِ ، خلالَ النوعِ الأولِ من الراتينجاتِ ، ثُمَّ مرَّ خلالَ النوعِ الثاني ، فإنَّهُ يصبِــحُ في الإمكان ، إزالةُ الأملاحِ ، المذابةِ في الماء ، والموجودةِ على شكل أيُونَات ، أي إنه يُمكن الحصولُ على ماءٍ نقيٍّ ، صالحٍ للشربِ .

وهذه الطريقةُ مجالٌ لتحسيناتٍ متواصلةٍ ، تدخلُ عليها ، والمياهُ التي تنتج عنها ، ذاتُ نسبة عاليةٍ من النَّقَاء .

المناقشة :

١ – معظم المياه التي تغطي سطح الأرض غير قابل للاستعمال المباشر . وضّح ذلك .

٢ – كيف يضيع جزء كبير من الماء الصالح للاستعمال ؟

٣ – لمَ اتجه العالم إلى تحلية مياه المحيطات والبحار ؟

٤ – لمَ تهتمّ المملكة العربية السعودية بالإفادة من ماء البحر ؟ وما مظاهر هذا الاهتمام ؟

٥ – ما أكثر الطرق شيوعاً في تحلية المياه المالحة ؟ وما أساس هذه الطريقة ؟

٦ – ماذا عرفت عن طريقة التجميد في تحلية المياه ؟

٧ – صف طريقة التنافذ العكسي في تحلية المياه ؟

٨ – صف طريقة التحليل الكهربي لتحلية المياه ؟

٩ – ماذا عرفت عن طريقة التبادل الأيوني في تحلية المياه ؟ وما ميزاتها ؟

Marfat.com

كَيْف يَنبغ المبْتكرُون

كان العربُ مُثُلاً عليا في الاختراع والابتكارِ . طلعوا على العالم يوماً بما بَهَرَ من علمٍ ومعرفةٍ ، فقد اخترعوا – مثلاً – علم الجبرِ ، وبرعوا في الرياضيات ، واكتشفوا في علم الكيمياءِ ، التقطيرَ ، وأهمَّ المُرَكَّباتِ الكيميائيةِ كالحامضِ الكبريتي ، والكحولِ ، واخترعوا في فنِّ الحربِ ؛ البارودَ ، والأسلحةَ النارية ، وأدخلُوا كثيراً من الأدويةِ المهمةِ إلى علمِ الطبِّ ، وهم الذين ابتكروا الصيدلة ، واستحدثوا الكثيرَ في علمِ الجراحةِ ، وكانوا أساتذَةً في العمارةِ والزخرَفَةِ ، واستخدموا البوصْلَةَ في الملاحَةِ ، وحَقَّقُوا الأعاجيبَ في علمِ الجُغرَافيَةِ ، حتى ظَلَّتْ أوروبا عالةً – لِعِدَّةِ قُرُونٍ – على كتابِ الإدريسيِّ في الجغرافية .. إلى كثيرٍ من أمجادِ الاختراعِ والبحث العلمي . ثم خَبَا سِرَاجُهُمْ ، وَذَهَبَتْ رِيحُهُمْ ، وخَلَفَ مِنْ بعدهم خلْفٌ أضاعُوا تراثَهُمُ فاحتَضَنَهُ الغريبُ عنهم ، وحسَّنَه ، وبَرَزَ فيهِ . ثم زادَ عليه ما تشاهِدُهُ من مخترعاتٍ ومبتكراتٍ علميةٍ حديثـــةٍ .

ولقد كان طبعيّاً أن نظَلَّ كذلكَ في بعضِ العصورِ المُظْلِمَةِ ، ولكننا في العصرِ الراهنِ ، ينبغي أن نستَرِدَّ ثِقَتَنَا بأنفسنا ، وأن نلتفت إلى ما كان لنا من ماضٍ قياديٍّ ، فنَسْتَمِدَّ مِنْهُ القوةَ على خَلْقِ حَاضرٍ مَجِيدٍ .

إن أبناءَ الأمَّةِ العربيَةِ أصبحوا يَتَلَقَّوْنَ من العِلْمِ ما يتلقاهُ أبناءُ الغربِ سواءً بسواءٍ، بل يُتاحُ لهم من الفُرَصِ ما لا يُتَاحُ لبَعضِ أبناءِ الغربِ .

وإذا كانتْ الشَّهَادَاتُ مقياساً للتفوقِ العِلمِيِّ ، فقد حَصَل العديدون من أبناء

Marfat.com

أمةِ العرب على أقصى درجاتِ التشريفِ العلميِّ ، ونالوا أعلى الشهادَات بتفوقٍ وامتيـــازٍ .

ومعَ هـَذا ، فإنَّ من النادِرِ أن تطالَعنا الأخبارُ بأنباءِ مكتشفٍ عربيٍّ ، أو اختراعٍ عربي علميٍّ حديث .

لا أعتقد أن هذه الأمةَ ، التي تَفَجَّرَ النورُ من أرْجَائِها ، وتَدَفَّقَ الخَيْرُ من أرَاضِيهَا ضَنِينَةٌ بالعَبْقَرِيَّاتِ، ولكنِّي أعْتقدُ أنَّ الثِّقَةَ بالنفسِ لا زالت تَنْقُصُنَا .

وحتى إذا طالَعَتْنَا الأنباءُ بخبرِ اختراعٍ لطبيبٍ ، أو عالمٍ ، عربِيَّيْنِ ، فإنما تصوِّر ذلك في صورةٍ مُتَوَاضِعَةٍ ، وتُلْبِسُ اختراعَه لَبُوسَ الشَكِّ .

ويستقبلُ الجمهورُ هذا النبأَ بتردُّدٍ وحَيْرَةٍ . ويمر الزمنُ ليُسْدِل النسيانُ ستارَهُ الصفيقَ على المُخْتَرِعِ ، وعلى اختِرَاعِهِ مَعاً ، فلا يلقى مخترِعٌ ما يستحقُّ من شُهْرَةٍ وذُيُوعِ اسمٍ ، ولا ما يَستَأْهِلُ من تشجيعٍ ماديٍّ أو معنويٍّ ، ومن ثَمَّ تذبُلُ زَهْرَةُ نُبُوغِهِ ، ويَنْطَوِي على شُعُورٍ بالخيبةِ والمرارةِ ، وعلى إحساسٍ بالجحودِ والنكران .

إنها عقدةُ الشعورِ بتَفَوُّقِ الأجنَبِيِّ دائماً ، وهي خَصْلَةٌ ذميمةٌ ، ألقاهـا الشاعرُ العربي حافظُ ابراهيم ، على أمته العربيةِ ، حينما قال :

أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ في سَاعِدها بُغْضُها الأهْلَ ، وحُبُّ الغُربا

وإنَّ من أهمِّ وسائلِ تشجيعِ الابتكارِ العربيِّ ، ومؤازرةِ النبوغِ القوميِّ ، أن يُعْلَنَ ابتكارُ المُبتكِرِ ، واختراعُ المخترِع ، في كلِّ مناسبةٍ ، وفي كل مجالٍ ، فتحتفلَ به الجامعاتُ ، والمجامعُ العلمية ، وتسجِّل أنباءَه الإذاعاتُ والصحفُ والمجلاتُ ، مُتضامنَةً ، ويُهَنِّأَ البلدُ العربي الذي أنجبَهُ ، فقديماً كانت القبائلُ

Marfat.com

تُهنّئُ بعضُها بعضاً ، إذا نَبَغَ في قبيلةٍ ما ، شاعرٌ من الشعراء ، وترى في فَنَّهِ ما يَذودُ عنها الهِجاء ، ويَحْسِمُ سَوْرَة الأعْداء .

والمخترعُ الحديثُ أسْمَى شأناً ، وأعْلى مَكَاناً من شاعِرِ القبيلةِ في العصرِ القديم ؛ لأن فائدةَ أعمالِه ، لا تَنْحَصِرُ في إقليمية ضَيِّقَةٍ ، وإنما تَعُمُّ البشريةَ كُلَّهَا ، وتعودُ على الإنسانية بأنفعِ جدوى .

وتشجيعُ العاملينَ هو الذي يضاعِفُ الانتاجَ ، ويُرَكِّزُهُ ، ويَبْعَثُ فيه القوةَ ، ويُجري في عُروقِه دمَ الحياة .

المناقشة :

١ ــ ما المخترعات والمكتشفات العربية التي أشارت إليها القطعة ؟

٢ ــ كيف انتقلت هذه المخترعات إلى الغرب ؟ ولماذا ؟

٣ ــ يذكر الكاتب سبباً رئيسياً لتأخر العرب الآن في ميدان الاختراع والكشف العلمي . وضحه .

٤ ــ ما الذي يراه الكاتب لتشجيع الابتكار العربي ؟

٥ ــ وازن الكاتب بين الشاعر والمخترع ، فماذا قال ؟

٦ ــ ما الفوائد التي يرى الكاتب أنها تعود علينا من تشجيع العاملين ؟

Marfat.com

أفضَـل الأصْحَاب

كان محمد بنُ حميدٍ الطوسيّ[1] على غَدائِه يوماً مع جُلَسائِه ، وإذا بِصَيْحَةٍ عظيمةٍ على بابِ دارِه ، فرفع رأسَه ، وقال لبعضِ غِلْمانِه : ما هذه الضَّجَّة ؟ مَنْ كان على الباب فَلْيَدْخُلْ .

فخرجَ الغلامُ ، ثم عادَ إليه ، وقال : إنَّ فلاناً أُخِذَ وقد أُوثِقَ بالحَديد ، والغِلمانُ ينتظرون أَمْرَكَ فيه ، فَرَفَعَ يَدَه عن الطَّعام ؛ فقال رَجُلٌ من جُلَسائِه : الحمدُ لله الذي أَمْكَنَكَ من عَدُوِّك ، فَسَبِيلُهُ أن تَسْقِيَ الأرضَ من دَمِه ، وأشار كلٌّ من جُلَسائِه عليه بِقَتْلِه على صِفَةٍ اخْتارَها ، وهو ساكت !

ثم قال : يا غلام ؛ فُكَّ عنه وَثاقَه[2] ، وليدخلْ إلينا مُكَرَّماً . فأُدْخِلَ عليه رجلٌ لا دَمَ فيه ؛ فلما رآه هَشَّ[3] إليه ، ورَفَعَ مَجْلِسَه ، وأَمَرَ بتجديد الطعام ، وَبَسَطَه بالكلام ، ولَقَّمَه[4] حتى انتهى الطعام ، ثم أَمَرَ له بكُسْوَةٍ حسنةٍ وصِلَة[5] ، وأمر بِرَدِّه إلى أهله مُكَرَّماً ، ولم يُعاتِبْه على جُرمٍ ولا جِناية .

ثم الْتَفَتَ إلى جُلَسائِه وقال لهم : إنَّ أَفْضَلَ الأصحابِ من حَضَّ[6] الصاحبَ على المكارم ، ونَهَاهُ عن ارتكابِ المَآثِم[7] ؛ وحَسَّنَ لِصاحِبِه أن يُجازِيَ الإحسانَ بِضِعْفِه ، والإساءةَ بصَفْحِه . إنَّا إذا جازَيْنا من أَساءَ إلينا بِمِثْلِ ما أساء فأَيْنَ مَوْقِعُ الشُّكْرِ فيما أُتيحَ من الظَّفَر[8] ؟ إنّه يَنْبَغي

---

(١) وال من قواد جيش المأمون ، كان عاملا على الموصل . عرف بالشجاعة والجود قتل سنة ٢١٢ هـ .
(٢) قيده . (٣) قابله بوجه باسم . (٤) أطعمه . (٥) هدية . (٦) حث .
(٧) المعاصي والذنوب . (٨) الفوز والانتصار .

Marfat.com

لِمَن حَضَرَ مَجالِسَ المُلُوكِ أن يُمْسِكَ[1] إلا عن قَوْلٍ سديدٍ[2] وأَمْرٍ رشيد ؛ فإنَّ ذلك أَدْوَمُ للنِّعمة ، وأَجْمَعُ للأُلْفَة .

إنَّ اللهَ تعالى يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

المناقشة :

١ ــ ما المقصود بقول الرجل : « سبيله أن تسقي الأرض بدمه » ؟

٢ ــ مــا معنى : رجل لا دم فيه ؟

٣ ــ ألقى محمد الطوسي على أصحابه درساً قاسياً . فماذا قال لهم ؟

٤ ــ ما رأيك في موقف جلساء الطوسيّ عندما علموا بالقبض على عدوّه ؟

٥ ــ كيف قابل الطوسي عدوّه ؟ وما رأيك في ذلك ؟

٦ ــ استرشد الطوسيّ في موقفه من عدوّه بسماحة الإسلام وهَدْي القرآن . وضح ذلك.

---

(١) يسكت . (٢) صــائب .

Marfat.com

قفوا بي *

للمرحوم الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين (١)

١ قِفُوا بي عَلى الرَّبْعِ (٢) المُحيلِ (٣) أُسَائِلُه ... وَإِنْ كَانَ أَقْوَى (٤) ، بَعْدَ مَا خَفَّ آهِلُه

٢ وَمَا في سُؤالِ الدَّارِ إِطْفَاءُ غُلَّةٍ ... لَقَلْبٍ مِنَ التَّذْكَارِ جَمٍّ بَلَابِلُه

٣ تعلُّلُ مُشْتَاقٍ ، وَلَوْعَةُ ذَاكِرٍ ... لِعَهْدِ سُرُورٍ ، غَابَ عَنْه عَوَاذِلُه

٤ فإنْ أَسْلُ ، لا أَسْلُو هَوَاهُم تَجَلُّداً ... وَلَكِنَّ يأْساً أَخْلَفَتْنِي أَوَائِلُه

٥ خَلِيلَيَّ لَوْ أَبْصَرْتُمَا يَومَ «حَاجِرٍ» ... مُقَامِي ، وكَفِّي فَوْقَ قَلْبِي أُبَادِلُه

٦ عَشِيَّةَ ، لا صَبْرِي يُثِيبُ (٥) ، ولا الهوى ... قَرِيبٌ ، ولا دَمْعِي تَفِيضُ جَدَاوِلُه

٧ لأَيْقَنْتُمَا أَنَّ الأَسَى يَغْلِبُ العَزَا ... وَأَنَّ غَرَامِي لا غَرَامَ يُمَاثِلُه

٨ فللَّهِ قَلْبِي ، مَا أَشَدَّ احْتِمالَه (٦) ... وياوَيْحَ صَبْرِي ، كَيْفَ هُدَّتْ مَعَاقِلُه (٧)

٩ نظرتُ إلى الأَظْعَانِ ، يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... فَأَشْرَقَنِي طَلُّ الدُّمُوعِ وَوَابِلُه

١٠ مَضَوْا بِبُدُورٍ ، في بُرُوجِ أَكِلَّةٍ (٨) ... بِهِنَّ حَلِيمُ القَلْبِ يَصْبُو ، وجاهِلُه

١١ وفيهن مِقْلاَقُ الوشاحِ (٩) إذا مشى ... تملَّكَ حبَّات القلوب تمايله

١٢ يلوث (١٠) على مثل الكثيب (١١) إزاره ... وأعلاه بدر ، قد تناهى تكامله

(*) عبد الله بن إدريس : « شعراء نجد المعاصرون » ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م ، ص ٦٦ .

(١) ولد في بلدة « السلمية » في الخرج عام ١٢٦٠هـ ، وعاش ثلاثة أعوام ومائة عام ، كان الشعراء يصفونه بأنه شاعر الجزيرة العربية في زمانه دون منازع . (٢) الدار . (٣) حال الشيء : تغير . (٤) أقوى : خلا وأقفر . (٥) يثيب : يرجع إلي وينفعني. (٦) احتماله : تحمله وجلده . (٧) هدت : هدمت . المعاقل : الحصون . (٨) أكلة : جمع كِلال ، وهي الستارة الرقيقة ، توضع على الهودج . ونحوه . (٩) مقلاق الوشاح : ذات الخصر النحيل . (١٠) يلوث : يشد ويربط . (١١) الكثيب : الرمل المتراكم .

Marfat.com

١٣ وزَعْتُ[١] التصابي[٢] إذ علا الشيب مفْرقي ... وودعته توديع من لا يجامله

١٤ وفثْتُ[٣] إلى رشدي وأعطيت مِقْودي[٤] ... نصيحاً ، فمهما قاله أنا قائلهْ

١٥ ومن صحب الأيام رَنَّقْنَ[٥] عيشه ... وألْبَسْنَهُ بُرْداً سحيقاً[٦] خمائلهْ[٧]

المناقشة :

١ ــ ما العلاقة بين البيتين الخامس والسابع ؟

٢ ــ ماذا أفادت كلمة « جداوله » في البيت السادس ؟

٣ ــ في البيت التاسع نوعان من الدموع . بيّنهما ، ووضّح الفرق بينهما .

٤ ــ انتهت الأبيات بحكمة أتى بها الشاعر . اشرحهـــا .

٥ ــ سلك الشاعر في مطلع قصيدته مسلك شعراء الجاهلية . وضح ذلك .

٦ ــ ما الصورة التي رسمها الشاعر في البيت الخامس ؟

٧ ــ بمَ وصف الشاعر قلبه وصبره في البيت الثامن ؟

٨ ــ وصف الشاعر الأظعان في عدد من الأبيات . عيّنها .

٩ ــ بمَ وصف الشاعر الأظعان في البيت العاشر ؟

١٠ ــ كيف ودّع الشاعر صباه ؟ وما البيت الدالّ على ذلك ؟

---

(١) وزعت : منعت . (٢) التصابي : الهوى والغرام . (٣) فثت : رجعت .

(٤) المقود : الحبل الذي يقاد به الحيوان (فيـــه استعارة) . (٥) رنقن : كـــدرن .

(٦) سحيقاً : ممزقاً مهلهلا . ٧) خمائله : أطرافه وحـــواشيه .

Marfat.com

أبو الكيمياء

وَصَلَ الإنسانُ في العصرِ الحديثِ ، إلى ما لم يستطع أسلافهُ الوصولَ إليه ، على مرّ العصور ، من تسخير قُوى الطبيعةِ ، واكتشافِ عجائب الكَوْنِ ، واختراع الوسائلِ التي يستخدِمُها في رَفَاهَتِهِ ، وإرْغادِ عيشه .

ومن الإنصافِ أن نتعرَّفَ على الرّوّادِ الأوائلِ ، الذين أسهموا في تمكينِ الإنسانِ من التغلُّبِ على الصِّعَابِ ، وتسخيرِ ما خلقَ اللهُ في الأرضِ ، وَعَلَيْهَا ، من قُوًى ، لخدمةِ الإنسانيةِ ، وتوفير وسائلِ الراحة .

وجَابِرُ بنُ حَيّانٍ ، هوَ أحَدُ أولئكَ الذينَ شاركوا في وضعِ الأسُسِ ، التي تقومُ عليها النهضةُ العالميةُ الحاضرةُ .

كانت أُسرةُ « جابرٍ » تعيشُ في العراقِ ، في مدينةِ « الكوفة » وكان « حيّانٌ » – أبو جابرٍ – يصنعُ العقاقيرَ الطبّيةَ ، وكان ممن يُؤازِرُونَ دعوةَ « بني العبّاس » ، وقد أتاحتْ له هذه المؤازرة فرصةَ التّنَقُّلِ من بلدٍ إلى بلدٍ ، حتى استقرَّ في « طوس » ، إحدى بلادِ فارِسٍ ، التي دخلتْ في نطاقِ الدولةِ الإسلاميّة .

وفي بلدة « طوس » ، وُلِدَ « جَابِرٌ » ، في القرنِ الثاني من الهجرة ، ولم يكن قد جاوَزَ الطفولة ، حين وَقَعَ أبوه في قَبْضَةِ الأُمَويين ، فَنَشَأَ في رعايةِ أقاربِهِ ، الذينَ أحسنوا تربيته ، ووفّروا له من أمهر المعلمين مَنْ تَوَلَّوْا تَثْقيفَه ، وزوّدوه بِعُلُومِ عصرِهِ .

وما إن نجَحَت الدعوةُ العباسيةُ ، ولقي أنصارُها عطفَ الخلَفاءِ العباسيين وَعَوَنَهُمْ ، حتى تَرَكَ « جابرُ بنُ حيّانٍ » مدينة « طوس » إلى « الكوفة » ،

Marfat.com

موطنِ أسرتِه ، ومَوْئِلِ الثقافةِ العربيةِ العريقةِ ، التي امتزجتْ بثقافةِ اليونانِ والهنودِ والفُرْسِ ، وكانَ انتقالُ « جابرٍ » إلى « الكوفة » فرصةً طيّبة أتيحتْ له ، ليَنْهَلَ من هذا المورِدِ العَذْبِ ، وَليَكونَ قريباً من « بَغْدَاد » حاضرةِ الخلافةِ ، ومَوْطِنِ الخلفاءِ .

اهتمَّ « جابرٌ » بالأخذِ عن العلماءِ ، وبدراسةِ الكُتُبِ ، وبخاصّة المترْجَمِ منها ، يَدْرُسُها عن وعْيٍ وفَهْمٍ وإدراكٍ ، وأَوْلى « الكيمياء » مزيداً من عنايتِه وجُهْدِه ، يُشْبِعُ بها نَهَمَهُ إلى العلم ، ويُغَذّي ميولَه إلى المعرفة ، فكانَ يقرأ كتبها ، فاحصاً ومُدَقّقاً ومُمَحّصاً .

عُرِفَ أمْرُ « جابرِ بنِ حيانٍ » ، وذاعَ صيتُهُ ، حتى بَلَغَ مسامعَ « هرون الرشيد » ، فاستَقْدَمَهَ إلى « بغداد » ، وأحاطه بالتكريم والرّعايةِ . وَظلَّ « جابرٌ » يعيشُ في بغدادَ ، فاستفاد كثيراً من ألوانِ الثّقافاتِ الأجنبيّةِ ، التي نَشِطَتْ حَرَكَةُ نَقْلِهَا إلى العربيةِ نشاطاً كبيراً في عصر « المأمون » ، فأخذَ « جابرٌ » يَسْتزيدُ مما يُتَرْجَمُ ، ويُضيفُ إلى عِلْمه علماً ، وإلى حِذْقِهِ وَبَراعَتِه بَصَراً وخِبرَةً وتجربة ، ثم جاءَ الوقتُ الذي انتقلَ فيه « جابرٌ » من طَوْرِ التحصيلِ والاستيعاب ، إلى طَوْرِ الفَحْصِ ، والنّقْدِ ، والتأليفِ ، والابتكارِ .

ويُعَدّ ما وصل إليه « جابرُ بنُ حيانٍ » في عِلْم « الكيمياءِ » ، أعجوبةَ العِلْمِ ، وقد كانَ موضعَ تقديرِ كافةِ العلماء ، حتى لَقّبُوه — بحقٍّ — « أبا الكيمياء » .

وإلى « جابرٍ » يرجعُ الفضلُ في إيضاحِ كثيرٍ من المعارِفِ التي كان يظُنّها الناسُ سِحْراً ، فَأَصْبَحَتْ على يديه عِلْماً يَدْرُسُونه ، وصارَتْ حقائقَ ثابتةً ، لها أثرٌ كبيرٌ في نهضةِ الكيمياءِ ، وفي تَطَوّرِ الصّناعَةِ ، حتى وقتنا الحاضر . واعترافاً بفضلِ « جابرٍ » يقولُ الطبيبُ المستشرقُ الفرنسيّ « لِيكار » في كتابِهِ « تاريخُ الطبّ العَرَبيّ » : « إن « جابراً » من أكبرِ العلماءِ في القرون الوُسْطى ، وأعظَمُ علماءِ عصرِهِ » .

Marfat.com

وقد ابتكر « جابر » الكثيرَ في عِلْمِ الكيمياءِ ، فهو الذي أدْخَلَ ما سَمّاهُ « عِلْمَ الموازين » ، لمعادَلَةِ ما في المعادِن من طَبَائِعَ ، فَجَعَل لكلٍّ من الطبائع ميزاناً ، ولكلِّ معدنٍ موازينَ خاصّةً بطبائِعِهِ . ولم يُسْتَخْدَم ذلكَ في العلم الحديث ، إلاّ بعدَ أن اهتدى إليه « جابر » بزمن طويل .

و « جابرٌ » هو أولُ من استحضرَ الأحماضَ ، وماءَ الذهبِ ، وأولُ من أدخلَ طريقةَ فَصْلِ الذّهبِ عن الفضةِ بالحامض ، وأولُ من وضعَ نظريةً علميّةً عن الاتحادِ الكيميائيّ ، تُفَسِّرُهُ باتصالِ ذرّات العناصر بعضِها ببَعْض . وقد برزَتْ هذه النظريةُ في شكْلِهَا العِلْمِيّ بعدَ « جابرٍ » بألفِ سنةٍ تقريباً ، على يدِ الكيميائي الإنجليزي « جون دَالتُون »[1] .

و « جابرٌ » هوَ واضعُ أُصولِ « التجربةِ العلميةِ » ، فقد كان يدعو إلى تحديدِ الغرض من التجربةِ ، واتباعِ وسائلِها الخاصةِ بها ، والابتعادِ عما هو مستحيلٌ عقلاً ، والدقّةِ في اختيارِ الوقتِ المناسبِ ، ودعا إلى أن يتحلى القائمُ بالتجربةِ بالصبرِ ، والمثابرةِ ، والصمتِ ، والتحفّظِ ، وألاّ تَغُرَّه ظواهرُ الأشياءِ ، فإن ذلك يؤدّي – في كثير من الأحيان – إلى الإخفاق في التجربة .

واكتشفَ « جابرٌ » في الكيمياءِ ، ما لا يستطيعُ حَصْرَهُ المتَتَبّعُونَ لنشاطه ؛ اكتشفَ أنَّ مُرَكّبَاتِ النّحَاسِ تُكْسِبُ اللهيبَ لوناً أزْرَق ، واستَنْبَطَ طُرُقاً علمية لتحضير الفولاذِ ، وتَنْقِيَةِ المعَادِن ، وصَبْغِ الجُلُودِ ، وصبغِ الشّعْرِ . وتوَصّلَ إلى نوْعٍ من الطّلاءِ يقِي الثياب البلَل ، ويَمنَعُ الحديدَ مِنْ أنْ يَصدَأ ، كَمَا تَوَصَّلَ إلى نوعٍ من الوَرَق غير قابلٍ للاحتراق ، واهتدى إلى أنَّ « الشّبَّ » يُساعِد على تثبيتِ الألوانِ في الصباغَةِ . وغيرُ ذلك كثيرٌ .

وقد نالَ « جابرٌ » – بفضلِ أبحاثِهِ وتجارِبِهِ وابتكاراته – الزَّعامةَ العلميةَ في

---

(١) جون دالتون : عالم كيميائي إنجليزي الأصل، وهو أول من أنشأ نظرية الذرة ، توفي عام ١٨٤٤م .

Marfat.com

عصره ، وحَصَلَ على مكانةٍ عالميةٍ ، اعتزَّ بها الغَرْبُ ، كما اعتزَّ بها الشرقُ وقد ظلّتْ كُتُبُهُ تُدْرَسُ في جامعاتِ أوروبا حتى عهدٍ قريب .

المناقشة :

١ ــ أين وُلِد جابر بن حيان ؟ وفي أي عصر ؟

٢ ــ متى انتقل جابر بن حيان إلى الكوفة ؟ وماذا أفاد من انتقاله إليها ؟

٣ ــ ما العلم الذي استهوى ابن حيان ؟ وكيف تعلّمه ؟

٤ ــ ماذا أفاد جابر بن حيان من انتقاله إلى بغداد ؟

٥ ــ لمَ سمي جابر بن حيان أبا الكيمياء ؟

٦ ــ ابتكر جابر بن حيان الكثير في علم الكيمياء . وضح ذلك .

٧ ــ لجابر بن حيان نظرية علمية مشهورة . اذكرهـــا .

٨ ــ كان جابر بن حيان أول من وضع أصول التجربة العلمية . وضح ذلك .

٩ ــ ماذا عرفت من كشوف ابن حيان العلمية ؟

Marfat.com

هنـــا

١ هنا روضةٌ غناءُ ، رقرقهـــا الندى وبَلَّلَها من قَطْـــرِه ، وسقاها
٢ هنا سندسٌ نَضْرٌ ، عليه شَقائِقٌ وأرضٌ يـــروقُ المُقْلَتَيْن حَصَاها
٣ هنا الشمسُ في إشراقها ، قد تَهلَّلَت وفاض على وجـــه النّمير سَنَاها
٤ هنا جدولٌ ، تهوى الأغـــاريدُ حوله ودُنْيا بها سِحْرُ الجَمَـــال زَهاها
٥ هنا — بين أفواج المروجِ — حمائمٌ ورَوْحٌ ، ورَيْحان ، يَزيدُ شَجاها
٦ هنا سَرْحَةٌ لَفَّاءُ هامت غُصُونُها وقد راق ما بـــين الفروع جَنَاها
٧ هنا ظبيةٌ بين الأراك ، وسيمةٌ تُناغِم بالشَّدوِ الرقيق فتاهـــا
٨ هنا بلبلٌ غنَّى ، فَبَلْبَلَ خاطراً وأظمأ روحـــاً للهوى ، وشَفَاها
٩ هنا ، في هدوءِ الفجرِ آياتُ قُدْرةٍ تبارك ربي صاغَهـــا ، وبرَاها

المناقشة :

١ — مـــا موضوع هذه الأبيات ؟
٢ — انتهى الشاعر من أبياته إلى معنى كريم . عيّن موضعه ، ووضحه .
٣ — بمَ وصف الشاعر الروضة في البيت الأول ؟
٤ — بيّن البيت الأول والبيت الأخير توافق في الزمن الذي يصف فيه الشاعر الروضة . وضّح ذلك .
٥ — وصف الشاعر في البيت الثالث ثلاثة أشياء . وضحهـــا .
٦ — في البيت السادس ألفاظ اعتراضية . عيّنها . وبيّن ما أضافته إلى المعنى .
٧ — بمَ وصف الشاعر الشجرة في البيت السابع ؟
٨ — في الشطر الأول من البيت التاسع براعة لفظية . وضحهـــا .
٩ — عيّن البيت أو الأبيات التي أعجبت بها في هذه القصيدة ، وبيّن سبب إعجابك .

(*) لمحمد هارون الحلو .

Marfat.com

لِلّه في خَلقه شُئون *

حكى ضابط مغامرة له فقال :

طَوَّحَتْ بي الحربُ إلى مجاهلِ إفريقية ، فأمضيتُ بها مع جنودي شهوراً ، رأينا من غاباتها ، ونباتها ، وحيوانها وطيورها وصحاريها ما لم نَرَهُ في الأصقاع الشمالية التي قضيتُ بها شبابي، وأقَمْنا في خيامٍ نصبناها في الخلاء على مسمع من زئير الأسود ، وضجيج الأفيال ، وفحيح الأفاعي ، وخطرِ ذوات المخالب، والأنياب . ولم نكن نَأْبَهُ بشيء من ذلك لأننا أَحَطنا أنفسَنا بحراسة يقظة قوية ، وتَزَوَّدنا بأسلحة فتاكة ندافعُ بها عن أنفسنا ونضمن لها الأمنَ والاطمئنان .

غير أن شيئاً واحداً نَغَّص[1] علينا حياتَنا ، ولم تفلح في التغلب عليه أسلحتُنا ، على الرغم من صِغَر شأنه وحقارة أمره ، ذلك هو النمل .

ولقد كنت أسمعُ عنه الكثيرَ من قبل، وأعلم ما يتصف به من صبر ومثابرة وكفاح، وما يَقْدِرُ عليه من بناء القرى ، وإعداد الجيوش ، ومحاربة العدو ، وصَدِّ المعتدي ، والعمل المتواصل ، والتعاون البنّاء . ولكن لم يكنْ يَخْطرُ لي ببال أن يصلَ في إحكام خُططه ، وتدبيرِ أموره إلى الحدِّ الذي شاهدتُه في هذا المكان .

لقد رأيت من النمل وكفاحه ونظامه ما جعلني أومِنُ أن جماعاتِ النمل تَفُوقُ الإنسانَ في كثير من المزايا . رأيتُ النملَ الأبيضَ في هذه المناطق الإفريقية عند خط الاستواء أكبرَ حجماً من مثيله في المناطق الأخرى وأطولَ أرجلاً ، وأشدَّ لَدْغاً . كان يهجُمُ على طعامنا في جرأة وإقدام ، ولا يتركها إلاّ وقد أتى عليها جميعاً .

(*) مترجمة بتصرف .

(١) كَدر .

Marfat.com

وإذا نِمْنا أزعجنا وأقضّ مضاجعَنا[1] بالقرص المؤلم والوخز الذي يشبه وخزَ الإبر . وكم حاولنا في الشهور الأولى من إقامتنا أن نحميَ أنفسَنا منه فلم نظفَرْ بأي نجاح ، وساعده على الانتصار علينا أننا لا نجدُ السُّمَّ الذي يمكن أن نضعه في طعامه فيقتُلَه .

وفي أحد أعيادنا بعث إلينا أهلُنا وأصدقاؤنا بهدايا العيد من الحلوى والأطعمة السكرية التي طالت غيبتُها عنا ، وهَفَتْ[2] إليها نفوسُنا ، وكان نصيبي منها موفوراً . غير أن الذي أفسد عليَّ سروري بها ، اشتغالُ فكري بالبحث عن مكان أمين أضعها فيه ، بعيداً عن أفواج النمل وغاراتها .

وطال بي التفكير ، ثم اهتديتُ بعد جُهْدٍ إلى فكرة ظننْتُ أنها علاجٌ لما نشكو منه ، هي أن أُخفيَ هذه الحلوى في صندوق أُحْكِم إغلاقُه ، وأضعَه فوق عمود قصير أقيمُه وسط إناء كبير مملوء بالماء ، فلا يستطيعُ النملُ الوصولَ إليه .

وبذلتُ من الجهد أقصاه ، وبالغتُ في الاستعداد ، فأحَطتُ إناء الماء بحِزامٍ عريض غُمس في مادة لَزِجةٍ ، إذا لمسه النملُ عَلِقَ فيه ولم يستطع التخلص منه .

وما أن انتهيت من هذه التحصينات ، وأعددت تلك الموانع ، حتى صَدَرَتْ إليَّ الأوامرُ بأن أخرجَ في رحلة بعيدة قضيت فيها يومين . فلما عدتُ شهِدتُ عجباً ، رأيت النمل وقد غزا صندوقَ الحلوى من البر والبحر والجو ، ولم يدعْ فيه قطعة من الحلوى لم يصلْ إليها ؛ فقد وصلَتْ أفواجُه الأولى إلى الحزام الصمغيّ فالتصقت به ولم تستطع منه فِكاكاً[3] ؛ غير أن الأفواجَ التاليةَ اتخذت من أجسامِ الصَّرعَى المتلاصقةِ جسراً عبرته إلى الناحية الأخرى ، ثم واصلَتْ سيرَها حتى بلغت الماء فعجزت عن عبوره وعادت إلى الأرض لتحمل في أفواهها قَشّاً رفيعاً أخذَتْ ترميه فوق سطح الماء وتصنعُ منه جسراً تسير فوقه حتى تصلَ إلى العمود القائم وسط الماء . وقد نجحت

---

(١) أقلق راحتنا في الفراش . (٢) تاقت و مالت . (٣) خلاصاً .

Marfat.com

حيلتها ووصلت إلى العمود فقابلت الحزامَ اللّزِجَ الذي يحيط به.، ففعلت بـــه ما فعلته في سابقه ، واتخذتُ من أجسام القتلى قنطرةً إلى الصندوق .

وأعجبُ من ذلك أنها أرسلت كتائب[1] منها تسلقت الخيمةَ من الداخل حتى بلغَتْ سقفَها ، واتخذت لنفسها موقِعاً رأسياً فوق الصندوق، وأخذت ترْتمي عليه واحدة بعد الأخرى في مهارة ودقة ، ولم تقفْ في سبيلها الشِّراكُ والموانعُ التي نصبها الإنسانُ في زهو وغرور .

واستطرد الضابط يقول :

وتذكرني هذه القصة بقصة أخرى وقَعَتْ معها في اليوم نفسِه ، فقد رافقتُ بعضَ الزملاء في نزهة بين الغاب ونحن في سلاحنا الذي حملناه لنحميَ أنفسنا إذا تعرضنا للخطر . وبينما نحن نسيرُ صادفَتْنا جماعةٌ من القِرَدَةِ الكبيرة رابضةً فوق الأشجار تصرخُ وتملأ الجو ضجيجاً . فما أن رأتنا حتى زادت من صُراخها وصَخَبِها[2] ، فَخَشِينا أن تُثيرَ الوحوشَ الضاريةَ في الغابة ، ورأينا أن نرميَ واحداً منها بالرصاص لنُشَتِّتْ جَمْعهَا ، فأَطلقَ واحدٌ من رفاقي رصاصةً على قرد منها فَخَرَّ صريعاً ، وهنا كَفَّت القردةُ عن الصياح ، وخَيَّم على المكان صمتٌ رهيب وانْفَضَّت القِرَدةُ في سكون ، واستأنفنا سيرَنا في خوف وحذر ؛ وبعد لحظات رأينا أربعةً منها تعود إلى القردِ الصَّريعِ فتحملُه من رجليه ويديه وتَفِرُّ به هاربة .

وفي اليوم التالي خرجنا للمسير في المكان نفسه ، فإذا بثلاثة قرود مختبئةٍ في رأس شجرة عالية ، فلما رأتنا ، وبَصُرَتْ برفيقِنا الذي صرع واحداً منها بالأمس ، تعالى صُراخُها ، وملأ الجوَّ عُواؤُها ، فاستعد صاحبي لإطلاق الرصاص عليها ، ولكنه لم يستطع لأن المنطقةَ امتلأت بقرود لا عَدَدَ لها ، أقبلت مسرعةً من كل ناحية ، تحملُ كلٌّ واحدة منها ثَمَرةً صُلبةً من ثمار الجوز الهندي وأخذت تقذف

---

(١) فرقاً . (٢) ضوضائها .

Marfat.com

صاحبي من كل صَوْب[1] ، وتُسَدَّد القذائف إلى رأسه وصدره في عنف وسرعة ، ثم هجمت عليه فأوقعته على الأرض في مفاجأة بارعة وسرعة مدهشة تركتنا في حَيرة وذهول ، وكادت القِردةُ تَفْتِكُ بالرجل لولا أننا أسرعنا إلى رصاصنا نطلقه عليها، وإلى عِصِيِّنا الغليظةِ نضربُ بها رءوسَها ، حتى قُدِّرَ لنا بعد جهد ورعب أن نُفَرِّقَ جموعَها ، ونُخَلِّصَ من براثنها رفيقَنا .

المناقشة :

(١) لم كان الضابط وجنوده غير مبالين بالوحوش الضارية ؟

(٢) ما الذي نغّص على الضابط وجنوده حياتهم ؟

(٣) ما الاحتياطات التي اتخذها الضابط للحيلولة بين النمل والحلوى ؟

(٤) لم أطلق الجندي رصاصة على أحد القرود ؟

(٥) كيف انتقمت القردة من قاتل أحدها ؟

---

(٧) ناحيــة .

Marfat.com

لمَنْ تَصْفُو الحيَاة ؟

لمن تصفو الحياة ؟

كثيرونَ يسائِلونَ أنفسَهُم هذا السؤال ، وكثيرون يَعْجَزُون عنِ الإجابَةِ عنه ؛ لأنَّها تختلفُ باختلافِ تحديدِهم لمفهومِ السعادةِ والراحةِ ، الأمرُ الذي أصبحَ الاتفاقُ على تحديدِه « رابعَ » المستحيلاتِ ، إن كانتْ لا تزالُ « ثلاثَةً » .

قال قوم : إن السعادة « الصحةُ » ، وقال آخرون : إنّها « الإيمانُ » ، وقال غيرُهم إنها في « الطُّمَأْنِينَةِ » . وهناكَ من يَرَاهَا في « الغِنَى » . وأصحابُ هذا الفَهْمِ نراهُمْ يذْهِبُون لَحَظَاتِ السَّعَادَةِ الحَقَّةِ في دُنْيَاهُم ، بحثاً وراءَ ما يُسَمُّونَهُ – وَهْماً – « بالسَّعَادَةِ » .

خلافٌ كبيرٌ ، قد تَمْضِي أعمارٌ وأجيالٌ ، والناسُ لم يَلْتَقُوا على تَحْدِيدٍ لِمَفْهُومِهِ ، وقديماً قال أحدُ الشُّعَراءِ فيما نَعْتَبِرُهُ مُحَاوَلَةً فَرْدِيَّةً ، للإجابَةِ عن هذا التساؤلِ !

تَصْفُو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عمَّا مَضَى منها ، وما يُنْ
ولِمَنْ يُغَالِطُ في الحَقَائِقِ نَفْسَه وَيَسُومُها طَلَبَ المُحالِ ، فتطمعُ

ولكنْ هَلْ صحيحٌ أن صفَاءَ الحياةِ مقصور على الجَهَلَةِ ، والغَافِلِينَ ، والمُخَادِعِين ؟. أنا أشكُّ كثيراً في هذا القولِ ، وأَحْسَبُ أنَّ قَائِلَهُ كان واقعاً تَحتَ تأثيرِ ما نُسَمِّيهِ بخَيْبَةِ الأَمَلِ .

وإذَا كُنَّا لَمْ نَصِلْ بعدُ إلى تحديدٍ لمفهومِ السعادةِ ، فَلْنَتَسَاءَلْ عن

Marfat.com

التأثيرِ الواقِـعِ لِفُقْدَانِها ، وكَيْفَ يُعَبِّرُ الناسُ عن شعُورِهم بها ، ولَهْفَتِهم عليهـا ؟

قال أحدُ الشُّعَراءِ – قَديماً – إن « الشَّكْوَى » هِيَ التَّعْبِيرُ الصَّادِقُ عَن عَدَمِ الرِّضَا بالْواقِـع ، والقَنَاعةِ بِه . ودَفَعَهُ رأيُه إلى مالا ينتهي من الغَرَابَةِ والدَّهْشَةِ ، لِكَثْرَةَ ما شَاهد من شَكْوى الناسِ ، وَتَذَمُّرِهِم مِنْ وَاقِعِهم ، حتَّى لقد حَمَلَه ما رآهُ إلى تَسَاؤُلِهِ الَّذِي لا يَخْلُو من طَرَافَةٍ : –

كُلُّ مَنْ لاَقَيْتُ يَشْكُو دَهْرَهُ لَيْتَ شِعْري : هَذِهِ الدُّنْيا لِمَنْ؟

وهَذَا – في رَأْيِي – هُوَ الآخرُ ، أحدُ ضحايا التَّشاؤُمِ ، وخَيْبَةِ الأملِ ، وَإلاَّ ، فَقَدْ قَرأْنا من أقوالِ الجانبِ الآخَرِ – الأكثرِ تَفَاؤُلاً – ما يُمْكِن أن نَعْتَبِرَه أقربَ إلى الحقيقةِ من سابِقه ، إذْ قالُوا : مِنْ لوازِمِ الحياةِ ، الَّتي لا تَنْتَهي مطالِبُها عند حدٍّ ، وَبالْقَدْرِ الذي تَتَمَكَّنُ بِهِ من التَّعبيرِ عن آمالِكَ ومَطامِحِك ؛ يكونُ نصيبُك من اهتمامِ النّاسِ وتقديرهم .. وأمْعَنُوا في تَفَاؤُلِهم ، فقالوا : إن صُراخَ الوَليدِ ، ساعةَ وُجُودِهِ ، وبَعْدَها ؛ إنَّما هو إثْبَاتٌ لوجودِهِ ، وجزءٌ من مُطَالَبَتِهِ بحَقِّهِ منها . وهذا التعبيرُ فيه من الوَاقِعِيَّةِ ، بِقَدْرِ ما فيهِ من الطَّرَافَةِ .

وكتابُ اللهِ ، وسُنَّةُ نَبِيِّنَا ، عليه أفضَلُ الصلاةِ والسلام ، يَحْكِيَانِ لنا كِلاَ النَّهْجَيْنِ في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ وقوله ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ .
وقول نبيِّنا عليهِ السلام : « لو أُعْطِيَ ابنُ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، لابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثاً ، ولا يَمْلأُ فَمَ ابنِ آدَمَ إلاَّ التُّرَابُ » .

فالمتاعبُ واقعةٌ ؛ لأنَّها توجَدُ مع الإنسانِ ، تُهَادِنُهُ حِيناً ، لَكِنَّها لاَ تُفَارِقُهُ . وَلَرُبما اعْتَبَرَها بعضُ المُكَافِحِينَ إحْدَى وَسَائِلِ اللَّذَّةِ ؛

Marfat.com

فالمُكافِحُ قَدْ يَتَطَرَّقُ السأَمُ إلى قَلْبِهِ ، ونفسِه ، لو طالَ به الأَمَدُ ، فلم يَلْتَقِ بِمَا يُضَاعِفُ عَزيمته ، ويقَوِّي إقْدَامَه ، من العقباتِ والمتاعبِ ؛ لأنهَا لِمَواهِبِه الدَّفَاعِيَّةِ «كالشَّحْذِ للمِطْوَاةِ» يُقَوِّي من مَضَائِهِ ا وفَتْكِهَا ، وكُلَّمَا اجْتَازَ «عقبةً» ، زادَهُ تَقَلُّبُهُ «قُوَّةً» على كفاحِهِ المرتَقَبِ ، حتى يُصْبِحَ الجهادُ ، والكفاحُ ، من مُقَوِّماتِهِ ، ومُتَطَلَّباتِهِ ، لينتهيَ بهِ المَطَافُ إلى درجَةِ الإقدامِ والتَّضْحِيَةِ ـ تَمَاماً ـ كما يقولُ الشاعر :

إذَا اعْتَادَ الفَتَى خَوْضَ المَنَايَا فَأَيْسَرُ ما يَمُرُّ بِهِ الوُحُولُ

لكني أرى أن السَّعَادَةَ الحَقَّةَ ، في الإيمَانِ المُطْلَقِ باللهِ ، والتَّسليمِ بعظيمِ قُدْرَتِهِ ، وشُمُولِ إحَاطَتِهِ وعِلْمِهِ ، وأَنَّ ما شاءَ كانَ ، وما لَمْ يَشَأْ لم يَكُنْ ، وأنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ على نفعٍ ، أو ضُرٍّ ، لم تَقْدِرْ على بَذْلِ الأَوَّلِ ، أو دَفْعِ الثَّانِي ؛ إلاَّ بأَمْرِ اللهِ وتَقْدِيرِهِ .

المناقشة :

(١ـ لم يعجز الكثيرون عنْ الإجابة عن هذا السؤال : لمن تصفو الحياة ؟

(٢ـ اختلف الناس في مصدر السعادة . وضح ذلك؟

(٣ـ يقول الشاعر : تصفو الحياة لجاهل أو غافل . فما رأيك في هذا القول ؟

(٤ـ ما السعادة الحقة في رأي الكاتب ؟

Marfat.com

عَالم الجَليد

في أقصى الكرة الأرضيّةِ جنوباً قارةٌ تَرْزَحُ تحت ثِقَلِ كُتَلِ ضخمة من الجليد والثلوج . هذه القارةُ هي « أنتاركتيكا » وتنفردُ هذه القارَّةُ بظواهِرَ عديدة ، فهي أكثرُ القارَّاتِ ارتفاعاً ، وأكثرُها جَفَافاً ، وأكثرُها صَقيعاً ؛ بل إن الثُّلوجَ والجليدَ تُغَطِّي معظمَ أراضيها الواسعة ، وهي – في الوقتِ نفسِه – أقلُّ القاراتِ عُمْرَاناً . إنها تكادُ تكون خاليةً من أيِّ نوع من الحياةِ النباتيةِ ، ولا يُقيم فيها أي إنسانٍ ، إلاّ أنّها لا تكاد تَخْلو من المخْلُوقَات مثل طيورِ البَطْرِيقِ ووعُول البَحْرِ وعددٍ من الطيور البحرية .

وهذه القارةُ تفوقُ في مساحتها مساحةَ الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك معاً ، إذ تُقَدَّرُ بِحَوَالَى خمسةِ ملايينِ ميلٍ مُرَبَّعٍ ، تُغَطي الثلوجُ خمسةً وتسعين في المائة منها . وقد تصلُ كثافَةُ الثلوجِ في بعضِ الأمَاكنِ ثَلاثةَ أميال . وتقعُ هذه القارَّة غيرُ المَأْهولةِ حولَ القطبِ المتجمد الجنوبيِّ ، وهي مَسْرَحٌ للأبحاثِ العلميةِ المتعددةِ الأهدافِ في الوقت الحاضر ، وتعتبر أكثرَ أماكنِ العالَمِ إثَارةً إذا ما عُلِمَ أنَّها الآن تَجْذِبُ إليها عدداً كبيراً من السائحين المُحِبِّين للمُغَامرات .

يقولُ أَحَد الصحفيين : « قمْتُ مؤخَّراً بزيارةِ أَنْتَارِكْتيكَا ، مع أنني قد زُرْتُ هذه القارةَ قبلَ عشرةِ أعوامٍ مع مجموعةٍ أخرى من الصحفيين ، وكان الهدفُ من هذه الزيارةِ زيادةَ الاطلاع والتعرُّفَ على طبيعةِ الأبحاثِ العلميةِ الدوليةِ التي تجري في هذه القارة .

وصلنا جَوّاً إلى محطة « فا مكوردو » التي أنشئت عام ثمان وخمسين وتسعمائة

Marfat.com

وألف والتي تُعْرَفُ بأنَّها البابُ الى قارةِ « أنتاركتيكا »، وهِيَ وَاحِدَةٌ من أربعِ محطاتٍ ، أو قواعدَ تُشْرِفُ على إدارتها البحريةُ الأمريكيةُ ، لدعم الأبحاثِ والدراساتِ العلمية في هذه القارة .

ويمكن أن يُقالَ إنَّ محطةَ فاكموردو بمثابةِ العاصمةِ لهذهِ القارة ، إذ يصلُ عددُ القاطنينَ فيها خِلالَ فَصْلِ الصيفِ إلى ما يَقْرُب من ألف نَسَمَةٍ ، جُلُّهُمْ من العلماءِ والبحارةِ . والقاعدةُ مُزَوَّدَةٌ بمدارجَ ثَلْجِيَّةٍ لطائراتِ ، تصلح لهبوط الطائراتِ النفاثةِ الضخمَةِ ، معظمَ أيامِ السنة ، وكذلك زُوِّدَت بمستشفىً على الطرازِ الحديثِ ؛ إلا أن سكانَ المحطةِ يُواجهون مشكلةَ الماءِ ، فهناكَ نقصٌ بل شُحٌّ ، ولذلك استُخْدِمت محطاتٌ صغيرةٌ لتحليةِ المياهِ ، تستطيع تحليةَ أربعةَ عشرَ ألفِ جالونٍ من المـاءِ يومياً ، يُمكنُ أن تُزَادَ كُلَّما زادَ سُكَّانُ تلكَ المِنْطَقَةِ النَّائِيَةِ من العالم .

وقد أَقَلَّتْنَا الطائرةُ من قاعدةِ « فاكموردو » مسافةَ ثمانمائةِ ميلٍ إلى قاعدةِ القطب الجنوبية ، وأَنْزَلَتْنَا على مَدْرَجٍ من الجليدِ الصُّلْبِ المَضْغُوطِ طولُه نحوُ أربعةَ عشرَ ألفَ قدم .

وكانت الأبنيَةُ الخشبيَّةُ الزاهيَةُ الألوانِ ، التي تحتوي على المُعدَّاتِ العلمية ، ومساكنِ العلماء ، التي أُحْضِرَت إلى هذه المِنْطَقَةِ ، مُصَنَّعَةً ، وأُنْزِلَتْ من الجو ، منذُ سنينَ ، قد اختفت تحت أكوامِ الثُّلوجِ المُنْهارَةِ ، ولم يَبْقَ من معالِمِها ظاهراً للعَيَانِ سِوى سَارِيَةِ جِهازِ المذياعِ ، والعلامات المرشدةِ إلى المساكن .

كانَ الجوُّ لطيفاً ومُريحاً عند هُبُوطِنَا على القاعدةِ حيثُ كانت درجةُ الحرارة أربعاً وعشرين درجةً تحتَ الصِّفْرِ ، وهي مقبولةٌ جداً . وتَجْدُرُ الإشارةُ إلى أن درجةَ الحرارةِ العادية خِلالَ فصلِ الصَّيفِ تبلغُ خمساً وخمسينَ درجةً تحت الصفر ، أمَّا في فصلِ الشِّتاء فتصلُ درجةُ الحرارةِ إلى أكثرَ من مائةٍ وثلاث عشرةَ درجةً تحت الصفر .

Marfat.com

وقد اتَّجهْنا لِزِيارةِ المحطةِ العِلْمِيَّةِ تحتَ الكُتَلِ الثَّلْجِيَّةِ في الوقتِ الذي كانت فيه الشمسُ المتألقةُ تكسو بأَشِعَّتِها رَوَابِيَ القُطْبِ المُتَجَمِّدِ وَسُهُولَه. وكانت المحطةُ تَعُجُّ بعددٍ كبيرٍ من العُلَماءِ ، وتَزْدَحِمُ بالكثيرِ من الآلاتِ والمُعَدَّات . ورأينا أولئك العلماءَ مُنْكَبِّينَ على دِرَاساتِهم وأبحاثِهم العلميةِ ، التي تَهْدُفُ إلى معرفةِ التكوينِ الطبيعي أو الأجْزَاء التي تتركبُ منها نواةُ الأرض .

ويُقَدِّرُ العلماءُ كميةَ الثلوجِ الموجودةِ في قارةِ « انتاركيتكا » بحوالى خمسةٍ وتسعين في المائةِ من مجموع الثلوجِ المتراكمةِ في العالم ، وهي مع ذلك أكثرُ القاراتِ ارتفاعاً ، إذ يبلغُ ارتفاعُها نحوَ خمسمائةٍ وسبعةِ آلافِ قدم .

والعلماءُ الذين يقومون بالأبحاثِ العلميةِ في هذه القارة متخصّصون في مجالاتٍ متعددةٍ ، فهناكَ علماءُ في علمِ الأحياءِ ورسمِ الخرائطِ وقيعانِ المحيطاتِ والفيزياءِ والمُنَاخِ وطَبَقَاتِ الأرضِ ، وغير ذلك .

وتُعَدُّ قارةُ « انتاركتيكا » إلى جانبِ كَوْنِها مجالاً فسيحاً للمعلوماتِ العلميةِ من أجملِ مناطقِ العالَم ، وبِخَاصَّةٍ عندما تَنْعَكِسُ أشِعَّةُ الشمسِ الساطعةِ على سَطْحِها البِلَّوْرِيِّ ، فتنبعثُ عنه ألوانٌ رائعةٌ متعددةٌ منها اللونُ الزَّهْرِيُّ . والقِرمِزِيُّ ، والذَّهَبِيُّ ، وسُهُولُها المستوية السطحِ تَبْرُزُ من بينها قِمَمُ الجِبالِ الشَّاهِقَةِ ، وبِهَا إلى جانبِ ذلك كُلِّه أنهارٌ بالغةُ الرَّوْعَةِ ، وشَلَّالاتٌ جليديةٌ مُثيرةٌ .

وبعدَ يومٍ من وُصولِنا إلى القُطْبِ، شاهَدْنَا وصولَ باخرةٍ عظيمةٍ ، وهي ترسُو في مَرْفَأِ « ماكموردو » حاملةً على ظهرها مائةَ مسافرٍ ، وهي مزودةٌ بدعائمَ خاصةٍ ، تُمَكِّنُها من الإبْحارِ في المياهِ الجليدية .

وعندما وَصَلَ أولئكَ السَّائِحونَ عُيِّنَ مُرْشِدٌ لكلِّ خمسةٍ منهم وهذا عملٌ وِقَائِيٌّ إذْ إن قارةَ « انتاركتيكا » ليست مكاناً لتجوالِ المرءِ بمفرده ، فقد حَدَثَ أن أحد السائحين النَّرْوِيجِيِّين ابتعدَ ثلاثينَ قدماً عن رِفاقِه ، فهوى في حُفْرَةٍ

Marfat.com

من الثلوج ، عُمْقُها عشرةُ أقدام .

وَقَدْ بدأتْ الرِّحلاتُ السِّياحيَّةُ الى هذه القارةِ منذُ أوائلِ الخمسيناتِ من القرنِ الحالي ، ويُحْتَمَلُ أن تَزْدادَ حَرَكَةُ السِّياحةِ إلى المناطقِ الجَنُوبيَّةِ النَّائيةِ مِنَ القَارَّةِ ، ولكنها لَنْ تكونَ حركةً واسعةً ، لِشِدَّةِ البُرودةِ ، في تلك المناطق ، وللتَّكاليفِ البَاهِظَةِ التي يَدفعها السائحُ في سبيلِ الوصولِ إليها .

تِلْكَ هي القَارَّةُ التي تُغَطِّيها آلافُ الأَقْدامِ من الثُّلُوجِ طوالَ أيام السنة ، حيث الروعةُ والجمالُ الطبيعي الأخَّاذُ . وعلى الرَّغْمِ من قَسْوَةِ الأحوالِ الجَوِّيَّةِ هُنَاكَ فإنَّها تُعَدُّ اليومَ مسرحاً نَشِطاً لِلْعَدِيدِ من الأبْحَاثِ العِلْمِيةِ الهَادِفَةِ إلى خيرِ الإنسانية .

المناقشة :

(١) بم تتميز قارة « أنتاركتيكا » ؟ وأين تقع ؟

(٢) متى يكثر عدد الوافدين إلى هذه القارة ؟ ولم يفدون إليها ؟

(٣) كيف يواجه السكان في هذه القارة مشكلة المياه ؟

(٤) ماذا عرفت عن الحالة الجوية في هذه القارة ؟

(٥) ما الهدف من الأبحاث العلمية التي تجري في هذه القارة ؟

٦١) تتعدد اختصاصات العلماء الذين يعملون في هذه القارة . وضح ذلك ؟

(٧) لم تعد هذه القارة من أجمل مناطق العالم ؟

(٨) لم كان تجوال السائح وحده في هذه القارة محفوفاً بالمخاطر ؟

Marfat.com

كَيفَ تختَار مهنَتك ؟

من أهمّ ما يواجهُ الشبابَ في مَطْلَعِ حياتِهم ، اختيارُ الطريقِ الذي يسلكونه ، حينما يَقِفون حائرينَ أمامَ أبوابِ المستقبل، مُقَدّرينَ أنّ القرارَ الذي يتّخِذونه ، سيكونُ ذا آثارٍ نفْسِيّةٍ ومَادّيّةٍ عليهِمْ ، في سائرِ أيامِ الحياة . ولذلك ينبغي أن يعرِفَ الشابّ أينَ يضعُ قَدَمَه، قبلَ أن يختارَ لنفْسِهِ مِهْنَةً يُزاوِلُها، ويَكْسِبُ عَيْشَهُ عن طريقِها . ينبغي أن يتعَرَّفَ على خصائصِ نفسه ، وما لَدَيْهِ مِنْ نواحي القُوّةِ والضَّعْفِ ، وأن يتأكدَ منْ مُيولِهِ ، ويَعْرِفَ مَا يُحِبُّ مُزاوَلَتَهُ منَ الأمورِ . ومَا يَكْرَهُهُ . دُونَ أن يتأثّرَ بالنّزَواتِ الطّارِئَةِ عليه ، أو المظاهِرِ المحيطةِ به ، أو الأفراد المخالِطينَ له ؛ وأن يَضَعَ في حُسْبَانِهِ وَسَائِلَ مُعَاشرتِهِ للنّاسَ ، واخْتِلاطِهِ بهِم ، وتعامُلِهِ معهم . واستعدادِه لتَنْفِيذِ ما يتلَقّاهُ مِنَ الأوَامِرِ وَالتّعْلِيمات ، وقُوّةِ صبرِهِ واحتمالِه . فإنّ ذلكَ كلّه – إذا صَدَقَ الإنسَانُ معْ نفسِهِ في تقْديرِهِ – يُعينهُ كثيراً على أنْ يختارَ مِهْنَةَ المسْتَقْبَلِ ، وهُوَ مُطمئِنٌ إلى حُسْنِ الاختيارِ .

وَبَعْدَ أنْ يتعَرَّفَ الشابّ عَلى نَفْسِهِ وصِفَاتِه ، ينبغي لَهُ أن يُلِمَّ بالمعلوماتِ الكافِيةِ عَنْ عددٍ مِنَ المِهَنِ ، لِيُوازِنَ بَيْنَهَا ، وَيَخْتَارَ منها ما يُناسِبُه ، وَيَتَلاءَمُ معَ قُدْرَاتِه . ولَيسَ ذلكَ بالأمْرِ الهيّنِ . فَرُبما لاَ يَجِدُ المِهْنَةَ الّتي يَرَاهَا مُطابِقَةً لاسْتِعْدَاداتِهِ ومميّزَاتِه ، وَقَدْ يَجِدُ العديدَ مِنَ المِهَنِ يتّفِقُ – إلى حَدٍّ كبيرٍ – معَ مُيولِهِ ورَغَباتِه .

وَلَكِيْ يَصِلَ الشابّ إلى قرارٍ سليمٍ يجِبُ أنْ يتّصِفَ بالمرُونَةِ ، وَأنْ يُدْرِكَ أنّهُ يستطيعُ النّجَاحَ في أنواعٍ مُتَعَدّدَةٍ منَ المِهَنِ ، إذا أخَذَ نَفْسَهُ

Marfat.com

بالتدْريبِ وَالإعْدَادِ اللاَّزِمَيْنِ للْمِهْنَةِ التي يريدُها ؛ غيرَ أنَّ هناكَ مِهَناً يستطيعُ أن يُتْقِنَها أكثر مِنْ سِوَاهَا ، وَمِهَناً أخرَى لا يقْدِرُ عَلى إجَادَتِهَا ، مَهْما يَبْذُلْ فيها من جُهْدٍ ، فيجبُ أن يُوازِنَ مميزاتِهِ بمطالِبِ المِهْنَةِ ، ليتعرَّفَ عَلى ما يُحْسِنُ أداءَهُ .

والشابَّ محتاجٌ إلى التدَرُّبِ عَلى المِهْنَةِ ، التي يَعْتَقِدُ أنَّهَا تُنَاسِبُ استعدَادَاتِهِ وإلى اكتسابِ الخبرَةِ فيها ، حتى تتكوَّنَ لديْهِ المهارات الأساسيّةُ لها ، والمعلوماتُ الكافيةُ عنها ، بطريقةٍ عمَلِيةٍ ، وبذلك يُعِدُّ نَفْسَه للمهنةِ إعداداً كافياً .

ومما يَجْدرُ بالشبابِ ملاحَظَتُهُ ، أنَّ المنافَسَةَ تَكْثُرُ على بعضِ المِهَنِ دونَ بعضِها الآخَر ؛ وأن لِبَعضِ المِهَنِ بريقاً خاطفاً . غيرَ أنه لا يُدرّ على معظَمِ العاملين فيه غيرَ الكَفَافِ ، فيجبُ أن يكونَ الشابّ عَلى بصيرة من ذلك ، حينَ يختارُ مِهْنَتَهُ ، وأن يُقَدِّرَ مميزَاتها الحقيقيّةَ .

والشابَّ الذي يعرِفُ نفسَهُ حقَّ المعرِفَةِ . ويعرِفُ مَيَادينَ العملِ المختَلِفَةَ عن يَقِينٍ ، يُصْبِحُ من اليسيرِ عليهِ أنْ يوازِنَ بينَ ماله من الصفاتِ ، وما تَتَطلّبُه المِهْنَةُ منها ، فيجيءُ اختيارُه قريباً من الصواب .

وَعَلى كلِّ شابٍّ أن يُدرِكَ أنَّ الصفاتِ الشّخْصيّةَ والميولَ ، تَتَّصِفُ كلّها بالمرونةِ ، وأنَّ الشابَّ قد يَتَغَيَّرُ رَأيُهُ في نَفْسِهِ ، وفي المهنةِ التي يتطلّبُهَا ، نتيجةً لِعَمَلٍ موقّتٍ يقومُ بِهِ ، أوْ خِبرَةٍ جديدةٍ يكْتَسِبُها ، أو ثقافةٍ يحصُلُ عليها ، أو مُعَاشَرَتِهِ أناساً لم يُعَاشِرُهم من قَبْلُ .

وَهَكَذَا نَجِدُ أنَّ مِنَ الخيرِ العَميم للشابِّ – في أثناءِ دراستِهِ – أن يهتمَّ كثيراً بالدرْسِ والتحصيل ، قَبْلَ أن يَصِلَ إلى قرارٍ حاسمٍ في اختيارِ مِهْنَةٍ له ، وأن يَضَعَ لِنَفْسِه خُطّةً مَرِنَةً ، تسمحُ بالتغييرِ والتَّصَرُّفِ ، عَلى ضوْءِ ما يَجِدُ لَهُ مِنْ خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ .

Marfat.com

المناقشة :

١ – لمَ ينبغي للشاب أن يفكّر قبل أن يتخير مهنته ؟

٢ – ماذا ينبغي أن يعرف الشاب عن نفسه قبل أن يتخير مهنته ؟

٣ – ما الذي يساعد الشاب على اختيار مهنة ما من بين المهن الأخرى ؟

٤ – المرونة في التفكير لازمة لوصول الشاب إلى قرار حكيم عند اختيار المهنة التي يصلح لها . وضح ذلك .

٥ – لمَ يحتاج الشاب إلى التدرّب على المهنة التي يريد أن يختارها لنفسه ؟

٦ – تتدخل المنافسة على بعض المهن في اختيار الشاب لها . وضح ذلك .

٧ – اهتمام الشاب بالدرس والتحصيل واجب أساسي قبل أن يقرّر اختيار المهنة التي يريدها . اشرح أسباب ذلك .

Marfat.com

أَمَانَة

قال أحدُ التُّجَّار :

قَصَدْتُ الحَجَّ في بعضِ الأعوام ، وكانت تجارتي عظيمةً ، وأموالي كثيرةً ، وكان في وَسَطِي هِمْيان[1] فيه دنانيرُ وجواهرُ قَيِّمَةٌ . وكان الهِمْيانُ من ديباجٍ[2] أَسْوَد .

فلما كنتُ ببعضِ الطَّريقِ نَزَلْتُ لأَقْضِيَ بعضَ شَأْني . فانْحَلَّ الهِمْيانُ من وَسَطي وسَقَطَ . ولم أَعْلَمْ بذلك إلاَّ بعد أن سِرْتُ عن الموضعِ فَرَاسِخ . ولكنَّ ذلك لم يكن يُؤَثِّرُ في قلبي لِما كُنْتُ أَحْتَويه من غِنىً . واسْتَخْلَفْتُ[3] ذلك المالَ عند اللهِ إذ كنتُ في طريقي إليه تعالى .

ولما قَضَيْتُ حِجَّتي وعُدْتُ تَتَابَعَتْ المِحَنُ[4] عليَّ حتى لم أَعُدْ أَمْلِكُ شيئاً ! فَهَرَبْتُ على وجهي من بلدي . ولما كان بعد سنين من فَقْرِي أَفْضَيْتُ[5] إلى مكانٍ وزوجي معي . وما أَمْلِكُ في تلك الليلةِ إلا دَانِقاً[6] ونصفَ دَانِق . وكانت الليلةُ مُمْطِرةً ، فَأَوَيْتُ في بعض القرى إلى خَانِ خَرابٍ فجاء زوجتي المَخَاضُ فَتَحَيَّرْتُ . ثم وَلَدَتْ فقالت : يا هذا . السَّاعَةَ تَخْرُج رُوحي . فاتَّخِذْ لي شيئاً أَتَقَوَّى به . فَخَرَجْتُ أَخْبِط في الظُّلْمَةِ والمَطَرِ حتى جِئْتُ إلَى بَدَّال[7] فَوَقَفْتُ عليه . فكَلَّمَني بعد جَهْد . فَشَرَحْتُ له حالي . فَرَحِمَني وأَعْطاني بتلك القِطَعِ حُلْبَةً وزيتاً وأَغْلاَهُما . وأَعارَني إنَاءً

---

(١) حزام . (٢) حرير . (٣) سألت الله أن يعطيني عوضاً عنه . (٤) المصائب
(٥) توجهت . (٦) الدانق : سدس الدرهم . (٧) بائع الأطعمة .

Marfat.com

جَعَلَتُ ذلك فيه ، وجِئْتُ أريدُ المَوْضِع ، فلما مَشَيْتُ بَعيداً وَقُربْت من الخانِ زَلِقَتْ رِجْلي ، وانْكَسَرَ الإناءُ وذَهَبَ ما فيه ، فَوَرَدَ على قلبي أمرٌ عظيمٌ ما وَرَدَ عَلَيَّ مِثلُه قَطّ ! فأَقْبَلْتُ أبكِي وأصيح . وإذا بِرَجُلٍ قد أَخْرَجَ رأسَه من شُبَّاكٍ في داره ، وقال : رَيْلَكَ ! مالَكَ تَبْكِي ؟ ما تَدَعُنا أن ننام ؟ فَشَرَحْتُ له القصةَ ، فقال : يا هذا ، البكاءُ كُلُّه بسببِ دانقٍ ونصف !

قال : فَدَاخَلَنِي[1] من الغَمِّ أَعْظَمُ من الغَمِّ الأول ، فقلتُ : يا هذا ؛ واللهِ ما عِندي شَيْءٌ لِما ذَهَبَ مني ، ولكنَّ بُكائِي رحمةً لِزَوْجي ولنفسي ، فإنَّ امرأتي تموتُ الآنَ جوعاً ، ووالله لقد حَجَجْتُ في سنةِ كذا وكذا وأنا أملِكُ من المالِ شيئاً كثيراً ، فَذَهَب مِنِّي هِميانٌ فيه دنانيرُ وجواهرُ تساوي ثلاثةَ آلافِ دينار ، فما فَكَّرْتُ فيه ، وأنتَ تراني الآنَ أبكِي بسببِ دانقٍ ونصفٍ ، فاسْأَل اللهَ السلامةَ ولا تُعايِرْني فَتُبْلَى بِمِثْلِ بَلْوَاي .

فقال لي : باللهِ يا رجل ، ما كانت صِفَةُ هِمْيانِك ؟ فأقْبَلْتُ أبكي ، وقلتُ : ما يَنْفَعُني ما خَاطَبْتَنِي به . أَوَماتَراهُ منْ جَهدي[2] وقيامي في المطرِ حتى تَسْتَهْزِئ بي أيضاً ! وما يَنْفَعُكَ ويَنْفَعُني من صِفةِ هِمياني الذي ضاعَ مني مُنْذُ كذا وكذا !

ومَشَيْت . فإذا الرجلُ قد خَرَجَ وهو يَصيحُ بي : خُذْ يا هذا ، فَظَنَنْتُه يَتَصَدَّقُ عليَّ ، فجِئْتُ وقلتُ له : أيَّ شيءٍ تُريدُ ؟ فقال لي : صِفْ هِميانَك وقَبَضَ عليَّ ، فلم أَجِدْ للخلاصِ سبيلاً غيرَ وَصْفِه له ، فَوَصَفْتُه فقال لي : ادْخُلْ ، فَدَخَلْت ، فقال : أين امرأتُك ؟ قلتُ : في الخانِ ، فَأَنْفَذَ غِلمانَه فجاءوا بها ، وأُدْخِلَتْ إلى حُرَمِه[3] ، فَأَصْلَحُوا شَأْنَها وأَطْعَمُوها كلَّ ما تحتاجُ إليه وجاءوني بِجُبَّةٍ وقميصٍ وعِمامةٍ وسراويل ، وأُدْخِلْتُ الحَمَّام

---

(١) أصابني . (٢) مشقتي . (٣) حرم الرجل : أهله .

Marfat.com

سَحَراً[1] ، وطُرِح ذلك عليّ ، وأصبحتُ في عيشةٍ راضية . وقال : أَقِمْ عندي أياماً ، فأقمتُ عَشَرَةَ أيامٍ كان يعطيني في كل يوم عشرةَ دنانير ، وأنا مُتَحَيِّرٌ في عِظَمِ بِرِّهِ[2] بعد شِدَّةِ جَفائِهِ[3] .

فلما كان بعد ذلك قال لي : في أيِّ شيءٍ تَتَصَرَّف ؟ قلتُ : كنتُ تاجراً ، قال : فَلِي غَلاَّتٌ وأنا أُعطِيكَ رَأْسَ مالٍ تَتَّجِرُ فيه وتُشْرِكُنِي . فقلتُ : أَفْعَلُ ، فَأَخْرَجَ لي مائتي دينارٍ فقال : خُذْها واتَّجِرْ فيها ها هنا ، فقلتُ : هذا مَعَاشٌ قد أَغْنَانِي به اللهُ يَجِبُ أن أَلْزَمَه ، فَلَزِمْتُه .

فلما كان بعد شهورٍ رَبِحْتُ فَجِئْتُهُ وأَخَذْتُ حَقِّي وأعطيتُه حَقَّه ، فقال : اجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ ، فَأَخْرَجَ لي هِمْيانِي بِعَيْنِه وقال : أَتَعْرِفُ هذا ؟ فحين رأيتُه شَهَقْتُ وأُغمِيَ عليّ ، فما أَفَقْتُ إلاّ بعد ساعةٍ ! ثم قلتُ له : يا هذا ، أَمَلَكٌ أنتَ أم نَبِيٌّ ! فقال : أنا أَحْفَظُه منذ كذا وكذا سنة ، فلما سَمِعْتُ تلك الليلةَ تقولُ ما قُلْتَه ، وطالَبْتُكَ بالعَلامةِ فأَعْطَيْتَها أَرَدْتُ أن أُعْطِيَكَ للوقت هِمْيانَك ، فَخِفْتُ أن يُغْشَى عليك ، فأَعْطَيْتُكَ تلك الدنانيرَ التي أَوْهَمْتُك أنها هِبَةٌ ، وإنما أَعْطَيْتُكَها من هِمْيانِك ، فَخُذْ هِمْيانَك واجْعَلْنِي في حِلٍّ ! فشكرتُه ودَعَوْتُ له . وأخَذْتُ الهِمْيانَ ورجَعْتُ إلى بلدي ، فبِعْتُ الجَوْهَرَ وضَمَمْتُ ثَمَنَه إلى ما معي واتَّجَرْتُ ، فما مَضَتْ إلا سُنَيّاتٌ حتى صِرْتُ صاحبَ عشرةِ آلافِ دينارٍ وَصَلُحَتْ حالي .

المناقشة :

(١) اشرح قول التاجر : والله ما عندي شيء لما ذهب مني .
(٢) لِمَ لم يعط الرجلُ التاجر همبانه ساعة أن وصفه له ؟
(٣) لقي التاجر في حياته ساعات حرجة . تحدث عنها .
(٤) يقول تعالى : « إن مع العسر يسرا» ماذا في القصة يدل على ذلك ؟
(٥) في القصة مثل خلقي طيب . اشرح ذلك .

---

(١) قبيل الصبح . (٢) إحسانه . (٣) قسوته وغلظته .

Marfat.com

بصمات الأصابع

يقول الله تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ .

ولا يستطيعُ أحَدٌ أنْ يدركَ ما في تسويةِ البَنَانِ [1] من دَلالَةٍ عَظِيمَةٍ ؛ إلاّ إذا أدركَ الحقيقةَ ، العجيبةَ ، التي تَوَصّلَ إليها العلماءُ ، بَعدَ بحثٍ ، ودراسة ، واستقراءٍ ، عَبْرَ السنين ، في مختَلِفِ أنحاءِ الأرض ، وهي أنّه يستحيلُ أن تَتَطَابَقَ بصمتَانِ لِشَخصينِ مختَلِفَينِ .

أفَليسَ هذا دليلاً على قُدرةِ الخالقِ ، جَلّ وعَلا ؟ وألَيْسَ دليلاً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يأتِ بالقرآنِ من عِندِهِ كما يَرجف المرجفون ؟ وإلاّ .. فَكَيفَ لَهُ أن يعرِفَ – وهو الأمّيّ الذي لا يكْتُبُ ولا يَقْرَأ – ما بَذَلَ فيهِ علماءُ العالَمِ ، في مختَلِفِ البلاد ، وعلى مَرِّ العصورِ ، الجهودَ تلوَ الجهودِ ، حتى أدْرَكُوهُ ، وأمْكَنَهُم الإفادَةُ منه ؟ ومن يدْري ، فَرُبّما كانت بعضُ أسرارِهِ لا تزال خافيةً ، وقد يَكْتَشِفُها الناسُ في الأجيالِ القادمة !

لقد استطاعَ العِلْم – منذ عهدٍ غيرِ بعيدٍ – أن يضَع طريقةً خاصّةً لحفظِ بصماتِ الأصابع [2] ، وأن يُبَيّن أوجُهَ الإفادةِ منها .

ومنذ عام تسعمائةٍ وألفٍ ، بعد الميلاد ، اطّرَدَ التّقَدُّمُ في الإفادةِ من بصماتِ الأصابعِ في شتى الوجوهِ ، والمرافقِ ، التي تتطلّب تحقيق شخصية الأفراد . ولقد أمْكَنَ حَصْرُ بصماتِ المجرمينَ الدّوَلِيّين ، ووضعُ نظامٍ لترتيبِ بصماتِ

---

(١) طرف الإصبع .

(٢) حدث ذلك في حوالى عام ١٨٩٠م .

Marfat.com

أصابعِ اليدِ ، وحفظها ، ونظام آخرَ لبصماتِ الأقــدام . وسوف يُستَخْدَم « التلفزيون » – في المستقبل – في نقلِ صورِ البَصَماتِ ، ليَسْهُل تَعَقّب الجناةِ – أينما كانوا – وتحقيقُ شخصيةِ الأفرادِ ، بأقصى قدرٍ من السرعة .

سطا لصٌ على أحدِ المستشفياتِ في اليابانِ عام ثمانين وثمانمائةوألف ، بعد أن تَسَلّقَ إحدى المداخنِ ، فتركَ آثاراً سوداءَ ، واضحةً لبصماتِ أصابعِه ، على أثاثِ المستشفى الناصعِ البياضِ ، فقام أحد أطبّاءِ المستشفى ، بفحصِ هــذهِ الآثارِ ، ومقارَنَتِها – عن طريق المجهر – ببصماتِ الفاعلِ ، الذي ضُبِطَ فيما بعدُ ، فتَبَيّنَ أنّها مُطَابِقةٌ لبَصَمَاتِه .

وهكذا بَدَأ التفكيرُ في الإفادةِ من البَصَمَاتِ الْفَرْدِيّةِ ، في كَشْفِ الحوادثِ الجنائيةِ الغامضةِ ، ولكنّ ذلك اقتصَرَ على إقامةِ الدليلِ في إثباتِ التّهْمَةِ على الفاعلِ ، وضبطه . وكانتْ الإفادة منه مُتوَقّفَةً ، على دِقّةِ التحرياتِ ، ومَدَى نجاحِها ، في إدخالِ الفَاعِلِ ، ضمنَ المشتَبَه فيهم .

ثم تَقَدمَت وسائلُ إظهارِ البَصَمَاتِ الخفيّة ، ورفعِها ، في أماكنِ الحوادثِ الجِنائيّةِ ، ووُضِعَ نظامٌ لتسجيلِ البَصمات الفرديةِ ، لمن اعتادوا الاعتداءِ على النفسِ والمالِ ، وذلك لمقارَنَتِها بالبَصَمات التي تُرْفَعُ من أماكنِ ارتكابِ الجريمةِ ، ثم تَقَدمتْ نظُمُ تسجيلِ البَصمات ، حتى أصبَح في الإمكانِ التعرّفُ على شخصيّةِ المجرمِ المجهولِ ، الذي يَترك بَصماتِه في مكانِ الحادث ، ولو لم يترك وراءَه سوى بصمةٍ واحدةٍ .

وتعدّ البَصَمات الآن ، دليلاً علمياً قاطعاً ، لا يتطَرّقُ إليه الشكّ ، أمام القضاء ، وأمامَ جميع الهيئاتِ التي تماثله ، حتى ولو لم تَدْعمْها أدِلّةٌ أخرى . ولقد أصدَرَتْ المحاكمُ أحكاماً كثيرة ، في جميعِ بلادِ العالم ، آخذة بالدليلِ المُسْتَمدِّ من البَصَمَات ، وذلك اعتماداً على الحقائقِ المؤكدةِ الثابتةِ ، من أنه على الرغمِ من أنّ معاملَ تحقيقِ الشخصيةِ في العالم بأسرهِ ، قد فحصت ملايينَ عديدةً من البصمات ؛

Marfat.com

فإنه لم يُعثر – مطلقاً – على بَصْمَتَين متطَابِقَتَين لِشخصين مختلفَين وقد أثبتَتْ الطرُقُ العلميّةُ، التي استخدَمَها علماءُ البصمَات، استحالَة تطابُقِ بصمتَين لِشَخْصَين مختلِفَين، بل لإصْبَعَين مختلِفَين لشخص واحد، وذلك لأن احتمالَ وجودِ هذا التطابقِ، لا يحدثُ إلاّ بينَ عددٍ يبلغُ أضعافاً مضاعَفة لِعَدَدِ سكانِ الكرةِ الأرضية، وبعبارة أُخرى، لا يمكن أن يُوجَدَ احتمالُ تَكَرُّرِ بصمةٍ واحدةٍ لشخصين مختلفين، إلاّ بين أربعةٍ وستينَ ملياراً من الأشخاص (٣). ولا يمكِن تَطَابق بَصَمَاتِ الأصَابِعِ العَشرَةِ في شَخْصَينِ مختَلِفَينِ – على سبيلِ الاحتمال – إلاّ مَرَّةً واحِدَةً، في كلّ سبعة وثلاثين وثلاثمائة قَرْنٍ، وستين وستمائة ألفٍ، وأربعةِ ملايين من القرون !! فإذا علمنا أن سكان الأرض كلّها – اليوم – يبلغُ ثلاثةَ بلايين ونصفَ البليون من الناسِ، أدركنا الاستحالة التامّةَ لوجودِ أيّ تطابُق في البَصَمَات.

والبَصَمَاتُ يُنْتَفَعُ بها، في عَديدٍ من الأوْجُهِ، لا تكادُ تقعُ تحتَ حَصْرٍ، لأنها بعيدةٌ عن مواطن الشكّ في إثباتِ الشخصيةِ، ويصلُحُ استعمالها في جميعِ المرافِق، والمهامّ، التي يرادُ بها تعيينُ فردٍ بذاته، تستوي في ذلك الأغراض المدنية والتجارية، والوظيفية، والجنائية.

ومن الأمثلة التي تَستَخدمُ فيها بعضُ الدول بصماتِ الأصابعِ، أن بعض مستشفياتِ الولادةِ، التي يقضي النظامُ فيها بإبعادِ الأطفالِ عن أمهاتهم، فترة من الزمن، تُؤْخَذُ بصمات قَدَمَي الطفل على لوحة خاصة، خَشْيَةَ وُقوعِ خَطإٍ، في نِسْبَةِ الوليدِ إلى أمه، وتَستَخْدِمُ بعضُ الجيوشِ البصماتِ للجنود، وقْتَ قبولهم في الخدمةِ العسكرية، بقَصْدِ التَعَرّفِ على من يتوفّى منهم، أو يُفْقَدُ، أو يهْرُبُ. وقد وضَعَتْ بعضُ الدّوَلِ أنظِمَةً، تمنعُ ارتكابَ الغشّ، والتزويرِ في الصكوكِ، والمستنَدَاتِ الوظيفيةِ، والمدنيةِ، والتجارية، وذلك باستخدامِ

---

(٣) المليار الواحد يساوي ألف مليون.

Marfat.com

بصماتِ الإصبعِ ، بدلاً من التوقيعِ .

وتستخدَم البصماتُ ـ أيضاً ـ في منعِ اشتغالِ المجرمين ، في الوظائـــف ، والمهن ، والخدمات التي تتطلّب الأمانة ، والاستقامةَ في أربابها .

وتُستَخْدَم البصمات في التعرف على الهاربين من وجهِ العدالة ، مهما بلغتْ مهارتُهم في التنكّرِ ، وتضليلِ من يَقْتَفُون آثارَهم . وتنقل البصمات ـ عن طريقِ البرْق ، وِفْقاً لقانونٍ خاصٍ بها ـ من دولةٍ إلى أخرى ، للمساعـــدةِ في كشفِ المجرمين الدوليين . وتؤدّي بصماتُ الأصابع ، خدمات جليلة في تحقيقِ شخصياتِ الأفراد ، في مجالاتِ جوازاتِ السفرِ ، والامتحاناتِ العامـــة ، والمصارِف ، وصناديق التوفير ، والوصايا ، والمواريث ، وبطاقاتِ الهويّةِ إلى غير ذلكَ مـــن الخِدَماتِ ، التي لا تقعُ تحتَ حصر .

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أن الشكلَ الظاهريَّ ، لبصماتِ الأصابعِ ، يمكن الاستدلالُ منه على عمرِ صاحبِـــه إذ إن الحيّزَ الذي تَشْغَله خطوط البصمات ، يتزايد مع الكِبَر . كما أنه يُسْتَدَلّ من البصماتِ على مِهْنَةِ الشّخْصِ ؛ فالتآكُلُ في راحَةِ اليدِ مثلاً ، يشيرُ إلى أنّ صاحبَها يشتغلُ بالبناءِ ، أو بالطلاءِ ، أو بالأحماض ، ووخزُ الإبَرِ يَدُلُّ على الاشتغالِ بحرْفـــةِ الخِياطةِ ؛ فسبحانَ الخلاّق العظيم ، جَلّتْ قُدرَتُهُ ، وتناهَتْ عَظَمَتُه .

المناقشة :

١ ـ لتسوية بنان الإنسان دلالة كبيرة على قدرة الله عزّ وجل. وضح ذلك مما قرأته في القطعة.
٢ ـ ما الحقيقة العلمية التي توصّل إليها العلماء بعد دراسة بصمات الأصابع الآدمية ؟
٣ ـ ما الحادث الذي كان سبباً في دراسة بصمات الأصابع ؟ ومتى حـــدث ؟ وأين ؟
٤ ـ تعدّ بصمات الأصابع الآن دليلاً قاطعاً أمام القضاء . مـــا أسباب ذلك ؟
٥ ـ كيف أثبتت بحوث العلمـــاء استحالة تطابُق بصمتـــين لشخصين مختلفين ؟
٦ ـ يُنتفَعُ ببصمات الأصابع في عدد من الأوجه . وضّح ذلك .
٧ ـ اضرب بعض الأمثلة للخدمات الـــتي تؤديها بصمات الأصابع في حياة الأفراد ؟
٨ ـ كيف يمكن الاستدلال ببصمات الأصابع على عمر أصحابها ؟
٩ ـ كيف يُستَدَلّ ببصمات الأصابع أحياناً على مهنة الشخص ؟

Marfat.com

الجَمل في تُرَاث شِبْه الجَزيرَة العَربيَّة

إنَّ علاقَةَ العربيِّ بالجملِ ، علاقةٌ قديمةٌ ، عريقةٌ ، واضحةٌ ، لا تحتاج إلى إثباتٍ ، أو تأكيدٍ ، فمنذ استَأْنَسَ العربيُّ هذا المخلوقَ ، أو أشْرَكَهُ معه في حياته ، على ظَهْرِ الصحراءِ ، تآلَفَ مَعَهُ وتعايشَ ، وكأنَّما هُنَالك نقاطُ التقاءٍ ، بينه وبين هذا المخلوقِ ، تجعَلُ كُلاً منهما يُشَارِكُ الآخرَ في تقاسُمِ ما تَأتِي به الحَيَاةُ على ظَهْرِ الجزيرة من خيرٍ أو شرٍّ . والحقَّ أن لهذا الحيوان ميزاتٍ كثيرةً ، جعلت العربيَّ يهتمُّ به ويَرْعَاه ، ويستخدمُهُ لتَذْليلِ ما يُلاَقِيهِ من مصاعبِ الحياةِ ، فالتكوين العُضْوِيُّ لهذا الحيوانِ ، يجعلُ منه مَخْلُوقاً قادِراً على تحمل كثيرٍ من مشاقِّ الصحراءِ .. أَخْفَافُه المبسوطَةُ تُسَاعِدُهُ على السيرِ فوقَ طبيعة هذهِ البلاد الرَّمْلِيَّةِ تارةً ، والصخْرِيَّةِ تارةً أخرى ، وقدرَتُهُ على تَحَملِ العَطَشِ تَجْعَلُ منه رَفِيقاً جيِّداً ، في مَفَازَاتِ بلادِ العرب ، التي يَقِلُّ فيها الماءُ ، بَلْ يَنْدُرُ في كثير منَ الأحيانِ ، وضخَامَةُ جِسْمه تؤهلُه لحمْلِ كمياتٍ كبيرةٍ من الزادِ والعدَّةِ والعَتادِ ، وارتفاعه الشَّامخُ ، وقوائِمُهُ الطويلَةُ ، تُسَهِّلُ له السيرَ بسُرْعَةٍ ، وهو – مع ذلك – شَدِيدٌ على الحَمْلِ ، صَبُورٌ عَلى شَظَفِ العَيْشِ ، يَخْتَزِنُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى يَصِلَ إلى طَعَامٍ أو شَرَابٍ . وبهذا كانَ رَفيقاً مِثَالِيّاً للإنْسَانِ العَرَبِيِّ ، الذي يُشَارِكُهُ صفاتِ الصبْرِ والتَّحمُّلِ والقُوَّةِ وَالجَلَدِ ، في بيئةٍ صعبةِ الظُّروفِ قاسية الأحوالِ ، تعتمدُ على نُزُول القَطْرِ من السَّمَاءِ ، فإذا نَزَلَ أَعْشَبَتْ البلادُ وطَابَتْ الحَيَاةُ ، وإذا أَمْسَكَتْ السماءُ ماءَهَا ، ساءَت الأحوالُ واقشَعَرَّتُ الأَوْطَانُ .

وهكذا كانَ هذا الإنسانُ يقضي حياته بين حِلٍّ وارْتِحَالٍ ، مُتَتَبِّعاً مواسِمَ

Marfat.com

الغَيْثِ ، ومَنَابِتَ الكَلأِ . وفي هَذِهِ الحَيَاةِ المُتَحَرِّرةِ كانَ الجَمَلُ عَوْناً كَبِيراً للإنْسَانِ العَرَبِيّ ، وكَانَ مُتَحَمِّلاً ـ كَسَيِّدِهِ ـ ظُروفَ البِيئَةِ ، مُذَلَّلاً ـ إلى حَدٍّ كبيرٍ ـ قَسْوَةَ الحَيَاةِ ، وتلك هي نُقَطُ الالْتِقَاءِ الَّتي افْتَرَضْنَاهَا بَيْنَ هَذَا الحَيَوانِ وبَيْنَ الإنْسَانِ .

ولذلك فقد اسْتَحْوَذَ الجَمَلُ على تفكير العربيِّ ، وشَغَلَ بَالَهُ وشَارَكَهُ مُشَارَكَةً فَعَّالَةً في ظُروف حياتِه المختلفةِ ، وأصبَحَ وجودُه عندَه يَعْنِي الشَّيْءَ الكثيرَ ، وفُقْدَانُه يُؤثِّر عَلَيْهِ بِشَكْلٍ كَبير .

كان الجملُ للعَرَبيِّ القَدِيمِ وَسيلَةً جَيِّدَةً من وسائلِ المواصلاتِ ، وثَروَةً كبيرةً للأثرياءِ ، وعُمْلَةً صَعْبَةً بَينَ التُّجَارِ ، وسِلاحاً مُساعداً في الحربِ ، ومُسْتَوْدَعاً كبيراً للغذاء . ولذلك كانَتْ الإبل من الحيوانات القليلَة المُتَعَدِّدَةِ الأغْراضِ التي استَأْنَسَها الإنسانُ ، وقَلَّما نَجِدُ عندَ الشعوبِ الأُخْرَى ، ما يُنَافِسُ الإبِلَ من حيثُ تَعَدُّدُ خِدماتِهَا ، فالخيلُ مثلاً مَجَالُها الطبيعيُّ محصورٌ في ميدانِ القِتَالِ والمواصلاتِ ، وهي مِنْ مَراكب صَفْوَةِ الناسِ من النبلاءِ والفُرْسانِ ، وإن استُخْدِمَتْ في الطعامِ فهو استخدامٌ عَرَضِيٌّ جَانِبِيٌّ .. والبَقَرُ حيواناتٌ تصلُحُ للاستِقْرَارِ ، فَهِيَ وإنْ أدَّتْ للإنسانِ خِدَمَاتٍ جليلةً في إمْدَادِهِ بالغِذَاءِ ومُسَاعَدَتِهِ عَلى الزِّرَاعَةِ ـ تَقْصُرُ عن الإبِلِ في ميدانِ المواصَلاتِ والحَمْلِ والتَحَمُّلِ وغيرِ ذلك .. ولا نريدُ أن نتَطَرَّقَ إلى الحيواناتِ الأُخرَى التي استأنَسَهَا الإنسانُ أو استخدمَها في شُؤُونِهِ الدُّنْيَوِية ، فهي تَقِلُّ عن الجملِ لدرجةٍ كبيرةٍ جِدّاً حتى لنَحْسَبُ أنَّ الموازَنَة بينَها وبينَه سَاذَجَةٌ لا قيمَةَ لها .

ولهذا التَّعَدُّدِ في المَنَافِعِ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الإبِلَ ـ في القرآنِ الكريم ـ منَ الظواهِرِ الضَّخْمَةِ التي يَجْدُرُ بالإنسانِ أن يَتَأَمَّلَهَا ويُدِيمَ النَّظَرَ فيها ، حينَ يُؤْمِن بقدرةِ اللهِ وعَظَمَتِهِ . لقد قَرَنَ اللهُ تعالى الإبِلَ بالظواهِرِ

Marfat.com

الطبيعيَّة الكُبْرَى في قوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ فهي آيةٌ مِنْ آياتِ اللهِ الكُبْرَى ، التي تَدْعُو إلى التَّفكُّرِ والاعْتِبارِ . وفي آيةٍ أُخْرَى تَتَجَسَّدُ تِلكَ النِّعَمُ التي مَنَّ اللهُ بها على عِبادِهِ بخلْقِ الإبِلِ ، وَدَعَاهُم إلى تأمُّلِهَا ، وذلكَ في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

ولِتَعَدُّدِ منافِعِ الإبلِ وما جَلَبَتْهُ للعربي من خَيْرٍ عميمٍ دخلَتْ في حياتِه ، فرافَقَتْه في حِلِّهِ وتَرْحَالِهِ ، وحَرْبِه وسِلْمِه ، وشَاطَرَتْهُ عيشتَهُ ، وَمَلأَت عليه أوقاتَه ، وكان لها صدًى كبيرٌ في تكوينِ تفكيرِه ، وتلوين معيشتِه ، وإثراءِ لُغَتِهِ وأدَبِهِ ، وتكييفِ سُلوكِهِ وأخلاقِهِ ، وصنيعِ عاداتِه وأعرافِه ، وكانتْ لذلك من أهَمِّ المُكَوِّنَاتِ لِتُراثِهِ الثَّقافيِّ بملامِحِهِ المختلِفَةِ .

ومن الإبلِ المشهورَةِ الناقةُ « القَصْوَاءُ » – ناقَةُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم – ويُقَال إنَّهَا حَمَلَتْهُ في هِجرتِهِ مِنْ مَكَّةَ إلى المدينةِ . ومِنَ الثَّابِتِ أنَّها حَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في حَجَّةِ الوَداعِ ، وعَلَيْهَا خَطَبَ خُطْبَتَهُ المَشْهُورةَ يومَ عَرَفَة .

ولَعَلَّ مِمَّا يُمَيِّزُ اللُّغَةَ العربية عَنْ بَقِيَّةِ اللغاتِ السَّامِيَّةِ الأُخْرَى كَثْرَةُ ما اخْتَرَعَتْهُ هذه اللغةُ من أسماءِ الإبلِ وصِفاتِها ، وشِيَاتِها ، كثرةً لا يُنَاظِرُها عددٌ في تلكَ اللُّغَاتِ ، وإلى جانبِ الأسْمَاءِ ، هُنَاكَ مئاتُ الصِّفَاتِ التي أطْلَقَهَا العربي على الناقَةِ ، أو الجَمَلِ ، في مُخْتَلِفِ الأَحْوَالِ ، والظُّرُوفِ التي يَمُرُّ بِهَا هَذَا الحَيَوان . ونتيجةً لهذه الكَثْرَةِ المُفْرِطَةِ ،

---

(١) الإبل : وتطلق على البقر والغنم .

Marfat.com

في الأَسْمَاء ، والأَوْصَافِ الخاصَّةِ بالإبلِ ، نالَ اللغةَ العربيةَ ثراءٌ واسعٌ ، في ألفاظِها ، ومُفْرداتِها ، وتَعْبيراتِها .

وهكَذَا نَرَى أنَّ التُّراثَ الَّذِي خلَّفَهُ الأَجْدَادُ عن الإبلِ تراثٌ هائِلٌ يكوِّنُ جُزْءاً كبيراً من تُراثِ الجزيرةِ العربية .

المناقشة :

(١) التكوين العضوي للجمل يجعله مخلوقاً قادراً على تحمل المشاق . وضح ذلك .

(٢) الجمل رفيق مثالي للعربيّ في بيئته الصحراوية ، وضح ذلك .

(٣) وازن الكاتب بين مزايا الإبل ومزايا الخيل ؛ فماذا قال ؟

(٤) ذكر القرآن الكريم النعم التي منّ بها على عباده بخلق الإبل . ما الآية التي اشتملت على ذلك ؟ وما النعم التي ذكرتها للإبل ؟

(٥) كانت الإبل من أهم المكوّنات لتراث العرب الثقافيّ . بيّن ذلك .

(٦) كانت الجمال بعد الإسلام سبباً من أسباب معركة خالدة بين المسلمين والكفار . اشرح ذلك .

(٧) لم سميت الحرب المشهورة بين علي بن أبي طالب من جهة وبين طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم من جهة أخرى بحرب الجمل ؟

(٨) ماذا عرفت عن « القصواء » ؟

(٩) ميزت الإبل اللغة العربية على بقية اللغات السامية . كيف كان ذلك ؟

Marfat.com

بَلاغة الإيجَاز وبَلاغة الإطنابْ

جرى عرفُ البلاغيِّينَ ، على أن يَجْعَلُوا الأسلوبَ الوَسطَ ، الذي تساوَتْ فيه ألفَاظُهُ ومَعَانيهِ ، أصْلَ الأساليبِ ؛ فإذا زادَتْ الألفاظُ على المعاني ، كان الإطْنَابُ ، وإذا زادت المعاني على الألفاظِ ، كان الإيجازُ . فالطرقُ المستقيمةُ عندَهُم ثلاثَةٌ : مساواةٌ ، وإيجازٌ ، وإطنابٌ . وأنا أرَى أنَّ الأديبَ الحَقَّ ، لا يكُونُ من طَبْعِهِ الطولُ ، ولا الفُضُولُ ، وإنّما يَسْلُكُ إلى تأدِية مَعَانيهِ ، إلى ذِهْنِ القَارِئ ، أو السَّامِعِ ، طريقَيْنَ : طريق المساواةِ والتقديرِ ، وطريقَ القصْرِ والحَذْفِ . أما الإطْنَابُ أو الإسْهَابُ . فليسَ من طبيعة اللغة العربيةِ ؛ لأنها لغةٌ سَاميَّةٌ . وأولُ الفُروقِ بينَ اللُّغَاتِ السَّاميَّةِ ، واللُّغَاتِ الآريَّةِ ، أنَّ الأُولَى إجْمَاليةٌ ، والأُخْرَى تفصيليَّةٌ . تجدُ ذلك واضحاً في هذهِ الجملةِ التَّعَجُّبيَّةِ : قُتِلَ الإنسان !! ، فإنَّ الفِعْلَ في هذه الجملةِ ، دلَّ بصيغَتِهِ الملفُوظَةِ ، وقرينَتِهِ الملحُوظَةِ ، على الزَّمَنِ ، والمَعْنَى ، والتَّعَجُّبِ ، والدُّعَاء ، وحَذْفِ الفَاعِلِ . وهي معانٍ لا تستطيعُ أن تُعَبِّرَ عنها في اللغاتِ الأوروبيةِ ، وهي آريَّةٌ ، إلاّ بأربعِ كلماتٍ ، أو خمسٍ . وطبيعةُ اللغاتِ الإجماليةِ ، الاعتمادُ على التركيزِ ، والاقتصارُ على الجوهرِ ، والتعبيرُ بالكلمةِ الجامعةِ ، والاكتفاءُ باللَّمحَةِ الدَّالَّةِ . أما طبيعةُ اللغاتِ التفصيليةِ ، فهي العنايةُ بالدَّقائِقِ ، والإحاطَةُ بالفروعِ ، والاهتمامُ بالملاَبَسَاتِ ، والاستطرادُ إلى المناسَبَاتِ ، والميلُ إلى الشرحِ . ولم تعْرِفْ العربيةُ التفصيلَ . والتطويلَ . والمطَّ ، وتعاقُبَ اللفظِ ، كَلِماً أو جُمَلاً على المعنى الواحد ، إلاَّ بعدَ اتِّصَالِها بالآرِيَّةِ الفَارِسِيَّةِ ، في العِراق ، والآريَّةِ الأُورُوبِّيَّةِ في الأَنْدَلُس . نَشَأَ ذلكَ في أُسْلُوبِ عبدِ الحميدِ ، ثم زادَ في أسلوبِ ابن المُقَفَّع ، ثم فاضَ في

Marfat.com

أسلوبِ الجَاحِظ ، ثم طَغَى في أساليبِ من خَلَفُوهُمْ ، من ضَعَفَةِ الكُتَّاب ، وعَبَدَةِ الصَّنْعَةِ ، في عُهُودِ الوَهَنِ ، والانْحِلاَلِ ؛ حتى لَيُدْهِشُكَ أنْ تجد في كُتُبِ الدَّوَاوِينِ ، وعُهُودِ السَّلاَطِينِ ، كِتاباً ، أو عَهْداً ، يَبْلُغُ به كاتِبُه مائةَ صفحةٍ ، يحشُوها بالفِقَرِ ، والاسْجَاعِ ، ولا يَعْنِى بِها شيئاً !! . وهذا هُوَ الإسْهَابُ الذي تُنْكِرُهُ العربيةُ ، ولا يُسيغُه العَرَبُ . وهذه الزِّيَادَةُ البَلاَغِيَّةُ التي يُسَمِّيها البَلاَغِيُّونَ « إطْنَاباً » ، قد اشترطوا في بَلاَغَتِها ، أن تَسْلَمَ من الحَشْوِ ، والتَّطْوِيلِ ، وأنْ تَدُلَّ على مَعْنًى جَدِيدٍ في الجملةِ ، تَقْتَضِيه الحالُ ؛ كتَفْصيل المُجْمَلِ ، أو توضيحِ المُبْهَمِ ، أو تأكيدِ الإسنَادِ ، أو دفعِ الإبهامِ ، أو تقوِية الأُسْلُوبِ ، وتَوْشِيَتِهِ بضروبِ البيانِ ، وألوانِ البديعِ ؛ ليُؤَثِّرَ في الذِّهْنِ ، والنَّفْسِ ، عن طريقِ الإمتاعِ ، والإقناعِ . وما دامتْ هذه الزيادةُ قد جاءت لمعنًى ، وسيقت لغَرَضٍ ، فلا تُخْرِجُ الكلامَ عن حُدودِ المُسَاوَاةِ . فقول زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ . أبْلَغُ من قولِ القائلِ ، في المَقَامِ نَفْسِهِ : « ربِّ إني كَبِرْتُ ، وشِبْتُ » ؛ لأنَّ طولَ القَوْلِ الأَوَّلِ ، قد أطالَ في معناهُ ، وقَصَرَ الثاني قد قَصَّرَ به عن مَدَاه .

والإيجازُ بِقِسْمَيْهِ ، أصلٌ في اللغةِ العربيةِ ؛ لأنَّها لُغَةُ أُمَّةٍ ، صافيةِ الذهنِ ، دَقيقةِ الحِسِّ ، سَرِيعةِ الفَهْمِ ، تَشْعُرُ بِقُوَّةٍ ، وتُعَبِّرُ بِقُوَّةٍ ، وتَفْهَمُ بِقُوَّةٍ . وقُوَّةُ الروحِ والقَلْبِ ، وقُوَّةُ العَقْلِ والإدْرَاكِ ، تُلاَزِمُهُما قُوَّةُ اللِّسَانِ والقَلَمِ ، أي البَلاَغَةُ ، والبَلاَغَةُ الإيجَازُ . والإيجازُ امتلاءٌ في اللَّفْظِ ، وشِدَّةٌ في التَّماسُكِ . ولا تَرى التَّمَيُّعَ والتَّفَكُّكَ ، والانْتِشَارَ ، إلاَّ حيْثُ تَرَى الضَّعْفَ في شَيءٍ من أولئكَ . ومِلاَكُ الإيجازِ غَزارَةُ المَعانِي ، ووُضُوحُها في الذِّهْنِ ، وطواعِيَةُ الأَلْفَاظِ ، ومُرُونَتُها في اللِّسَانِ . وإنما يكونُ العِيُّ ، والثَّرْثَرَةُ ، ومَضْغُ الكلامِ ، من جَدْبِ القَرِيحَةِ ، أو قِلَّةِ العلمِ ، أو سقَمِ الذَّوْقِ . وقَدِيماً قالوا : « مَنْ ضَاقَ

Marfat.com

عَقْلُهُ ، اتَّسَعَ لِسَانُه » .

لذلك كانَ الإسْهابُ ، أولَ ما يُصابُ به ناشِئةُ الكُتَّابِ ؛ لأنَّ جُهْدَهُم القليل ، يضيقُ عن شرحِ الفكرةِ ، فَيَدُورونَ حَوْلَها مُجَمْجِمِينَ بالكَلِمِ الفَوَارِغِ ، والجُمَلِ الجُوفِ . وهو اليومَ ، فَاشٍ في أساليبِ الصُّحُفِ ؛ لأنَّ أكثرَ كُتَّابِها ، يُؤْثِرونَ الكَمَّ على الكَيْفِ ، فَيُكَبِّرون الصَّغِير ، ويُطَوِّلونَ القَصِيرَ ، ويُنْشِئُون مِنَ الْمَعْنَى القليلِ مقالةً ، ويَجْعَلُونَ من الخَبَرِ العَادِيِّ قِصَّةً . وأكثرُ رُواةِ الأخبارِ في الصُّحُفِ ، لا يَكَادُونَ يَخْتَلِفُون عَنْ ذَلكَ الرجلِ الذي تَحَدَّثَ عنْهُ « ابنُ الأَثِيرِ » في كتابِه « المَثَلُ السَّائِرُ » ، إذْ يقول : —

« جلسَ إليَّ في بعضِ الأيامِ ، جماعةٌ من الإخْوَانِ ، وأخذُوا في مُفَاوضَةِ الأحاديثِ ، وانساقَ ذلك إلى غَرَائِبِ الوقائعِ ، التي تَقَعُ في العَالَمِ ، فَذَكَرَ كُلٌّ من الجماعَةِ شَيْئاً ، فقالَ شخصٌ منهم : « إنَّني كنتُ في الجزيرةِ العُمَرِيَّةَ ، زَمَنَ المَلِكِ فُلانٍ ، وكنتُ إذْذَاكَ صبياً صغيراً ، فاجتَمَعَتُ أنا ونَفَرٌ من الصِّبْيَانِ بالحارَةِ الفُلانِيَّةِ ، وصَعِدْنا إلى سَطْحِ طَاحُونٍ لبني فُلانٍ ، وأخَذْنَا نَلْعَبُ على السَّطْحِ ، فَوَقَعَ صَبِيٌّ مِنَّا ، عَلَى أرضِ الطَّاحُونِ ، فَوَطِئَهُ بَغْلٌ من بِغَالِ الطَّاحُونِ ، فَخِفْنا أنْ يَكُونَ آذَاهُ ، فأسرعنا النُّزُولَ إليه ، فوَجَدْنَاهُ قَدْ وَطِئَهُ البَغْلُ ، فَخَتَنَهُ خِتَانَةً حَسَنَةً ، لا يستطيعُ الصَّانِعُ الحَاذِقُ ، أن يَفْعَلَ خَيْراً مِنْها » .

« فقالَ له أحدُ الحاضِرِين : واللهِ إنَّ هَذَا شيءٌ فاحِشٌ ، وتطويلٌ كَثِيرٌ ، لا حَاجَةَ إليهِ ، فإنَّكَ بَصَدَدِ أن تقولَ إنَّكَ كنتَ صَبِيّاً ، تلعب مع الصبيانِ ، على سَطحِ طاحونٍ ، فوقعَ صبيٌّ منكم إلى أرْضِها ، فوطئه بغلٌ من بِغالِها ، فَخَتَنَهُ ، ولم يُؤْذِهِ . ولا فَرْقَ بينَ أن تَكُونَ هذه الوَاقِعَةُ ، في بلدٍ نَعْرِفه ، أو لا نَعْرِفُه ، ولو كانَتْ بأقْصَى المشرِقِ ، أو بأقصَى المغرِبِ ، لم يَقْدَح ذلك في غَرَابَتِها . وأمَّا أن تَذْكر أنَّهَا كانَتْ في الجزيرةِ العُمَرِيَّةِ ، في الحارَةِ

Marfat.com

الفُلاَنِيَّةِ ، في طَاحُونِ بني فُلاَنٍ ؛ فإنَّ مثلَ هذا تطويلٌ ، لا حاجة إليه ، والمعنى المقصودُ يُفهم بدونه » .

• • •

ومن الأمثلةِ على إيجازِ المُسَاوَاةِ والتَّقديرِ ، قولُ الله تعالى ، في آخرةِ طوفان نوحٍ : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وقولُ الرسولِ الكريم ، في تقييدِ الحُرِّيَّةِ : « إن قوماً ركِبُوا سفينةً ، فاقْتَسَمُوا ، فصارَ لكلِّ رَجُلٍ منهم مَوْضِعٌ ، فنقر رجلٌ منهم موضِعَهُ بفَأْسٍ ، فقالوا له : ما تصنَعُ ؟ قال : هُوَ مَكَانِي ، أصنعُ فيهِ ما أشَاءُ . فإن أخَذُوا على يدِهِ ، نَجَا ونَجَوْا ، وإن تَرَكُوهُ ، هَلَكَ وهَلَكُوا » .

قيلَ للرئيسِ الأَمْرِيكيِّ « ويلْسُون » ، وكانَ من رِجَالِ الخَطَابَةِ : كَمْ تُنْفِقُ مِنَ الزَّمَنِ ، في إعْدادِ خُطْبَةٍ ، تُلْقَى في عَشْرِ دَقَائِقَ ؟ فقال : أُسْبُوعَيْن ، فقيل له : فَكَمْ تُنْفِقُ – إذاً – في إعدادِ خُطْبَةٍ تُلْقَى في سَاعَةٍ ؟ ، فقالَ : أُسْبُوعاً . فقيلَ له : فإذا طُلِبَ إليكَ أن تُلْقِيَها في سَاعَتَيْنِ ؟ ، فقال : أُلْقِيهَا على الفَوْرِ .

المناقشة :

(١) ما الأصل في الأسلوب عند البلاغيين ؟

(٢) متى يقع الإيجاز ومتى يقع الإطناب ؟

(٣) لم يرى الكاتب أن الإطناب ليس من طبيعة اللغة العربية؟ وما رأيه في الأسلوب العربي الجيد ؟

(٤) متى عرفت اللغة العربية التفصيل والتطويل في رأي الكاتب ؟

(٥) لم كان الإيجاز أصل اللغة العربية ؟

(٦) ما المقصود بقولهم : « من ضاق عقله اتسع لسانه » ؟

(٧) ماذا تفهم من إجابة الرئيس ولسون على من سأله عن الزمن الذي ينفقه في إعداد خطبه ؟

نسخة مجانية

Marfat.com

مَعارك النّصر العَربيّة في رَمَضان*

شهد العالم في شهر رمضان من عـــام ألف وثلاثمائة وثلاثة و تسعين ، تحولاً في تاريخ العرب ، إذ استردوا في قتالهم مع الصهيونية كثيراً من اعتبارهم[1] في الحرب التي خاضتها كل من جمهورية مصر العربية و الجمهورية العربية السورية وأسهمت فيها جميع الدول العربية بالمال والرجال . ولم يكن رمضان ذلك العام بدعاً في تسجيل مثل تلك الانتصارات والتحولات الهامة ، فلرمضان في تاريخنا البعيد ذكريات لانتصارات رائعة ، ونذكر هنا من تلك الانتصارات العظيمة « غزوة بدر » التي سجّلَتْ أكبر تحوّلٍ في تاريخ العرب والمسلمين .

فرغ الناس من صلاة العشاء الأولى في المسجد الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم لدى وصوله إلى « يثرب » وشارك في بنائه بيديه الكريمتين وشاركه في ذلك المهاجرون والأنصار ، وتحلّقوا هنا وهناك في رحاب ذلك المسجد الذي بُنِيَ على أساسٍ من التواضع والبساطة . تحلّقوا حلقاتٍ ، بعضُها يقرأ القرآن ، وبعضُها يَعِظُ ويرشد ، وبعضها يعلّم أصولَ الدين . وفي إحدى تلك الحلقات تجمّع أربعة نفر : اثنان من المهاجرين هما « ثابت بن قيس » و « سعيد بن زيد » ، واثنان من الأنصار هما « خارجة بن زهير » و « البَراء بن معرور » .

وبدأ ثابت بن قيس يقول : إنَّ من نِعَمِ الله تعالى علينا أن لَقِينا في هذه المدينة الطيبة إخواناً فتحوا لنا قلوبهم وبيوتهم فآوَونا ونصرونا وكادوا لولا التعَلّقُ بالأوطان والتشوقُ للأهل أن يُنسونا بلدَنا وأنسباءَنا .

(*) بقلم محمد علي عكاري – بتصرف .

(١) كيانهم وكرامتهم .

Marfat.com

فأجابه خارجةُ بنُ زهير : بل إن شُكرَنا لله على ذلك أوْجَبُ وأوفرُ فقد قَوِيَ بكم ساعدُنا والتأمَ شملُنا .

وقال سعيد بن زيد : أمَا والله إن فضلَكم لا يُنسى ، وجميلَكم لا يُجحد . فقد تفانَيتم في رعايتنا والحدب علينا عندما نزلت بيثربَ تلك الحمى الخبيثةُ وأصابنا منها جميعاً شديدُ العنَت وعظيمُ الكرب ، فقد كنتم تحملون مرضكم ، وتَنْسَوْنَ أوجاعَكم ، وتندفعون لمواساتنا ومداواتنا والإنفاقِ علينا .

فتدخّل البرَاء بنُ معْرُور يقول : مهلاً يا أخي سعد ، فإنا لم نفعلْ سوى ما تُمليه الأخُوَّةُ علينا ، تلك الأخوَّةُ التي أقامها بيننا الرسولُ الكريمُ حين أصلَحَ ما بيننا نحن قبيلتي الأنصار من الأوْس والخزْرَج بعد أن كدنا نتفانى معاداةً ومنافرةً وخصاماً ، فلما جاءنا وشَدَّ عُرانا بحبال المحبة أصبحنا صفاً واحداً لا يفرّق بيننا مُفَرّق .

وتكلّم خارجةُ ليقول : في الحقّ أن ما ذكره الأخ سعدُ بن زيد من إنفاقنا توافهَ المال في معونتكم لا يُعَدُّ شيئاً بجَنْبِ ما أغنانا به الإسلامُ من عِزَّةِ نفس ، وصدقِ إيمان ، وخالص حب . ومع هذا فقد أحَبَّ الرسولُ أن يكفيكم – إخواننا المهاجرين – مئونةَ الاستعانة بنا – على الرغم من استعدادنا لمواصلتها دون حدود – فعَلّمَكم من الحِرَف والمِهَن ما أصبح يدرُّ عليكم أموالاً تكفي لمعاشكم وحياتكم أنتم وعيالُكم وأهلكم . وتوقّف خارجة برهة ثم قال : دَعُونا نتحدّث فيما هو أهمّ من هذا . ألم تبلغْكم تحرّكاتُ اليهود هنا في يثربَ ومحاولاتهم إيقاظ النعرات وإثارةَ الأحقاد التي كانت تعتمر صدورَنا من قبل ، نحن قبيلتي الأوس والخزرج ، تلك الأحقادُ التي قضى عليها الرسول عندما أصلح بين الحيّين المذكورَين وزادهما حباً وتصافياً بانضمام إخواننا المهاجرين إلينا وإقامتهم بيننا .

قال ثابت بنُ قيس : لقد سمعنا بشيء من ذلك ، ألا قَبّحَ الله هؤلاء اليهودَ الذين لا يَرْعَوْن عهداً ولا يحفظون ذمّة. ألم يُعطِهم الرسولُ عهداً بالأمان على شعائرِهم

Marfat.com

وحرّية أديانهم ؟ ألا تذكرون تلك المعاهدةَ التي وضعها الرسولُ بين المسلمين واليهود في يثرب ؟ إن بنودها تنصّ على أن لليهود ذمّةً وعهداً عند المؤمنين ، وعلى أن بين اليهود والمسلمين النصح والنصيحةَ والبرَّ دون الإثم وعلى أن الجار كالنفس تجبُ حمايتهُ ، وعلى أنه لا يجوز لأحد من اليهود أو من المسلمين أن يُجيرَ قريشاً أو ينصرَها وعلى أنه إذا دعا اليهودُ إلى صلح أو دُعُوا إليه كان على المسلمين أن يصالحوا من صالحوه إلاّ من حارَب في الدين وعلى أنه على المؤمنين واليهود جميعاً أن يدافعوا عن يثرب إذا وقع عليها أيّ اعتداء .

قال سعيد بنُ زيد : ومع ذلك فقد تَنَكّروا لما عاهدوا عليه وجعلوا يدُسّون بين الصفوف ويتهمون المهاجرين بأنهم عالةٌ على الأنصار ويتقوّلون عن الأنصار أنهم قد بَرِموا بطولِ إقامةِ المهاجرين بينهم ، هذا عدا تذكير بعض الأوسيّين بثاراتهم القديمة عند الخزرجيين والعكس . ولقد تنبّه الرسول الكريم لكل هذا ولكنه ما يزال يصطَبِر لعلهم يرعَوون ويعودون إلى رشدهم وذلك تنفيذاً لقوله تعالى :

« أُدعُ إلى سبيلِ ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادِلْهم بالتي هي أحسن ».

قال ثابتُ بنُ قيس : لقد مضت شهورٌ عديدة وقد والله طال شوقنا إلى شعاب مكة ، وزادت لهفتُنا لزيارة البيتِ الحرام ولرؤيةِ التراب الذي ترعرعنا فوقه والمعالم التي شاهَدتْ طفولتَنا وواكبت شبابَنا وقريشٌ ما تزال على عِنادها تمانع في أن نعودَ إلى بلدتنا التي غادرناها كارهين . وهؤلاء اليهودُ الفاسدون المفسِدون حتى متى يَدُسّون بين صفوفنا غير مهتمين لنا ولا آبهين بنا ؟!

فأجاب سعيدٌ : أتظنّ أنّ الرسولَ غافلٌ عن ذلك ؟ ألا تعلمُ أن هذه السرايا التي يُنفذها آناً برياسته وآناً تحت قيادة عمّهِ حمزة وطوراً بإمرة عبيدة بن الحارث ، تلك السرايا التي تعرَّضت لقوافلِ قريش ما هي إلاّ للتلويح لليهود هنا في المدينة ولقريشٍ هناك في مكة بأن المسلمين قد قَوِيَتْ شَوْكَتهُم وأنهم عاملون على استعادة حقوقهم وأن لهم من القوة والبأس ما يمكنهم من استرجاع حقّهم وصونِ كرامتهم !

Marfat.com

قال خارجة : حقاً لقد أجفَلَتْ قريش من تلك السرايا فأخذت تأمر قوافلها التجارية الذاهبةَ إلى الشام بالابتعاد ما أمكن عن الطرق التي تقع تحت سيطرتنا . فمتى يأمرُنا الرسولُ بالانطلاق إلى قتال الأعداء؟ لقد تململَتْ أسيافنا في الأغمادِ تريدُ الانطلاق نحو أعناق أولئك الطغاة الظالمين الذين أخرجونا من بلادنا وأبعدونا عن أرضنا ، ألم يَقُل اللهُ تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ .

أفليس قتالاً هذا الذي تفعلهُ قريش إذ تُوَلِّبُ علينا القبائلَ وتُثير ضدَّنا العرب؟ أفلَمْ يَقُل الله تعالى أيضاً :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

قال ثابتُ بنُ قيس : رُوَيْدَكَ يا خارجةُ لا تتعجلْ فإن رسولَ الله ما يزال يبني المجتمعَ الإسلاميَّ على روحٍ من المحبة والنظام السليم . إنه يفكّر في أن يُنَفِّذَ ذلك عن طريق السلم والمجادلة بالتي هي أحسن وإلاّ فالحرب .. الحرب يخوضها قوم منضبطون يعرفون كيف يحاربون ولماذا يحاربون ، وثق أنه سيحارب – حين يحارب – وهو يفكّر كيف يبني سِلْماً وأماناً دائمين ليعيش الناس إخوة متحابين في مجتمعٍ لا يَتَسَلَّطُ فيه قويٌّ ولا يبغي ظالم .

واستمرَّ القومُ في حوارهم حتى نادى بِلالٌ بصوته النّدِيّ : « الله أكبر » فانقطع الجدالُ وقام الناس يؤدون صلاةَ العِشاء ودخلوا في صلاتهم تاركين خلفَهم كلَّ مشاغلِ الدنيا متأهبين للوقوفِ بين يدي الله الذي أطعمهم من جوع وآمَنَهُم من خوف .

أما قريش فقد اجتمع كبارُها في ندوتهم بمكة وقد أقْلَقَهُم تأخرُ أبي سفيان الذي ذهب إلى الشام منذ أربعة أشهر على رأس قافلة تجارية في ألفي بعير وتذكروا كيف

نسخة مجانية

Marfat.com

أن سرايا المسلمين كانت تتعرَّض لقوافلهم التجارية ، ولكن خفّف من قلقهم نبأ تَلَقّوْه يقول إن أبا سفيان تفادى الوقوعَ بين أيدي المسلمين ففرَّ بقافلته مُتَسَلِّلاً من أمكنة بعيدة مسرعاً يضرب أكبادَ الإبل بالليل والنهار ، ومع ذلك ارتفعت الأصواتُ صارخةً صارخة : حتى متى ستظلّ قوافلُنا تحت رحمة محمدٍ وأصحابه ! ونادى أبو جهل وكان أكثرهم غضباً وسُخطاً : أهكذا نبقى نتحاور ونتشاكى كالنساء ؟ ما بالكم لا تنطلقون للدفاع عن أموالكم وأرزاقكم ؟ وأنت يا أبا الوليد ، ما بالُك صامتاً لا تتكلّم أم لا زلت تنصح باللينِ بَدَل الشدة وبالتسامح بدل الانتقام !

فقال عتبةُ بن ربيعة : أتريدني يا أبا الحَكَم أن أطيعك في كلّ رأيٍ تراه ؟ وحقّ الكعبةِ ما أراك منتهياً بنا إلاّ إلى الكوارثِ التي أُحاول أن أُجَنِّبَكم إياها، أم تحسَبُني جباناً أفِرّ من القتال ؟

قال أبو جهل : مَعَاذَ الله ! فأنت عندي أعظمُ من أن تُتَّهَمَ بجبن عن العدو أو خوف من القتال ، ولكنا محتاجون لمشاركتك في المحاورة والرأي لأن المُلمّ بنا يصعُبُ معه السكوتُ ويستحيل عنده الصبر .

فأجاب عتبة : لقد طالما نصحتُك بتَرْكِ محمّدٍ حيث هو . إنّا واللاّتِ ما نَصْنَعُ بأن نَلْقى محمداً وأصحابه شيئاً ولئن قاتلتموه لا يزال الرجُلُ ينظر إلى وجه رجل قَتَلَ ابنَ عمه أو ابنَ خالِه أو رجلاً من عشيرته فالرأيُ أن تُخَلُّوا بين محمد وسائرِ القبائل ، فإن أصابوه فذلك ما أردتم وإن كان غيرُ ذلك لم نتعرَّضْ منه لما تكرهون . أما تجارتُنا إلى الشام فعلينا أن نرسلَ مع كلِّ قافلةٍ جماعةً يحرسونها في الذّهاب حتى تتجاوزَ المنطقة التي يُسيطر عليها محمد ، ثم متى رجَعَت عادت فاسْتَقْبَلَتْهَا وَخَفَرَتْها حتى تبلغَ مأمنها . دع محمداً حتى يبدأ هو بالاعتداء والحرب وعندئذ ستجدُ أن العربَ ينتصرون لنا ويؤيدوننا . والآن وقد سَلِمَتْ قافِلَتُنَا فاهدأ يا أبا الحَكَم وليكن لك من رجحان العقلِ وإصابةِ الرأي ما يُجَنِّبُنَا جميعاً كارثةً كبيرة .

Marfat.com

فصاح أبو جهل : لا والكعبةِ لن نتّبع رأيك هذا ، ونجبنَ عن لقاء محمد الذي أراد أن يستلبَ قافلتنا وهو سيتجه كما علمتُ نحو ماءِ بدرٍ ، وسواءٌ أفعَلَ أم لم يفعلْ فعلينا أن نسير نحن ونقيمَ هناك ثلاثاً نَنْحَرُ الجَزور ونُطعِمُ الطعامَ ونُسْقِى الخمر وتَعْزِفُ علينا القِيان، ويسمعُ بنا العربُ ، بمسيرنا وجَمْعنا فلا يزالون يهابوننا بعدها أبداً .

وهنا قام عُتبةُ غاضباً وانسحب فقال أُميةُ بنُ خلف : مهلاً يا أبا الحَكَم فإنك لم تُنْصِفْ عتبة وإنه لأشَدّنا وفاءً لآلهتنا وإنه لَنِعْمَ الرجُل المقاتلُ عن دينه ودين آلهتِـــه .

فقال أبو جهل : صَدقتَ ، ولكني مغيظٌ من بعض الذين يُقيمون بيننا هنـــا ويطّلِعون على أسرارنا ثم ينقُلونها إلى محمد وأصحابه .

فقال أُمية : أفصِح يا أبا الحَكَم ، فمن تعني ؟

قال أبو جهل : أعني جماعةً يُوالون محمداً ويُقيمون بيننا ثم إذا خَلَوا إلى نسائهم أفْضَوا إليهنَّ بما يعرفون من أخبارِنا .

فارتفع صوت قوي من أقصى الجمع يقول : وَضّح لنا معنى قولك . وكان المتكلم رجلاً عريض الصدر كبير الهامة جاء نحو أبي جهل وكأنما يتوثّبُ لقتال .

فقال أبو جهل : لقد أحسنت بسؤالِك يا أبا علي .. إذ سَألْتَني الإيضاح، هو ذاك يا أبا العاص بن الربيع ، أنت هنا تُقيم بيننا وَتَطّلِـــعُ على أسرارنا ثم تحملُها لزوجِك زينبَ بنتِ محمد لتنقلها إلى أبيها . فأجابه ابنُ العاص بصوتٍ كالرعد : ماذا تقولُ يا رجل ؟! ألم يكفِك ما تتجرأ به عليّ في مجالسِك الأخرى ؟ ألم تسألني أن أُطَلّقَ امرأتي وهي ابنةُ خالتي ومن بنات عمومتي ألا فاعلمْ يا أبا جهل أنه لا حُكْمَ لك علينا ولا على نسائنا . أترى محمداً كان يقولُ لصاحبٍ له طَلّقْ زوجتك لو كانت زوجتُهُ ابنتك يا أبا جهل أو ابنة غيرك من رجال قريش ؟ ألا إن زينبَ لو كانت زوجةَ

نسخة مجانية

Marfat.com

رجل غيري وتعرَّض لها أحدٌ بسوء لَسَفَكْتُ دَمَهُ بسيفي هذا لأنها أمّ ولديوبعض دمي، ومدَّ يدَه فامتشق حسامَه ، فاندفع سادةُ قريش يقفون بينه وبين أبي جهـــل .. وعادوا وقد خرج أبو العاص يحزمون أمرهم على أن يذهبوا إلى ماء بدر ولم يتخلّف بسوى أبي لهب الذي بعث مكانَهُ العاص بنَ هشام بنِ المغيرة وكان مديناً له بمبلغ أربعة آلاف درهم . وكان أميةُ بنُ خلف قد أجمع على القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً فأتاه بالمسجد عقبةُ بن أبي مَعيط وأبو جهل ومع الأول مجمرةٌ فيها بخور ومع الثاني مِكحلةٌ ومِروَد ، فوضع عقبةُ المجمرةَ بين يديه وقال : يا أبا ليلى استجمرْ فإنما أنت من النساء .. وقال أبو جهل : اكتحل يا أبا ليلى فإنما أنت امرأة فنهض مُغضَباً وقال : قُبحاً لك ! ودعا بجواده فامتطاه والتحق بالقوم .

وكان الرسولُ صلى الله عليه وسلم قد خرج في جيشٍ قِوامُه ثلاثمائة وثلاثةَ عشرَ رجلاً معهـــم سبعونَ بَعيراً جَعلوا يَعْتَقِبُونها ، فيركب الواحد أو الاثنان أو الثلاثة أو الأربعة بعيراً ثم يَتَرَجّلون عنه ليركبَ غيرهم . وكانت حصة الرسول صلوات الله عليه من ذلك مثلَ حصة الآخرين ، فكان هو وعلي بن أبي طالب ومرثد بن مرثد الغنويّ يعتقبون بعيراً . خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليعترض قافلة أبي سفيان ، فلما اقترب من بدر[1] علم بأن أبا سفيان قد تمكّن من الفرار وقدَّر أنه لا بدَّ لرجال قريش من أن يبادروا لحماية تلك القوافل خصوصاً وقد بلغه أنباء قلق قريش لتأخّرِ القافلة وقدّر أنه إن مضى لطريقه وأتت قريشٌ برجالها فستقعُ معركةٌ قويةٌ لا مفرَّ منها، فجمعَ رجال المسلمين واستشارهم فأيّده أبو بكر وعمر وغيرهُما وأحَبَّ أن يسمعَ رأيَ الأنصار الذين كانوا قد بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءَهم ونساءَهم ولم يبايعوه على اعتداءٍ خارجَ مدينتهم .

قال سعدُ بن معاذ : « يا رسول الله ، لقد آمنّا بك وصدقناك وشهِدنا أن مـــا جئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ

---

(١) اسم بئر حفرها بدر بن قريش وسميت باسمه ، وهي تقع بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء .

Marfat.com

لما أردتَ ونحن معك . فوالذي بَعثَكَ لو استعرضْتَ بنا هذا البحرَ فخُضتَه لخُضْناه معك ما تخلّف منا رجلٌ واحد . وما نَكْرَهُ أن تَلْقَى بنا عدوَّنا غداً . إنا لَصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللقاء لعلَّ الله أن يُريكَ منا ما تَقَرّ به عينك فَسِرْ بنا على بَرَكَةِ الله». فَسُرَّ رسولُ الله وأمَر جيشه بالتقدم إلى ماء بدر، حتى اذا جاء أدنى ماءٍ من بدر نزل محمد به فسأله الحُبابُ بن المنذر وكان عليماً بالمكان: يا رسول الله أرأيت هذا المنزلَ منزلاً أنزَلَكَهُ اللهُ فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأيُ والحربُ والمكيدة؟ قال الرسولُ صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأيُ والحربُ والمكيدة . قال الحُباب : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزلَ ثم نكبسَ الآبار بالتراب ثم نبني عليه حوضاً نملؤه ماءً ونقاتلُ القومَ فنشربُ ولا يشربون . فاستمع الرسول عليه الصلاة والسلام إلى رأيه وأخذ بنصيحته وأمر ببناء الحوض.

ولما جاءت قريش تَتيهُ بعُدَدِها وعديدها وكانت في ثلاثة أضعاف عدد المسلمين رجالاً وعتاداً وقف رجالها يستخفّون بقلة عدد المسلمين وضآلةِ عُدَدِهم ثم بدأ الحربَ الأسودُ بنُ عبدِ الأسدِ المخزوميّ وكان قد أقسم أن يهدمَ الحوضَ أمام الرسول فاندفعَ من صفوف قريش ففاجأه حمزةُ بنُ عبد المطلب عمّ الرسول بضربةِ سيف أطاحتْ بساقه وسقط على ظهره تتشخّبُ رجلُهُ دماً ، فَحَبَا واندفَع بجسمه نحو الحوض محاولاً هدمَه كما أقسم فأتبعه حمزةُ بضربة سيف فقتله في الحوض ، وهنا خرج عتبةُ بنُ ربيعة بين أخيه شيبةَ وابنه الوليد فدعا إلى المبارزة فخرج إليه ثلاثةُ فِتيَة هم عبد الله بن رواحة وعوف ومعوز ابنا الحارث ، فقال عتبة : من أنتم ؟ فذكروا أسماءهم ، فقالوا ما لنا بكم من حاجة ، ونادى مناديهم : يا محمدُ ! أخرجْ لنا أكفاءَنا ، فَنَدَبَ الرسول لقتالهم ابنَ عمه عليَّ بن أبي طالب وعمّه حمزةَ بنَ عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ، فلما دَنَوْا سألوهم من أنتم ؟ فأعلموهم ، فقالوا : نِعْمَ أكفاءٌ كرام ، فبارَزَ عبيدةُ بن الحارث — وكان أسنَّ القوم— عتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبةَ بنَ ربيعة ، وبارزَ عليّ الوليدَ بنَ عتبة . ولم يمهل عليٌّ الوليد أن قتله ، كما لم يُمهل حمزة خَصمه شيبةَ حتى جَدَلَه ، واختلف عبيدةُ وعتبة بينهما

Marfat.com

ضربتين ، كلاهما جرح صاحبه جراحة لم يقم بعدها ، فكرّ حمزةُ وعليّ بسيفيهما على عتبة فقضيا عليه واحتملا صاحبهما إلى خيمته .

وقام محمد على رأس المسلمين يُعَدِّل صفوفهم ، فلما رأى كثرةَ قريش وقلةَ رجاله وضَعفَ عُدّتهم إلى جانب عُدّة قريش أشفق على قومه واستقبل القِبلة متجهاً إلى ربه يدعوه :

« اللهُمَّ هذه قريشٌ قد أتتْ بخُيَلائها تحاول أن تكذب رسولكَ ، اللهُمَّ نَصرَك الذي وعدْتَني ، أللهُمَّ إن تهلكْ هذه العصابةَ اليوم لن تُعْبَد » .

وما برح النبيّ صلى الله عليه وسلم مادّاً يديه يدعو ربّه حتى سقط رداؤه وجَعَل أبو بكر من ورائه يَرُدّ على مَنكِبَيْهِ رداءَه ويقول : يا نبيّ الله بعضَ مناشدتك ربك فإنَّ الله مُنجِزٌ لك ما وَعَدَكَ . ولكنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ما زال متوجهاً نحوَ ربّه حتى خَفَقَ خفقةً من نُعاسٍ خرج بعدها بالناس يحرّضهم ويقول :

والذي نفسُ محمد بيده لا يقاتلُهُم اليومَ رجلٌ فيُقْتَل صابراً محتسباً مقبلاً غيرَ مُدبر إلاّ أدخله الله الجنة » .

وسمع عميرُ بن الحُمام أخو بني سَلَمة ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وكان في يده تمَراتٌ يأكل منها فقال : بخٍ بخٍ ، أفما بيني وبين أن أدخلَ الجنة إلاّ أن يقتُلني هؤلاء ! ثم قذف التمراتِ واستأنف القتال وما زال يقاتل حتى قُتِل .

وزاد تحريضُ الرسولِ جنودَه حماسة وزاد إيمانُهم بالنصر وخصوصاً عندما رأوا كبارَ قريش يتساقطون صَرْعى في ميدان القتال ، فقد كان المقاتلون الأشداءُ يندفعون نحو سادةِ قريش يفتكون بهم ، أولئك السادةُ الذين أخرجوهم من ديارهم وأبعدوهم عن أوطانهم وطَغَوْا وبَغَوْا حتى أتى حسابهم فإذا بهم يَرَوْنَ عاقبةَ الظالمين .

وانجَلَت المعركةُ عن نصرِ المسلمين نصراً مُؤزَّراً ومَقْتَلِ العديد من سادة قريش وعظمائها كأبي جهلٍ وعتبةَ بن ربيعة وأُميةَ بن خلف والوليد بن عتبة وغيرهم ، ووقعَ بين أيدي المسلمين سبعون أسيراً بينهم سَرَاةُ قريش كأبي العاص بن الربيع

Marfat.com

وعقبةَ بن أبي معيط والنضير بن الحارث . وأرسلت قريش تفتدي أبناءها من الأسرى ، وكان الفداءُ يتراوح بين ألف درهم وأربعة آلاف درهم للأسير الواحد إلا من لا شيء عنده فقد مَنَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بحريته . ومن كان يحسن الكتابة والقراءة تكفّلَ بتعليمِ عشرة غلمانٍ من أبناء المدينة الأمّيين. وكتب الله النصر للمسلمين في بدر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة .

وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة وعبد الله بنَ رواحة إلى المدينة ليُبَشّرا الناس بالنصر الذي أحرزه المسلمون . ودخل كل منهما من ناحيةٍ ينادي ذاكراً أنباء الانتصاراتِ وأسماءَ القتلى من قريش .

وكان زيدُ بن حارثة ممتطياً (القَصْواء) ناقة النبي عليه الصلاة والسلام ، فابتهج المسلمون وانطلقوا مُهَلّلينَ مُكَبّرين .

إلاّ أنَّ اليهود الذين غاظهم هذا النبأ أخذوا يدورون بين الناس قائلين . لاتصدقوا، فهذه ناقة محمدٍ نعرفُها جميعاً ولو انتصرَ لبقيتْ عنده وما ركبها سواه .

ولكنَّ المسلمين ما لبثوا أن تأكدوا من صحة النبأ واغتمَّ اليهود حتى قال أحدُ زعمائهم كعبُ بنُ الأشرف : هؤلاء أشرافُ العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القومَ لَبَطْنُ الأرض خيرٌ من ظاهرها .

المناقشة :

١ ــ لشهر رمضان في تاريخ العرب والمسلمين ذكريات لانتصارات رائعة . وضح ذلك من التاريخ البعيد والعصر الحاضر .

٢ ــ كيف كان موقف اليهود من التقارب والصلح بين الأوس والخزرج؟ وبمَ تفسر موقفهم؟

٣ ــ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعدّ العدّة قبل غزوة بدر كي يستردّ المسلمون حقوقهم ويصونوا كرامتهم . وضّح ذلك .

٤ ــ كيف قابلت قريش استعدادات الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

٥ ــ كم كان عدد جيش الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكم كان عدد الكفار من قريش في لقاء بدر ؟

٦ ــ كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه ويحترم آراءهم . وضح ذلك من القطعة .

٧ ــ ما الخطة التي وضعها الحباب بن المنذر لملاقاة قريش ؟

يوزع مجانا ولا يباع (٨)

Marfat.com

المسْـلمُون وَعِـلم الفَـلك

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ (١) يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ (٢) يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا (٣) وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ صدق الله العظيم .

وقال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ صدق الله العظيم .

وقال تعالى :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ (٤) مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ (٥) ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ صدق الله العظيم .

---

(١) كناية عن التملك . (٢) يجعل الليل يغطي النهار . (٣) سريعاً . (٤) نستل .
(٥) العرجون : أصل العذق ، الذي يعوج ويبقى على النخل يابساً ، بعد أن انقطع عنه الشمايخ .

Marfat.com

وقال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ صدق الله العظيم .

هذه الآيات العظيمةُ ، وغيرها مما في كتابِ الله من آياتٍ بَيِّنَات تَلْفِتُ الأنظارَ إلى ما في السمواتِ والأرضِ من عظيم الخلقِ وجليلِ القدرة الربَّانيَّة ، وتُوَجِّهُ الأنظارَ إلى الفلكِ[1] الأَعْظم ؛ الذي خلقه اللهُ وأمرَنا بالتفكير فيه .

كان علمُ الفَلَك من أولِ العلومِ التي لَفَتت أنظارَ العلماءِ المسلمين ، وجَلَبَت اهْتِمَامَهم وعِنَايَتَهم بها . ولم يَكُن الاهتمامُ بعلم الفلكِ مقصوراً على العلماء المختصين وَحْدَهم ، بل إنَّ الكثيرين من خلفاءِ المشرقِ والأندلسِ في المغربِ وبعضَ السلاطينِ السلاجِقَةِ والخاناتِ المُنْحَدِرين من سُلاَلَةِ « جنكيزخان » أصبحوا شَدِيدِي الشَّغَفِ والتَّعَلُّقِ بهذا العلم .

وعِلْمُ الفلكِ يبحث عن الأَجْرام السَّمَاوية وما تَحْويه وما تَنْتَظِمُهُ من نجومٍ وكواكبَ ، وعن فصول السنة ، واختلافها ، وعن الليل والنهار ، وتَعَاقُبِهِما واخْتِلاَفِهِمَا .

ولقد ظهرت المراصِدُ الفلكيَّةُ في كلِّ مركزٍ مُهِمٍّ من مراكزِ الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطرافِ ، واكتسبتْ مراصدُ بغداد ، والقاهرةِ ، وقرطبةَ ، وطليطلةَ ، وسمرقندَ ، والرقة ، ومراغةَ ، شهرةً فائقةً بقي أَثَرُها مئاتِ السنين . وكانت نتائجُ أبحاثِها هي المرجعَ المعتمدَ عند علماءِ الفلكِ في القديم والحديث .

ويرجعُ تاريخُ الفلك في بغدادَ إلى خلافة أبي جعفر المنصورِ العباسيِّ وهو الخليفةُ الثاني . وقد كان هو نفسُه عالِماً في الفَلَكِ وَلُوعاً[2] في عِلْمِ السَّماء وَمَا خَلَقَ اللهُ فيها من آياتٍ باهرات .

---

(١) الفلك : مدار النجوم .

(٢) الولوع : شديد التعلق .

Marfat.com

وفي خلافةِ هرون الرشيدِ والمأمونِ ، حققت المدرسةُ البغداديةُ الفلكيةُ إنجازاتٍ مدهشةً . فقد نقَّحَتْ النَّظَرِيَّاتِ الفلكيةَ القديمةَ ، وأصلحت الكثيرَ من أخطاءِ بطليموس ، وصحَّحَتْ الجداولَ اليونانيةَ . ويُعْزَى إلى هذه المدرسةِ اكتشافُ أنَّ أبْعَدَ نقطةٍ في مِحْوَرِ الشَّمْسِ عن الأرضِ تُغَيِّرُ مَوْضِعَها ، ثم إيجادُ قَدْرِ تَقَوُّسِ مَدَارِ الشمسِ البَيْضَوِيِّ الشَّكْلِ وانتقاصِها المتوالي ، ودِراسَةُ طولِ السَّنَةِ بِدِقَّة وتفصيلٍ . ولاحَظَ علماءُ بغدادَ أن أعلى خطِّ عرضٍ للقمر غيْرُ مُنْتَظِم ، واكتشفوا اختلافاً ثالثاً للقمر يدعى التَّحَوُّل .

وقال هؤلاءِ العلماء بوجودِ بقعٍ شمسيَّةٍ ، ودرسوا الخسوفَ وظهورَ النيازِكِ وظواهرَ سَمَاوِيَّةً أخْرَى ، وَشَكَّوا في ثَبَاتِ الأَرْضِ ، بل قال بعضُهم بِحَرَكَتِها . وسَجَّلَت مدرسةُ بغداد الفلكيةُ نتائجَ ملاحظاتِها هذه في كتابِ « الجدول الدقيق » . ويُعَدُّ يحيى بنُ أبي مَنْصُورِ المؤلفَ الأولَ لهذا الكتاب ..

ومن مشاهير علماءِ هذه المدرسةِ الفلكيةِ والسابقين في هـذا العِلم « الشيخُ البَتَّانِيُّ » . الذي يُعَدَّ من أشْهَرِ عِشْرِينَ فلكيّاً عَالَمِيّاً في الدنيا . و « أبو الوفا » . الذي يُعرف اسمُه بإحدى قواعدِ علم الفلكِ ، وهي قاعدةُ « الانحرافِ القمريَ الثالث » . وقد تَقَدَّمَ في اكتشافه ، عشرة قرون ، على العالِمَ الدانِمَرْكيَ « تيخو براهيه » الذي يُعْزَى إليه هذا الاكتشافُ خَطَأً .

ويُعَدُّ « ابنُ يونُسَ » مخترعَ الرَّقَّاص والمِزْوَلَةِ وهو الذي أسَّسَ مدرسةَ القَاهِرَة . وقد وَكَلَ إلَيْهِ الحاكمُ الخليفةُ الفَاطِمِيُّ أمْرَ إدارةِ المَرْصَدِ الذي بناه على جبل المقطم .

ونَشَرَ « ابنُ يونس » الجداولَ المُسَمَّاةَ باسمِ الخليفةِ الحاكمِ والتي فَاقَتْ في دِقَّتِها كلَّ ما سَبَقَها من جداول ، واسْتُعِيضَ بها عن « بَطليموس » ، ومقالاتِ بغدادِ الفلكية في الشرقِ كلِّه ، حتى الصين .

ولم تكن الدراساتُ الفلكيةُ في الأندلس بأقلَّ تَقَدُّماً منها في المشرق ، ذلك

Marfat.com

أن أميرَ قرطبة ، عبدَ الرحمنِ الثاني ، وجَّهَ اهتماماً خاصّاً نحوَ هذا العِلم ، غير أنَّهُ لم يَصِلْ إلى أيدينا ، إلا النَّزْرُ اليسيرُ منه .

وكانت جميعُ آثارِ العلماءِ المسلمين الكبارِ قد اجتاحها الدَّمارُ في أثناءِ الحروبِ الصليبيةِ الحاقدةِ ، التي أثارها الغربُ ضدَّ المسلمين في الأندلس ، وفي فترةِ الاضطهادِ الدِّينيِّ الوَحْشِيَّةِ التي مرت على المسلمين في تلك العصور المظلمة ، وحسبنا أن نعرف أن المراصدَ الفلكيةَ في الأندلس قد اكتسبت شُهْرَةً عظيمةً في تلك الأيامِ من حُكْمِ المسلمين المشرقِ بأنوارِ العلوم .

وقد استمرت مدرسةُ بغداد في عملها بعد سقوط الخلافة العباسية السياسيّ وتقسيمِها إلى دويلاتٍ ، ولم يتوقف نشاطُها المبدعُ إلى حوالى منتصف القرنِ الخامسَ عشرَ الميلادي ، حيث تعدَّى أثرُها إلى أواسطِ آسيا والهند والصين .

وقد عاشَ عبدُ الرحمن محمدٌ بن أحمدَ البَيْرُونيُّ — وهو أحد مشاهير العلماء المسلمين — في بلاط محمودٍ الغَزْنَوِي (٩٩٧ — ١٠٣٠) حيث كوّن حلقةَ وصلٍ متينةً بين تُرَاثِ بَغْدَادَ وعلماءِ الهند . ومن أعمالِه العديدة التي نُشِرَتْ « لَوَائحُ العَرْضِ والطّولِ لأَشْهَرِ مدنِ العالم » .

وكان السلطان السَّلجُوقي ملك شاه (١٠٧٢ — ١٠٩٢) الذي اشتهر بعلمه ، وتقريبِه العلماءَ والأدباءَ في مجالسِه ، مشغوفاً — إلى حد كبير — بعلمِ الفلك . والمراصدُ التي أمرَ بإنشائها أدت إلى تعديلِ التقويمِ ، وجعله أكثرَ دِقَّةً من التعديلِ الذي قام به « غريغوريوس » بعد ذلك بعشرةِ قرون .

وهكذا يتجلى لنا من هذا العرض المُخْتَصَر أن العلماءَ المسلمين هم أولُ من اشتَغَلَ بعلم الفلكِ بعد اليونانيين القدماء ، وأولُ من ألَّفَ فيه الكتب والمصنفاتِ الطوالَ وأولُ من اهتم اهتماماً كبيراً بإنشاءِ المراصدِ الفلكيةِ في العالمِ وخصَّصَ لها المخصصاتِ الطائلةَ من بيت مالِ المسلمين وفَرَّغَ لها فطاحلَ العلماءِ يَرْصُدون ويُحَقِّقُون ويُؤَلِّفُون ويَتْشرون .

Marfat.com

ولقد أدَّت مراصدُ بغداد الفَلكيّةُ ـ كما أسلفنا ـ في العهد العباسي الأولِ خدماتٍ لعلمِ الفلكِ ، ذَكَرَها العديدُ من العلماءِ الفلكيين في القديمِ والحديثِ وشكروها ، بل إن هذه المراصدَ أضافَتْ إلى علمِ الفلك إضافاتٍ مهمةً ، بعد أن أَدْمَجَت فيها مجموعةَ ما رُصِدَ في هذه المراصد ، إذْ عَيَّنَتْ انحرافَ سَمْتِ الشَّمْسِ بثلاثٍ وعشرين دقيقةً واثنتين وخمسين ثانيةً ، وهو ما يعادل الرقم المعروف في الوقت الحاضر تقريباً . وقد أدَّى رصدُ الاعتدالِ الشمسيّ إلى تعيينِ مُدَّةِ السنةِ تعييناً دقيقاً .

المناقشة :

(١) فيم يبحث علم الفلك ؟

(٢) كان للمسلمين منذ زمن بعيد فضل إنشاء المراكز الفلكيّة . وضح ذلك .

(٣) في عهد من أنشئت المدرسة البغدادية الفلكية ؟ وما أهم إنجازاتها ؟

(٤) ورد في القطعة أن المراصد التي أنشأها السلطان السلجوقي ملك شاه في القرن العاشر كان لها أثر كبير في علم الفلك . وضح ذلك .

(٥) أضافت مراصد بغداد الفلكية إلى علم الفلك إضافات مهمة . وضح ذلك .

Marfat.com

آثارنا التاريخية

المملكةُ العربية السعودية بلدُ التاريخ ، تلاحقت الحضاراتُ الزاهية على أرضِها منذ أحقاب[1] بعيدة ، وخلّفت وراءها آثاراً عميقة لا تزال تتردد أصداؤها فيما تناولهُ الرواةُ والمؤرخون من قِصص ممتعةٍ امتزج فيها التاريخُ بالأسطورة والخيالُ بالحقيقـــة .

وقد أشارت الكتبُ السماوية وفي طليعتها القرآنُ الكريم بشكل واضح إلى تلك الأقوام التي عاشت في كَنَف الجزيرة العربية من قديم الزمان ثم اندثرت . فتلكم أخبارُ عادٍ وثمود ، ومَدْينَ وأصحابِ الأيكة ، وأصحابِ الأخدود ، مبثوثةٌ[2] في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن الكريم ؛ فأنّى تَسِرْ في الجزيرة العربية تُشاهدْ من آثارِ الأولين ما لا يقعُ تحت حصر ؛ ففي مدائنِ صالح ، مسرحِ قصة ثمود ، البيوتُ المنحوتة في الصخر والمزينةُ مداخلُها بالنقوش الرائعة . وفي نجرانَ ترتفعُ أطلالُ[3] مدينة الأخدود ، وفي دَوْمةِ الجندل بقايا حصنٍ مارد[4] ، وفي الأفلاج أطلالُ مدينةِ الهيصميّة ، وفي الخَرْج آثارُ مدينة اليمامة . وفي فيْد قصرُ خراش وبِرَكُ زبيدة ، وفي المنطقة الشرقية آثارُ هجر والجرهاء والعقير وتاروت والجبيل وتاج وجاوان ، وفي مدين بئرُ شعيب .

ولقد جعلت هذه الآثارُ التاريخيةُ العظيمة جزيرةَ العرب مَحَطّاً[5] لأنظارِ المؤرخين والباحثين وعلماء الآثار الذين تَحْدُوهم[6] الرغبةُ إلى التعرفِ على معالم

---

(١) أزمنة . (٢) منتشرة . (٣) بقايا .
(٤) ضخم عملاق . (٥) موضعـــا . (٦) تدفعهم .

Marfat.com

تلك الحضارات العريقة التي تعاقبت عليها لأحقابٍ طويلة ، والوقوفِ على الآثار والنقوش المنتشرةِ في أرجائها . وقد وفد إلى الجزيرة العربية العديدُ من هؤلاءِ الباحثين والمستكشفين ، وقطعوا النجادَ[1] والوهادَ[2] في رحلاتٍ استطلاعيةٍ علمية ، وسجّلوا مشاهداتِهم في كتب قيّمة تُعَدُّ من المراجع الأساسية لكل دارس وباحث .

وقد تنبهت حكومة المملكة العربية السعودية إلى الكنوزِ الأثرية التي تختزنُها أرضها الطيبة ، فبادرت عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف إلى إنشاء « إدارة الآثار » بوزارة المعارف لتجمعَ مخلفاتِ الماضي التي تعكسُ أنماطَ[3] الحياة في البلاد وتاريخَها وتراثها الحضاريّ والدينيّ ، ولتعرضَ تلك الآثارَ في متاحفَ ومعارضَ لتعريف المواطنين بتاريخ بلادهم القديم .

وجَمْعُ آثار الماضي يقتضي زيارةَ المواقع والمباني الأثرية في شتى أنحاء المملكة ، وحصرَها في سجلٍّ للآثار يحتوي على أدقِّ المعلومات التاريخية وأوفرها عن كل موقع ومبنى ، ودَعْم ذلك بالصور والخرائط والرسوم . ويقتضي ذلك أيضاً اتخاذَ الوسائل التي تضمن المحافظة على تلك الآثار والحيلولة دون إتلافها أو هدمها أو طمس معالمها ، أو تأثيرها بعوامل الزمن .

وقد أُعِدّ برنامج ضخم للقيام بمسحٍ أثريٍّ شامل للمملكة لحصر المعالم والمواقع والمناطق الأثرية في أرجائها واستخدام الأساليب والطرق العلمية الحديثة ، وستُقَسَّم المملكة الى مناطق تسهيلاً لعملية المسح الأثري . وقد اختيرت المنطقةُ الشرقية لتكون أولَ منطقةٍ يَجري المسحُ الأثريُّ فيها لأن الأضواءَ سُلِّطَت على هذه المنطقة أكثرَ من غيرها بسبب احتكاكِها المباشرِ بالشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة ، ثم انتشارِ هواية البحث عن الآثار فيها .

وتستعين المملكةُ في الكشف عن تراثها الحضاريّ بجهود المستكشفين وخبراء

---

(١) الأماكن المرتفعة : (الهضاب) . (٢) الأماكن المنخفضة : (الوديان) . (٣) أنواع .

Marfat.com

الآثار العالمين والهيئات المختصة في هذا المجال ، وتوفِدُ البَعثـــاتِ من خريجي الجامعات للتخصص في العمل بحقل الآثار ، والتدربِ على أحدث الأساليب العلمية في إدارة المتاحف الأثرية والتنقيب والتحليل الأثري العلمي وعلم المسكوكات [1] واللغات القديمة .

ولا شك أن للآثار دَوْراً فعّالاً في تنمية الثقافة الوطنية وتوسعةِ آفاق الفهم التاريخيّ والانساني فلا غرابةَ إذا أَوْلَتها [2] المملكةُ ما هي جديرةٌ به من عناية وتقديـــر .

المناقشة :

(١) المملكة العربية السعودية « بلد التاريخ » وضح ذلك من القطعة .
(٢) أشار القرآن الكريم إلى أقوام عاشت في الجزيرة العربية ثم اندثرت . أذكر طرفاً منها
(٣) اذكر بعض آثار الأولين في الجزيرة العربية وعيّن مواضعها .
(٤) لِمَ يَفِدُ علماء الآثار إلى المملكة العربية السعودية ؟
(٥) تعنى حكومة المملكة بالكنوز الأثرية الموجودة فيها . ما مظاهر تلك ؟.
(٦) لم اختيرت المنطقة الشرقية لإجراء أول مسح أثري بالمملكة ؟
(٧) ما الدور الفعال الذي تقوم به الآثار التاريخية ؟

---

(١) النقود . (٢) أعطتها .

Marfat.com

وَصْف أَكُول

لمعروف الرصافي

١ أَكَبَّ على الخِوان وكان خِفّاً ... فلما قامَ أثقلَهُ القيامُ

٢ ووالَى بينها لُقَماً ضِخاما ... فما مَرِئَتْ[1] له اللُّقَم الضِّخَامُ

٣ وعاجَلَ بَلْعَهُنَّ بغير مَضْغٍ ... فهُنَّ بِفِيهِ مَضْغٌ فالتهام

٤ فضاقت بطنُه شِبَعاً ، وشالت ... إلى أن كادَ ينقطع الحِزَام

٥ فأرسلتُ اللِّحاظَ إليه شَزْراً ... وقلت له : رُوَيْدَكَ يا غلامُ

٦ أرى اللُّقَماتِ تأخذُها حَلاَلاً ... فتدخُلُ فاك وهي به حرام

٧ أتَزْدَرِدُ الطعامَ بِغَيْرِ مَضْغٍ ؟ ... على أيامِ صِحَّتِكَ السَّلامُ

٨ فلا تأكلْ طعامكَ بازْدِرَادٍ ... مُعَاجَلَةً ، فيأكُلَكَ الطَّعَامُ

٩ ألاَ إنَّ الطَّعَامَ دَوَاءُ داءٍ ... به ابتُلِيَتْ من القِدَمِ الأَنَامُ

١٠ فداوِ سَقَامَ جُوعِكَ عَنْ كَفَافٍ ... فإكثارُ الدَّوَاءِ هُوَ السَّقَامُ

١١ طعامُ الناسِ أعجبُ ما أحَبُّوا ... فمنه حياتُهم ، وبه الحِمَامُ

١٢ وأعجبُ منه أن الناسَ راموا ... تَنَوُّعَهُ ، ألاَ بِئْسَ المَرَامُ

١٣ حذارِ حَذَارِ من جشعٍ ، فإني ... رأيتُ النَّاسَ أَجْشَعُها اللئامُ

١٤ وأغْبَى العالمين فتىً أكولٌ ... لِفَطْنَتِه بِبِطْنَتِه[2] انهزامُ

١٥ ولو أني استطعت صيامَ دهري ... لصُمْتُ ، فكان دَيْدَنِيَ الصيامُ

---

(١) مرىء الطعام : حمدت عاقبته .

(٢) البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل .

Marfat.com

المناقشة :

(١) جمعت الأبيات بين الفكاهة والعظة . وضح ذلك .
(٢) وضح كلاً من الحلال والحرام في البيت السادس . وما رأيك في هذا المعنى ؟
(٣) ما نوع الاستفهام في البيت السابع ؟ وما علاقة الشطر الثاني بالشطر الأول ؟
(٤) ماذا أفادت كلمة « معالجةً » في البيت الثامن ؟
(٥) ما الداء الذي يقصده الشاعر في البيت التاسع ؟
(٦) ما المقصود بتنوع الطعام في البيت الثاني عشر ؟ وهل تفضل أن يقول « تعدده » بدلاً من تنـــوعه ؟
(٧) لم كرر كلمة حذار في البيت الثالث عشر ؟
(٨) ما رأيك في الجمع بين كلمتي فطنته وبطنته في شطر واحد ؟ وماذا بين الكلمتين من فنون البلاغة ؟
(٩) هل أضاف الشطر الثاني من البيت الخامس معنى جديداً إلى الشطر الأول ؟ وضح ما تقول .

Marfat.com

أخطار الذّبَاب

يَقتلُ الذبابُ آلافاً من الأطفالِ كلَّ عام ، ويُميتُ أو يُضْعِفُ عدداً غيرَ قليلٍ من البالغين ، ويُهلِكُ ملايينَ الحيوانات . ويَرْجعُ ذلك إلى كثْرةِ أنواعِه ، وتَعدُّدِ أفرادِه ، وأنَّه من أَقْدرِ الحيواناتِ على حَمْلِ جراثيم الأمراض .

وقد حيَّرَ الذُّبابُ أكْفَأَ العلماءِ المختَصِّينَ في مُكافحةِ الحَشَرات ، وخيَّبَ آمالَهم ، وبِخَاصَّةٍ بعدما سَخِرَ من سلاحِهم المرموزِ له ببعض حروف الهجاء « دى . دى . تى » والذي حَسِبُوه أَشَدَّ عَدُوٍّ له ، ذلك أن الأنواعَ التي هَلَكَتْ بهذا السلاحِ تَرَكَتْ أجيالاً جديدةً مَرَنَتْ على احتمال ذلك السُّمِّ شيئاً فشيئاً ، حتى صارت لا تَتَأَثَّرُ به .

وأمرُ الذبابةِ عجيبٌ ، فَعَلى الرغم من أن العلماء ظَلُّوا عِدَّةَ قرونٍ يدرُسونَ شئونَها ، فإنهم لم يستطيعوا حتى اليوم أن يَكشِفوا كلَّ أسرارِها ولا يَزَالُ كثيرٌ من أمورها وطبائِعِها غائباً عن العِلم إلى وقتِنا الحاضر .

ومما يُعْرَفُ عن الذبابةِ أنها تَحْمِلُ جراثيمَ كثيرٍ من الأمراض كالرَّمَدِ[1] والإسهالِ وعددٍ من أمراض الصَّيْف القاتلة ، وأن طَرَفي قَدَمَيْها اللَّزِجَيْن يحملان آلافَ الآلافِ من الجراثيم المختلفةِ من بينها جُرْثُومةُ الْحُمْرَةِ[2] والكوليرا والتِّيفودِ والسُّلِّ وغيرِها ، وهي تُسَبِّبُ للزارعين خسائرَ فادحةً بما تَنْقُلُه من جراثِيمَ تَفْتِكُ بالنَّباتِ والماشية .

---

(١) من أمراض العيون . (٢) مرض وبائي يسبب حمى ، وبقعاً حمراء في الجلد ، ولا تدخل جراثيمه الجسم إلا من خدش أو جرح .

Marfat.com

وتَحمِلُ الذبابةُ أيضاً جراثيمَ شَلَلِ الأطفال ، ففي أَحَدِ الاختبارات ، وَقَفَتْ ذبابةٌ مُلَوَّثَةٌ بهذه الجراثيم على قطعةٍ من المَوْز ، ثم قُدِّمَت القطعةُ إلى قردٍ في طعامه فأُصيبَ بذلك المرض .

وفي وَسَطِ إفريقيةَ وغَرَبِيِّها مساحاتٌ تَتَّسِعُ لحياةِ أكْثَر من مِلْيُونَيْنِ من الأَنْفُس ، ولكنَّها بِسَبَبِ انتشارِ الذبابِ تكادُ تكون مَهْجورة ، ومن هذا الذباب ذبابةٌ تَنْقُلُ مرضَ النوم ، وتنشرُ مرضاً خطيراً آخرَ ، يَفْتِكُ بالماشيةِ في وقتٍ قصير ، وتعرف بذبابة « تسى تسى » .

ومن أنواعِ الذبابِ الغريبةِ نوعٌ مُتَأَنِّقٌ يَعيشُ على دَمِ الحَمَامِ وحدَه ، فَيَهْجُمُ على صِغاره وهي في العُشّ ، ويَنْقُلُ إليها في أثناءِ امتصاصِ دَمِها نوعاً مُعَيَّناً من الحُمَّى ، وثَمَّةَ ذبابٌ لا أَجْنِحَةَ له يَظهرُ في منتصفِ لشتاء ، ببعض الجهاتِ الأوروبيةِ والأمريكية . وهناك نوعٌ آخرُ صغيرٌ يستطيع أن يَنْفُذَ من فَتَحاتٍ أَدَقَّ شَبَكَةٍ للبعوض . وفي مِنْطقةِ « الأمازون » وبعضِ أنحاءِ استراليا نوعٌ من الذُّبَابِ يبلغُ منَ الكِبَرِ حَدّاً يُخيفُ العصافيرَ ويبلغُ طولُ جَنَاحَيْهِ عند بَسْطِهِما نحوَ ثمانيةِ سنتيمتراتٍ .

والذُّبَابَةُ تستطيعُ أن تعيشَ في كلِّ مكانٍ تقريباً ، بل إنها قد تعيشُ ، وتتناسلُ ، في داخلِ الجهازِ الهَضْمِيِّ للإنسانِ والحيوان. وقد حُفِظَتْ أنواعٌ منها في داخلِ زجاجاتٍ صغيرةٍ ، مُحْكَمَةِ الإغلاق ، فَأَتَمَّتْ دورةَ حياتِها ، وتَناسَلَتْ ، وهي مَحبوسة . ولكنَّ أكثرَ الأنواعِ ينمو في الجَوِّ الدافئ ، ويَقْتُلُه البَرد ، ولا سيَّما البردُ المفاجئ . وتضعُ الذبابةُ نحو مائةٍ وثلاثين بيضة في المَرَّة الواحدة ، تفقِسُ بعد يومين ، مُنْتِجَةً ديداناً صغيرةً تُسَمَّى « يَرَقات » تَبْقَى في القاذوراتِ ، والسَّمادِ ، وغيره من الفَضَلاتِ ، نحو أسبوعين ، تستكملُ فيهما النُّموّ ، ولا تلبث أن تَضَعَ كلُّ ذبابةٍ من النَشْءِ الجديدِ بيضاً آخرَ وهكذا .

وبعضُ أنواعِ الذبابِ اللاَّذِعِ ، له خُرْطُومٌ حادٌّ يَخْتَرِقُ الجِلد . أما

Marfat.com

ذبابةُ البيتِ فليست لها أسنان ، ولا تَقْوَى إلا على تَنَاوُلِ الأَطعِمَةِ السائلة . أما الأطعمةُ الصُّلْبَةُ كالسُّكرِ والحَلْوَى فإنها تُذيبُها ، بأن تَتَقَيَّأَ عليها ، ثم تَمْتَصُّها.

ومعظمُ أنواعِ الذباب يَسْتَجِمُّ[1] في أثناءِ الليل ، ويستطيعُ أن يرتَكِزَ على الأَسْقُفِ ، والجِبالِ ، وما إليها ، بفَضْلِ المادةِ اللَّزِجَةِ التي في أطرافه ، ويَحْتَفِظُ بتوازُنِهِ في أثناءِ طيرانه ، بمعاونةِ عُضْوَين صغيرين ، يَبْرُزَان على جانِبَي الصَّدرِ ، ويمتلئان بالدَّم في أثناءِ الطيران . فإذا تَلِفَ أحدُ هذين البروزَيْن ، فإنَّ الحشرةَ تَسْقُطُ وتَصْطَدِمُ بالأرض .

ولم يُمْكن قياسُ سرعةِ طيرانِ الذبابةِ ، على وجه الدِّقة ، ولكنَّها بغير شكٍ تَفُوقُ في سرعَتِها أكثرَ الطيورِ والحشراتِ المعروفة ، فهي تُحَرِّكُ جناحَيْها إلى أعلى ثلاثمائةِ مرةٍ في الثانية ، على حينَ لا تَزيدُ هذه المَرَّاتُ في حالاتِ الطيورِ على ثمانين مَرَّة .

ومعظمُ الذُّباب يُؤذي النَّبات ، فبعضُهُ يُؤذي سيقانَ القمح ، ويُسَبِّبُ تَغَضُّنَها[2] قبل نُضْجِها .. وبعضُها يُؤذي نبات القُنَّبيطِ[3] والكُرُنْبِ[4] وسيقانِ الباذِنْجان .

ويَرَقَاتُ الذباب لا يَقِلُّ خطراً عن الذبابِ نفسِه ، ولها عِدَّةُ أشكال ، ولكِنَّها في الغالبِ تبدو في صورةِ ديدانٍ صغيرةٍ لا رأسَ لها ، وقد يكونُ لها ما يُشْبِهُ الشِّصَّ[5] يُمَكِّنُها من لَدْغِ جسمِ الإنسانِ أو غيرِه ، ولِبَعْضِها ذيلٌ طويلٌ يُشْبِهُ ذَيْلَ الفَأْر ، ولكنَّه مُجَوَّفٌ ، ووظيفتُه تمكينُ اليَرَقَةِ من التَّنَفُّسِ تحت الماء .

ومن خصائصِ يَرَقَةِ الذُّبَابِ ، أنها تستطيعُ أن تُكَيِّفَ نفسَها على حَسَبِ البيئةِ التي تعيشُ فيها ، فَنَوْعٌ منها يعيشُ في آبارِ النَّفْط ، ونوعٌ في الينابيعِ

---

(١) يستريح . (٢) تجعدها . (٣) المعروف بالزهر . (٤) المعروف بالملفوف . (٥) السنارة .

Marfat.com

الحارَّة ، وآخرُ يعيشُ وهو مدفونٌ في الأرض على عُمْقِ سَبْعَ عشرةَ « بوصة » ، وقد استطاعَتْ يرقةُ ذبابٍ أن تَبْقَى حَيَّةً بعد غَمْسِها ساعةً في مَحْلُولٍ خمسةٌ وتسعون في المائة منهُ من « الكُحول » . أما في محلولِ السُّلَيْمانيِّ وحامضِ الكلورودريك فقد عاشَتْ أقَلَّ من ذلك .

ومن اليرقاتِ نوعٌ يَثْقُبُ جلدَ الإنسانِ ، تاركاً الطَّرَفَ العُلْوِيَّ في خارج الجلدِ كأنه أُنْبُوبةٌ للتنفس . ويَبْقَى هكذا أياماً أو أسابيعَ ناعماً هانئاً وبعضُ يرقاتِ الذبابِ تَلْتَصِقُ بالجُروحِ والأماكنِ المُلْتَهِبَةِ في الأنفِ والأُذُنَيْن .

وفي بعضِ المناطقِ الزراعيةِ ، يَتَعَذَّرُ تَسْمينُ الماشيةِ في الصَّيْفِ . بسَبَبِ الذبابِ الذي يعيشُ على دمائِها . وقد وُجِدَ أن الثَّوْرَ الواحدَ — في تلك المناطق — قد يَفْقِدُ خِلالَ أربعةِ أشهرٍ ما بين ثلاثين وسبعين رِطْلاً على الرَّغْمِ مما يُقَدَّمُ من عَلَفٍ[1] كثير .

ومهما يَكُنْ من أمرِ العقاقير[2] التي يَتَوَصَّلُ إليها العلماءُ للفَتْكِ بالحشرات ، فلن نَسْتَطيعَ القضاءَ على الذُّبابِ إلاَّ إذا حَرَصْنا على النَّظافةِ أشَدَّ الحِرْصِ ، والْتَزَمْناها في كل شئونِنا ، ومَنَعْنا الذبابَ أن يَصِلَ إلى أَطْعِمَتِنا بالوسائل الناجعة [3] وفي مقدمتها النظافة ، ولم نسمح له بأن يسقطَ على أجسامِنا وثيابنا وكلِّ شيءٍ يتعلقُ بنا جُهدَ الاستطاعة .

المناقشة :

(١) لِمَ لم يعد دواء « دى دى تى » ناجعاً في قتل الذباب ؟

(٢) ما أشهر الأمراض التي تحمل الذبابة جرثومتها ؟

(٣) كيف عرف العلماء أن الذبابة تحمل جرثومة مرض شلل الأطفال ؟

(٤) لم تستطيع الذبابة أن ترتكز على الأسقف والحبال ؟

(٥) ما الأمراض التي يسببها الذباب لبعض أنواع النبات ؟

(٦) أشار كاتب المقال إلى أنجع دواء للتخلص من الذباب وأضراره . فما هو ؟

---

(١) طعام الماشية . (٢) الأدوية . (٣) الناجحة المفيدة .

Marfat.com

حَضَارة العرب فى الأَندلس

إن روعةَ قرطبةَ والزهراءِ وغيرِهما من المدن التي أنشأها العربُ في الأندلس ، وما احتوت عليه تلك المدنُ من المباني الجميلةِ والقصور الفخمة والمساجد الرائعة لتذكّرُنا بروعةٍ أكبر ، وجمالٍ أبهى ، هي روعةُ العقول ، وتقدمُ العلوم والفنون في تلك المدن الأندلسية ، فلقد استطاع علماءُ قرطبةَ وأساتذتها أن يجعلوها مركزاً مهماً للثقافة ، يَفِدُ عليه الطلابُ من أنحاء أوروبا ، ليتلقوا العلمَ على أعلامه[1] ، وكان يُدرَّسُ بها كلُّ فرع من فروع العلم البحتة ، ونال الطبُّ على يد أطباء الأندلس وجراحيها من النمو والتقدم أعظمَ مما ناله قبلَهم منذ أيام جالينوس[2] ، وكان أبو الطب « خلف » ـ رحمه ـ ذائع[3] الصيت في القرن الحادي عشر ، وبعضُ عملياتــه الجراحية يكاد يطابق العمليات الحديثة اليوم ، وجاء ابنُ زُهرٍ بعده بقليل فكشف عن أساليبَ كثيرةٍ في العلاج والجراحة .

أما ابنُ البيطار[4] العالمُ النباتيُّ فإنه سافر إلى بقاع الشرق للبحث عن العقاقير الطبية ، وألّفَ في ذلك كتاباً جامعاً . وكانت علومُ الفلك والجغرافية والكيمياء والتاريخ الطبيعي تدرس بجد ومثابرة في قرطبة . أما الأدبُ العربي فإن أوروبا لم ترَ في عهد من عهودها حفاوةً[5] بالأدب وأهله كما رأت في الأندلس ، حين كان الناسُ من كل طبقة ينظمون الشعر ، ولعله هو الذي أوحى إلى الشعراء الأسبانيين بأناشيدِهم وأغانيهم ، وحاكاه شعراءُ إيطاليا ، ولم تكن تُعَدُّ الخُطبةُ أو الرسالة كاملةً إلاّ إذا تضمّنت أبياتاً تُرتجل أو تُختارُ من مأثورٍ[6] الشعر الرصين[7] .

---

(١) جمع علم: الأئمة والعلماء المشهورون. (٢) أشهر أطباء اليونان الأقدمين قبل عهــد المسيح. (٣) منتشر (٤) توفي عام ٦٤٦هـ . (٥) اهتماماً كبيراً . (٦) القديم الذي يرويه جيل بعد جيل . (٧) الجيــد .

Marfat.com

وبلغت الأندلس الغاية في الفنون ، فبناء مدينة الزهراء ، أو مسجدٍ كالمسجد الجامع بقرطبة ، ما كان ليتمَّ على هذا الوضع الرائع إلاّ إذا بلغ العمالُ قمةَ المهارة في صناعاتهم .

وكانت صناعةُ الحرير من الصناعات الممتازة في الأندلس ، حتى قيل إن عددَ النساجين بلغ في قرطبة وحدها في بعض عهودها نحو مائةٍ وثلاثين ألفاً . واشتهرت مدينة المرية بإنتاج أحسن أنواعه .

ووصلت الفِخارة[1] في الإتقان حَدّاً عجيباً ، فظهرت أوانٍ فخاريةٌ تلمعُ ببريق معدني ، وقد حاكَتْها إيطاليا في ذلك .

وانتشرت صناعةُ الأواني النُّحاسية ، والحديدية ، والزجاجيةُ المذهبة ، ولا يزال لدينا بعضُ نماذج العاج المحفورِ كُتِبَ عليها أسماءُ عظماء قرطبة .

وكانت الحُلِيّ ومقابِضُ السيوف دقيقةَ الصنع ، بارعةَ الفن ، كما كانت صناعة المعادن دقيقة جميلة ، والثريات البديعة التي صنعت لمسجد غرناطة والتي لاتزال ماثلة بمجريط[2] خيرَ مثال لبراعة العرب في نقش معدن البرنز وإتقان زخارفه .

ووصلت الأندلس إلى منزلة في صناعة المخرمات[3] لم تصل إليها إلاّ القاهرةُ ودمشق . ولا نزال نقرأ إلى الآن في كثير من أمكنة غرناطة عبارة « لا غالب إلا الله » ، وهي شعارُ[4] أمرائها ، نقرؤها منقوشةً بمهارة فنية فوق الأبواب النحاسية وغيرها ، وبعض هذه لا يزال باقياً حتى اليوم في كنائس أسبانيا .

وطالما سمع الناس عن سيوفِ طُلَيْطِلَة ومهارةِ أهلها في صناعة الصُّلب . وهذه الصناعة ـ وإن كانت في أسبانيا قبل الفتح الإسلامي ـ زادت بعده تقدماً .

---

(١) صناعة الفخار . (٢) هي مدريد كما يسميها الإفرنج الآن . (٣) ما يسمى الآن الدنتلا .
(٤) رمز .

Marfat.com

وقُصارى[1] القول إن قرطبةَ كانت بحقّ مفخرةً للدنيا في العلوم والفنون وأسباب المدنية جميعاً ، وإن الأندلس كانت فِرْدَوْساً لم تشهدْ قبلَه الأرضُ مثيلاً

المناقشة :

(١) وردت في القطعة أسماء لبعض المدن الأندلسية . اذكرها .

(٢) كيف كانت قرطبة مركزاً مهماً للثقافة ؟

(٣) ماذا عرفت عن « خلف » الطبيب ؟

(٤) بم اشتهر ابن البيطار ؟

(٥) كان الأدب العربي في الأندلس موضع الحفاوة؟ وضح ذلك .

(٦) اذكر أهم الصناعات التي اشتهرت بها الأندلس .

(٧) كان لأمراء الأندلس شعار خاص . اذكره .

(٨) بم اشتهرت مدينة طليطلة ؟

---

(١) غايته و نهايته .

Marfat.com

صَفحَة مُشرقة من تاريخ العَرب العِلمي

تاريخُ العربِ في العلومِ مشرقُ الصَّفَحاتِ وَضَّاءُ المعالمِ دَفَعَ كثيراً من مُؤَرِّخي الأجانب إلى الإعجابِ به ، والإشادةِ[1] بمكانتِه ، لم يَمنَعْهم من تقديرِه عنصرٌ أو تبايُنُ[2] مَذْهَب أو تقادُمُ جيل ، فانْبَرَوا لإعلانهِ بالقولِ حيناً وبالكتابةِ حيناً آخر . وحَسْبُك[3] أن تقرأ مثلَ كتابِ « حضارةِ العرب » فترى ما يَبْهَرُك[4] ويملأُ نفسَك إعجاباً وإكباراً لأولئك السبّاقين الذين نَشَرُوا في الخافِقَيْن ضياءَ العِلْم فأحالُوا ظلامَ الجهلِ نوراً ساطعاً ، وطاردوه حتى استسلمَ مَدْحوراً[5] . ومما قال هذا الكتابُ في آبائِنا السابقين :

« إن العربَ فتحوا فارسَ والشامَ فصادفوا بهما خزائنَ العلومِ اليونانيةِ فبادَرُوا الى ترجمةِ ما كان منها بالسريانيةِ إلى العربيةِ ثم نَقَلُوا بعد ذلك إلى لُغَتِهم ما بَقِيَ من غيرِ ترجمة . وظَلَّت العلومُ والمعارفُ تسير قُدُماً[6] . ولم يكتَفُوا بذلك بل تَعَلَّمَ فريقٌ منهم اللغةَ اليونانيةَ لِيَنْهَلُوا من المنابِعِ[7] العلميةِ الأصيلة إذذاك ، كما تَعَلَّمُوا اللاتينيةَ والقشتاليةَ حين دخلوا بلادَ الأسبان ، ونشرُوا بها علومَهم .

يَدُلُّكَ على هذا ما تحويه المكتبةُ الأسبانيةُ الكبرى[8] من مُعْجَماتٍ كثيرةٍ يَضُمُّ الواحدُ منها اللغةَ العربيةَ مقرونةً باليونانيةِ أو اللاتينية أو الأسبانية . نعم كانت المعارفُ القديمةُ اليونانيةُ واللاتينيةُ أساسَ الثقافةِ العربيةِ الناشئةِ في طَوْرِها[9] الأول ، ولكنَّ العَرَبَ المَفْطُورينَ[10] على قُوَّةِ الإبداعِ[11] والنشاطِ العقليِّ

---

(١) المدح . (٢) اختلاف . (٣) يكفيك . (٤) يدهشك . (٥) مهزوماً .
(٦) إلى الأمام بغير انحراف . (٧) ليشربوا . (٨) مكتبة الأسكوريال . (٩) دورها .
(١٠) المطبوعين . (١١) الإتقان والابتكار .

Marfat.com

لم يَكْتَفُوا بمُجَرَّدِ الأَخْذِ ، وإنَّما اجْتَهدُوا فتَحَرَّروا وابْتَكَرُوا(١) ، وتَمَّ لهم في هذا المِضْمارِ(٢) شأوٌ(٣) بعيدٌ ، وإنَّ المُنصِفَ لَيَمْلِكُه الإعجابُ والعَجَبُ من الهِمَّةِ التي أَقْدَمَ بها العربُ على البَحث ، فإنها هِمَّةٌ لم يُسْبَقُوا إليهـــا .

ولقد كان دَيْدَنُهم(٤) إذا مَلَكُوا بلداً أن يَبْدَأوا بإنشاءِ مسجدٍ وإقامةِ مدرسة ، فإن كان البلدُ كبيراً أسَّسُوا فيه عِدَّةَ مدارس ، ومنها المدارسُ العشرون التي رَوَى أحدُ المؤرِّخين أنه شاهَدَها في الإسكندرية . هذا غيرُ ما يُنْشِئونه في المدنِ الكبيرةِ كالقاهرةِ وبغدادَ وقرطبةَ من جامعاتٍ تَحْوِي معامِلَ ومُختَبَراتٍ ومراصدَ ومكتباتٍ حافلة(٥) ، بَلَغَتْ في البلاد الأسبانيّةِ سبعين مكتبةً عامة ، منها مكتبةُ الخليفةِ الحاكمِ الثاني وبها سِتُّمائةِ ألفِ كتابٍ فَهارِسُها أربعةٌ وأربعون مُجَلَّداً في حين أن مَلِكاً فرنسيّاً عظيماً مثلَ شارل الحكيم لم يَسْتَطِـــعْ – وقد جاء بعد أربعةِ قرون – أن يجمعَ في مكتبةِ فرنسا المَلَكيةِ أكثرَ من تسعمائةِ مُجَلَّدٍ ثُلُثُها في علمِ اللاَّهُوت .

على أن المكتباتِ والمعاملَ والآلاتِ ليست إلا وسائـــلَ للدرسِ والبحث ، فقيمَتُها إنما هي في الإفادةِ منها ، إذ قد يَطَّلِـــعُ المرءُ على علومِ الآخرين ، ويَبْقَى بعد اطِّلاعِه عاجزاً عن التفكيرِ المُبْتَكِرِ والبحثِ المُبْتَدِع ويَظَلُّ تلميذاً لا يَرْقَى إلى درجةِ الأستاذ . ولم يكن العربُ من هذا النوع ، فقد استعانوا أوَّلَ الأمرِ بِعِلمِ من سَبَقُوهم ، ثم اعْتَمَدُوا على أنْفُسِهم ، وواصلوا الدرسَ ولَجأوا إلى الفَحْص(٦) ، وأدركوا أن الاقتصارَ(٧) على الكتبِ لا يُحَقِّقُ الغَرَضَ الأَسْمى ، وأن التجربةَ خيرُ الطُّرُقِ للوصولِ إلى الغاية ، فَبادَرُوا إليها ولم يَسْلُكُوا مَسْلَكَ علماءِ أوروبا في القرونِ الوُسطَى ، حين قَضَوْا ألفَ سنةٍ قبل أن يَكْشِفوا هذه الخُطَّةَ السديدة .

---

(١) جددوا . (٢) الميدان . (٣) سبـــق . (٤) عادتهـــم . (٥) عامرة بالكتب .
(٦) البحث والاختبار . (٧) الاكتفاء .

Marfat.com

وليس صحيحاً ما يُعْزَى[1] إلى «بيكون[2]» من أنه أولُ من عَرَف قيمةَ التجربة، ولجأ إليها وأنزلها مَنْزِلَةَ الأستاذ، فالعربُ وحدَهم سَبَقوه كما تَشْهَدُ بذلك آراءُ كثيرٍ من عُلَمَاءِ الغرب الذين قال كبيرٌ منهم: إن العربَ ارتَقَوْا بعلومِهم من طَوْرِ النَّظرِ المَحْضِ[3] إلى طورِ التجربةِ العلميةِ التي هي أرفعُ الدرجاتِ العلمية، والتي كان يَجْهَلُها القدماء ...

وقال آخر: إن أهمَّ ما اتَّصَفَتْ به مدرسةُ بغدادَ عند نشأتِها هو الروحُ العلميُّ الصحيح الذي يَسودُ أعمالَها، وإن استخراجَ المجهولِ من المعلوم، والتدقيقَ في مشاهدةِ التجاربِ تدقيقاً مُؤَدِّياً إلى اسْتِنْباطِ العِلَلِ من المعلومات، وعدمَ التسليم إلا بما تُؤَيِّدُه التجربة — كلُّ أولئك مبادئُ قال بها علماءُ العربِ وأَخَذُوا بها أنفسَهم حتى القرنِ التاسعِ بعد الميلاد، وجعلوها مَنْهَجَهُم المُلْتَزَمَ[4]، وعنهم أخذَهُ علماءُ القرونِ الحديثة بعد زمنٍ طويل، فلم يَكُن عجيباً أن يُنْجِزَ العربُ في ثلاثةِ قرُون أو أربعةٍ ما يزيدُ على ما أَنْجَزَهُ سابِقَوهم في عصورٍ أكثرَ وأَطْوَلَ، وأن تعتمدَ أوروبا في عصورِ نهضتِها ويَقَظَتِها على التراثِ العربيِّ النَّفيسِ، ولم يَسْتَغْنِ التعليمُ في جامعاتِها عما نَقَلَتْهُ إلى لغاتِها من مُؤَلَّفاتِ العرب إلا في الزمنِ الحاضر، فليس في طاقةِ مُنْصِفٍ أن يُنْكِرَ هذه الحقيقةَ أو يَنسَى فضلَ العربِ على العلمِ قديماً وحديثاً، وهل نُنْكِرُ أو ننسى فَضْلَ كُتُبِهم المهمةِ في الفيزياء[5]، وإن ضاع أكثرُها ولم يَبْقَ من الضائعِ إلا أسماؤُه؟ ومنها كتابُ الحَسَنِ بن الهَيْثَم في الرؤيةِ المستقيمةِ والمُنْعكسةِ والمنعطِفة، وفي المرايا المُحْرِقَة. نعم ضاعَتْ، ولكنَّا نَسْتَدِلُّ عليها بما بَقِيَ من القليلِ الذي وَصَل إلينا، ولا سيَّما كتابُ الحسنِ بنِ الهَيْثَم في البَصَرِيَّات، إذ يرى القارئُ فصولاً مُمْتِعَةً في المَرَايا والصورةِ الظاهِرة فيها، وانحرافِ الأشياء ومساحتِها ... كما يرى فيه حلاً هندسياً لبعضِ مُعَادلاتِ الدرجةِ الرابعة.

---

(١) ينسب. (٢) عالم إنجليزي عاش من ١٢١٤ – ١٢٩٢م. (٣) الخالص. (٤) المتبع بدقة.
(٥) علم الطبيعة.

Marfat.com

وقدْ نقل هذا الكتابُ إلى اللاتينيةِ والإيطاليةِ . واستْعانَ به فَطاحِلُ[1] العلماءِ في البصريات ، وقال عنه أحدُهم : « إنه مَصْدَرُ مَعارِفِنا في البصريات » .

وماذا نقولُ عن معارفِ العربِ في الميكانيكا العَمَلِيَّة وآثارُهم تَدُل على مهارَتِهم ؟ فهذه الآلاتُ التي تَركوها ، ووَصْفُهُم لها ، أَوْضَحُ دليلٍ على براعَتِهم فيها . وهم الذين طَبَّقُوا الرَّقّاصَ على الساعةِ فيما يُقال ، وهم فيما نُرَجِّحُ[2] أصحابُ الساعةِ الدَّقّاقةِ التي أَرْسَلَها الخليفةُ العباسيُّ الرشيدُ إلى ملكِ فرنسا شارلمان ، وهي ساعةٌ مائيةٌ تَدُقُّ كلَّ ساعةٍ بِسُقُوطِ كُرَاتٍ نُحاسِيَّةٍ على على قُرْصٍ مَعْدِنِيّ ، والذي لا رَيْبَ فيه أن العربَ عرفوا الساعاتِ ذاتَ الأَثْقال التي تَخْتَلِف كثيراً عن الساعاتِ المائية ، ودليلُنا ما وُصِفَتْ به ساعةُ الجامِعِ الأُمَوِيِّ الشهيرةُ في كُتُبِ كثيرٍ من المُؤَرِّخين .

وإن المعارفَ التي انتقلت من اليونانِ إلى العربِ في الكيمياءِ ضعيفةٌ ، فلم يَكن لليونانِ علمٌ بما كَشَفَ عنه العربُ من المُرَكَّباتِ المُهِمَّةِ كالغُوْلِ[3] وزيتِ الزَّاجِ[4] وماءِ الفضةِ[5] وماءِ الذهبِ وما إلى ذلك . كما أن العربَ ابْتَكَرُوا أَهَمَّ أُسُسِ الكيمياءِ كالتقطيرِ ، ولولا تجاربُهم وكَشْفُهُم ما استطاعَ لافوازيه[6] أن يَصِلَ إلى ما وَصَلَ إليه .

وأَقْدَمُ علماءِ العربِ في الكيمياء وأكبَرُهم شُهْرَةً « جابرُ بنُ حَيّان » وقد عاش في أواخرِ القرنِ الثامنِ الميلاديّ ، وأَلَّفَ كتباً كثيرةً فيها ، ونُقِلَ عددٌ كبيرٌ منها إلى اللغةِ اللاتينية ، كما نُقِلَ بعضُها إلى الفَرَنسية[7] فَدَلَّ هذا على بقاءِ نُفُوذِهِ العِلْمِيِّ مُدَّةً طويلةً في أوروبا . وتَتَأَلَّفُ من كُتُبِ جابرٍ مراجعُ علميةٌ واسعةٌ تَحْوِي خُلاصَةَ ما وصَلَ إليه علمُ الكيمياء عند العربِ في عَصْرِه وتشتملُ على وَصْفِ كثيرٍ من المرَكَّباتِ الكيميائية التي لم تُذْكَرْ قبلَه كماء الفضة

---

(١) عظماء . (٢) فيما نراه غالباً . (٣) الكحول (٤) نوع من حمض الكبريت . (٥) حامض النتري .
(٦) عالم فرنسي عاش من ١٧٤٣–١٧٩٤م . (٧) نقل كتابه المسمى « الاستتمام » إلى الفرنسية عام ١٦٧٢م .

Marfat.com

وماءِ الذهب ولهما من كبيرِ الأَثرِ في الكيمياءِ ما هو معروف ، ومِلْحِ النوشادر وحجرِ[1] جَهَنَّمَ والسليمَانيِّ والرَّاسِبِ الأحمر . وجابرٌ أولُ من وَصَفَ في كتبه تجاربَ أساسيَّةً كالتقطيرِ والتَّصْعيدِ والتَّذْويبِ والتحويل .

ونَدَعُ هذا إلى ناحيةٍ أخـرى هي الناحيةُ التطبيقيةُ الصناعيةُ فقد عُنِيَ بها العربُ ، وبها كان لِصناعاتِهم تَفَوُّقٌ عظيمٌ وكانوا يَستَغِلُّون مناجمَ الكِبْريتِ والنُّحاسِ والزِّئْبَقِ والحديدِ والذهب . ومهارتُهم في الدِّباغةِ وسَقْيِ الفولاذِ مشهورةٌ تَشْهَدُ بها الآثارُ الباقيةُ في طُلَيْطلة[2] وغيرها . وكانت أنسِجَتُهم وأسلحتُهم وجلودُهم وَوَرَقُهم ذاتَ شُهرةٍ عالميةٍ لم يسبقْهُم أحدٌ فيها من مُعاصريهم أو سابِقِيهم .

وبين مُخْتَرعاتِ العربِ ما لا يجوزُ الاكتفاءُ بِذِكْرِ اسمِه كالبارودِ فقد عَرَفُوا تركيبَ النَّارِ اليونانيةِ المُؤلفَةِ من الكِبريت وبعضِ المواد المُلتهِبَةِ فأَحْسَنُوا استخدامَها وتَفَنَّنُوا في مقاتلةِ الأعداءِ بها حتى لقد أَلقَوْا الرُّعْبَ في الصليبيين بهذه النار .

ولقد نُسِبَ اختراعُ البارودِ إلى باحثٍ أوروبيٍّ زمناً طويلاً ، ولكنَّ البحث الدقيق كَشَفَ عن أن العربَ هم الذين اخترعوا بارود المدافِع السهلَ الانفجار الدافعَ للقذائف .

وشيءٌ آخرُ يُسَجِّلُه التاريخُ للعرب بالإكبار والتقدير ، فقد كان الأوروبيون يكتبون على الرَّقوقِ[3] في القرونِ الوسطى وكان غلاءُ ثمنها مانعاً من نَشْرِ المخطوطات وكَثْرَتِها ، ولجأ الرُّهبانُ إلى مَحْوِ ما عليها من أقوالِ كبارِ المؤلِّفين من الرومانِ واليونان ، ليَسْتَبْدِلوا بها مواعظَهم الدينيةَ ، فاخترع العربُ الكاغَدَ[4] ، وهو الورقُ المصنوعُ من القطن ، وأَحَلُّوه مَحَلَّ الرَّق. وبهذه المناسبةِ نقول : انَّ الصينيين كانوا من أَقْدَمِ الأزمنةِ ، أهلَ صناعةِ الورق ، يَتَّخذونَه من شَرانِقِ

---

(١) نثرات الفضة . (٢) مدينة أندلسية كبيرة . (٣) الجلود الرقيقة . (٤) نوع من الورق

Marfat.com

الحرير ، وعنهم نُقِلَتْ هذه الصناعةُ إلى سَمَرْقَنْد في أوائل التاريخِ الهجريّ . فلما فتحها العربُ وَجَدُوا فيها مَصْنَعاً للورقِ الحريريّ ، ولكنّ اختراعاً مُهِمّاً كهذا لم تَنْتَفِعْ به أوروبا لأنها لم تكن تعرفُ هذا النوعَ من الحرير فأقام العربُ القطنَ مَقَامَه ، واتّخذوا منه وَرَقاً بَلَغُوا فيه شَأْواً لم يُسْبَقُوا إليه كما دَلّ عليه البحثُ في مَخْطوطَاتِهِم القديمة .

ومن الثّابتِ أيضاً أن العربَ اخترعوا من الأَسْمَالِ [1] ورقاً في زمنٍ أَقْدَمَ من الزمنِ الذي استَخْدَمَتْه فيه أوروبا ، بنَحوِ قرنٍ كامل . ولما كَثُرت المكتباتُ العامّةُ والخاصّةُ في الأَنْدلُسِ احتاجَ العربُ إلى مقاديرَ من الورق فَصَنَعوه من القُنَّبِ والكَتّانِ بإتقانٍ عظيم .

وإذا كان الصينيون هم الذين اخترعوا بَيْتَ الإبرة [2] فإن العربَ هم الذين تَوَسَّعُوا في استخدامِه في الملاحة إذ كانوا من أَعْظَمِ الملاّحين . وبالرغم من أن الأَدِلّةَ على هذا ما زالت مُفْتَقِرَةً [3] إلى تأييدٍ فالذي لا شَكَّ فيه أن الأوروبيين نَقَلُوا هذا الاختراعِ المُهِمَّ عن العربِ ولم يستخدموه إلاّ في القرن الثالثَ عَشَر للميلاد ، مع أن الإدريسيَّ الجغرافيَّ العربيّ ، تَكلّم عنه في أواسط القرنَ الثاني عشر وقال إنه شائعٌ بين قَوْمِهِ العَرَب .

تلك صفحاتٌ قليلةٌ من تاريخِ العربِ المَجيد ، وإنه لَتاريخٌ يرفَعُ رءوس أبنائِهم فَخَاراً ويدفَعُهُم إلى ضَمِّ صحائفَ جديدةٍ إليه ليَبْقَى المجدُ مُتّصِلاً والفَضْلُ خالِداً .

المناقشة :

(١) ماذا كان موقف العرب من خزائن العلوم اليونانية التي وجدوها في فارس والشام ؟
(٢) ما دليلك على أن العرب نشروا علومهم في بلاد الأسبان ؟
(٣) ما رأي الكاتب في المكتبات والمعامل والآلات ؟ وما موقف العرب من هذه الأشياء ؟
(٤) للعرب مخترعات علمية عديدة . اذكر أهمها .
(٥) عرف العرب الساعات ذات الأثقال . ما دليلك على ذلك ؟
(٦) أشار الكاتب إلى واجبنا نحو تاريخ العرب العلمي المجيد فماذا قال ؟

---

(١) جمع سمل : الخرق البالية . (٢) البوصلة . (٣) محتـــاجة .

Marfat.com

كِسْوَة الكعبَة المشرّفة

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

عندما قَيّضَ الله للجزيرة العربية رجلَها المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فجمع شملها ، ووحّد أجزاءها المترامية الأطراف ، أمر بأن تَنْعَمَ قِبْلَةُ المسلمين بأوّل كُسوةٍ تُصنَعُ في أم القرى ، مهبط الوحي ، وموطن النور ، وتحاكُ بأيدٍ وطنية سعودية ، بعد أن ظلت الكسوة قروناً طويلة تُهدى من مصر إلى الكعبة المشرّفة .

تمّ هذا الحدَثُ التاريخي والعملُ الإسلامي الجليل في غرة محرم عام ست وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، حينما أمر جلالته بإنشاءِ دار خاصةٍ في مكةَ المكرمةِ تُعِدّ للكعبة المشرفة في كل عام كسوةً بهية أنيقة يشهدُ بروعتها ودقة صنعتها كلّ من استطاع إلى حجّ بيت الله الحرام سبيلا .

وهكذا ارتدت الكعبة المشرفة أول كسوةٍ من الحرير الخالص صنعت في أم القرى على مَرّ التاريخ .

ثمّ قَيّض الله للجزيرة العربية ابن مُوَحّدها ، خادم الحرمين الشريفين ، ورائدَ الدعوة إلى التضامن الإسلاميّ ، الفيصل العظيم – رحمه الله – ليُتِمّ ما اختَطّه أبوه بحزم وعدل ، وليرعى هذا العمل الإسلامي الجليل بفائق رعايته ، ويوليه بالغ عنايته تكريماً لهذا البيت الذي جعله الله مَثابة[1] للناس وأمناً .

---

(١) مقصداً .

Marfat.com

ففي التاسع من ذي الحجة من كل عام ، وفيما يتجه الحجيجُ بقلوبهم إلى الله مخلصين له الدينَ حُنَفاء معتصمين بحبله المتين ، تجمعهم أقدسُ رسالة وأسمى شريعة ، في هذا اليوم الأكبر الذي يقف فيه ضيوفُ الرحمن في عرفات ، يستوهبون من ربهم الرحمة والغفران ، ويبتغون منه الفضل والرضوان ، ترتدي الكعبةُ المشرفة ثوبَهاالبهي ، وتتسربل[1] بسربالها الدّمَقْسي[2] ، ناطقة بالعظمة والوقار والجلال والإكبار ، يزينُها حِزامٌ تحليه الآياتُ الكريمة والنقوشُ المطرّزة بالقصب المموَّه[3] بالذهب حتى إذا ما أشرق العيد وعاد الحجاج إلى بيت الله الحرام بدت لهم في حلتها القشيبة[4] وكأنها تشارك عباد الله الصالحين فرحتهم بالعيد السعيد ، بعد أن شهدوا منافع لهم ، وذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم .

وتجمع معظم الروايات التاريخية على أن أول من كسا الكعبة كساء كاملاً من الحرير المقصّب هو « تبع الحميري » وذلك قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقرنين . وتقول بعض الروايات إن أم العباس بن عبد المطلب هي أول من كسا الكعبةمن النساء بالحرير والديباج وفاء لنذر نذَرَته .

وقد دأبت[5] قريش على كساء الكعبة عاماً بعد عام حتى عهد أبي ربيعةالمخزومي ، الذي كان ذا سعةٍ ومال فخاطب قريشاً قائلاً : « أكسوها من مالي عاماً وتقومون بكسوتها عاماً » . وظل الأمر على هذه الحال حتى أشرقت شمس الإسلام ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بكسوتها بالثياب اليمانية ، ثم كساها من بعده أبو بكر وعمر وعثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان .

واستمرت كسوات الكعبة تتوالى تباعاً بعضها فوق بعض حتى عام ستين ومائة من الهجرة ، وهو العام الذي حجَّ فيه الخليفة العباسيّ المهديّ ، فشكا إليه سدنتها[6] أن كسوات الكعبة المتراكمة قد أثقلت كاهلها[7] ، وأن البناء ضعيف يخشى عليه من

---

(١) تكتسي . (٢) الحريري . (٣) المطلي . (٤) الجديدة .
(٥) استمرت . (٦) القائمون عليها . (٧) ظهرها .

Marfat.com

التقويض والانهيار ، فأمر الخليفة بألاّ يسدل عليها أكثر من كسوة واحدة حفاظاً عليها ، . واستمرّ الأمر كذلك حتى يومنا هذا .

وذكر المؤرخون أن الخليفة المأمون هو أول من كسا الكعبة بالديباج الأبيض . وفي عهد الفاطميين كسيت الكعبة بالديباج الأبيض ثم الأصفر ، ثم الأخضر ، ثم الأسود ، وظلّ ملوك المسلمين وأمراؤهم يتتابعون على كسوة الكعبة حتى وقف عليها الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر في عام خمسين وسبعمائة من الهجرة ثلاث قرى من قرى القليوبية في مصر .

وفي عهد العثمانيين أضيفت سبع قرى أخرى من مصر إلى وقف الملك الصالح وبقيت هذه القرى موقوفة على الكعبة إلى أوائل القرن الثالث عشر للهجرة حيث تعهدت الحكومة المصرية بصنع الكسوة من مالها الخاص .

ولما أمر جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بإنشاء دار خاصة لصنع الكسوة في أم القرى في غرة المحرم عام ست وأربعين وثلاثمائة وألف ، تمّ استيراد الأنوال اللازمة لذلك واجتلاب عدد من الخبراء والفنيين في أعمال النسيج والتطريز ليتولوا أمر تدريب أبناء هذا البلد المقدس على صناعة النسيج وإعداد الحزام ، فشرعوا في عمل متواصل حتى تسنى[1] لهم في نهاية ذى القعدة من العام نفسه إنجاز الكسوة الشريفة على أحسن ما يبتغى . ولم تمضِ سنوات ثلاث على إقامة المصنع حتى أثبت المواطنون السعوديون قدرتهم على إتقان صناعة كسوة الكعبة المشرفة على الوجه الأكمل .

والجدير بالذكر أن دار صناعة الكسوة السعودية قد أضافت إلى الكتابة التي كانت تُكتبُ على الكسوة الواردة من مصر كلمات « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » كما أن الحزام كان يشتمل على سبع قطع مكتوب عليها آيات الحج وقطعة الإهداء وأربعة أركان على شكل مربعات صغار وستارة الباب .. قد أدخل عليه أيضاً تحسينات حيث جرى إعادة تصميم الحزام في شكل جديد أخّاذ[2] ، كما أضيفت من جهة حجر إسماعيل تكملة لآيات الحج لم تكن مكتوبة من قبل ، وجعل الحزام من ست عشرة قطعة بدلاً من سبع قطع . وقد كتبت الآيات القرآنية عليها بالقصب الفضي المموّه

---

(١) تيسر . (٢) جذاب.

Marfat.com

بالذهب فبدت بشكل أكثر وضوحاً وانسجاماً مما كانت عليه من قبل .

وتحتاج الكسوة الشريفة في صنعها إلى خمسة وسبعين وثمانمائة متر من القماش ، ويبلغ سمك القماش نحو مليمترين أو أكثر ، يضاف إليه قماش البطانة من القلع الأبيض المتين . أما حزام الكعبة فيتكون من ست عشرة قطعة يبلغ طولها واحداً وستين متراً ، وعرضها أربعة وتسعين سنتيمتراً . ويثبّت الحزام عادة على ارتفاع تسعة أمتار من الأرض . أما الآيات التي تكتب على محيط الحزام من جهة حجر اسماعيل فهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولي الألباب . ليس عليكم جناح[1] أن تبتغوا فضلاً من ربكم ، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ، وإن كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم ».

وهناك آيات كريمة أخرى مكتوبة من الجهات الغربية والجنوبية أو الشرقية لباب الكعبة المشرفة .

هذا بالإضافة إلى قطعة كبيرة تكتب عليها كلمة الإهداء وهي :

« صنعت هذه الكسوة في مكة المكرمة وأهداها إلى الكعبة المشرفة خادم الحرمين الشريفين فيصل بن عبد العزيز آل سعود تقبّل الله منه »

المناقشة :

١ – أين صنعت أول كسوة للكعبة المشرفة بأيد سعودية ؟ ومتى ؟
٢ – في أي يوم ترتدي الكعبة المشرفة ثوبها البهي من كل عام ؟
٣ – صف حزام الكسوة المشرفة ؟
٤ – كيف كانت قريش تكسو الكعبة ؟
٥ – بم كسا النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة ؟
٦ – لمَ أمرَ الخليفة المهدي بألاّ يُسدَل على الكعبة المشرفة أكثر من كساء واحد ؟
٧ – متى أنشئت دار خاصة لصنع الكسوة الشريفة بالمملكة العربية السعودية ؟ وفي عهد مَن ؟

---

(١) ذنب .

Marfat.com

القَـــهْوة

عنوان الضيافة العربية

أنا المحبوبــةُ السَّمْرا وأُجْلى[1] في الفَنَاجينِ
وعُودُ الهندِ لي عِطرٌ وذِكرِي شاعَ في الصِّينِ

تَحتلُّ القهوةُ مكاناً بارزاً في المجالسِ العربية التقليديةِ ، فَحَوْلَ النارِ المتوهجةِ التي تُنضِجُها يَتَحَلَّقُ[2] الأصحابُ ، ومع ارتشافها[3] تتآلفُ النفوسُ وتستيقظُ المشاعرُ وتَرِقُّ الأَحاسيسُ ، وعلى شَذَاها[4] المتصاعدِ تَطيبُ الأحاديثُ وتَحلو الأشعار ، فتنطلِقُ الألسنةُ بأمتعِ الحكاياتِ وأعذبِ الألحان . ولئن طَغَتْ[5] الحضارةُ الحديثةُ على بعض مُقَوِّماتِ[6] تلك المجالسِ العــربيةِ الأصيلةِ بما أَقْحَمَتْه[7] عليها من أدوات ، إلا أن القهوةَ لا تزال تتمتعُ بمركزٍ مرموقٍ[8] بكرَمْزٍ لحسنِ الضيافةِ في المجتمعاتِ العربية .

وتاريخُ القهوةِ يَكتَنِفُهُ[9] بعضُ الغموض ، وأوَّلُ ذِكْرٍ لها يرجعُ إلى أوائلِ القرنِ السادسَ عشر . وتكاد المصادرُ التاريخية تُجمِــعُ على أن الفضلَ في اكتشافها، يعودُ إلى العرب ، حتى أن كلمةَ « قهوة » العربيةَ مستعملةٌ الآنَ في جميعِ اللغاتِ مع تعديلٍ طفيفٍ في لفظِها .

وقصةُ اكتشافِ القهوةِ لا تخلو من طرافةٍ[10] لَعِبَتْ فيها الصُّدفةُ دوراً

---

(١) وأظهر . (٢) يجتمعون في حلقات . (٣) شربهــا . (٤) رائحتهــا الطيبــة . (٥) غلبت .
(٦) صفات . (٧) أدخلته . (٨) ممتاز محترم . (٩) يحيط بــه . (١٠) غرابة .

Marfat.com

عجيباً ، فبينما كان أحدُ الرعاةِ العربِ من اليمن يُسَرِّحُ قطيعَ ماعزٍ في سفوح مرتفعاتِ «كافيا» في بلادِ الحبشة ، لاحَظَ أن أمْعُزَهُ تطفرُ وتمرحُ وتثبُ بصورةٍ لم يَعْهدها فيها من قبل ، مما أثارَ تَعَجُّبَه وفضولَه[1] . ولما اقتربَ منها رأى أنها تَقْتَاتُ[2] ثمارَ شجرةٍ لم يسبقْ له أن عَرَفها ، فالتَقَطَ قليلاً منها وعَلَكَها[3] بين أسنانِه فوجَدَها مُرَّةَ المَذاق ، فَعَمَدَ إلى غَلْيِها بالماء ثم جَرَعَ الشرابَ الناتجَ عنها ، فكان ذلك أولَ فنجانِ قهوةٍ في التاريخ . ومع أن ذلك الشرابَ لم يكن مُستساغاً[4] ، فقد أَضْفَى[5] عليه صفاءُ الذهن ، وحِدَّةَ التفكير ، ويَقَظَةَ الحواس ، فما كان منه إلاّ أن أخذَ بعضَ حبوبِ تلك الشجرةِ لَدَى عودتِه إلى اليمن ، ونَثَرَها في أرضه الخِصبةِ فَنَجَحَتْ نجاحاً كبيراً ، ومن ثَمَّ انتشرتْ زراعتُها في جبال اليمن وأَقْبَلَ الناسُ على شُربِ القهوةِ بعد أن حالَفَ الحَظُّ التجاربَ التي أجراها أحدُ المتحمسين لهذا الشراب ، إذ هداه تفكيرُه إلى تحميصِها وسَحْنِها[6] ثم غَلْيِها في الماء ، وبذلك تَمَّ له صُنعُ شرابٍ سائغٍ لم يَلْبَثْ أن تَفَشَّى بين الناسِ وسَرَى بينهم سِرَيانَ النارِ في الهشيم[7] .

وأَقْبَلَ الناسُ بعد ذلك على شرب القهوةِ إقبالاً كبيراً ولا سيّما في الشامِ ومصر وأَخَذَت المقاهي تنتشرُ في دِمَشْقَ وحلبَ والقاهرة . ثم انتقلت بعد ذلك إلى «استانبول» .

أما الغَرْبُ فإنه لم يعرف القهوةَ إلا في أواخرِ القرْنِ السابعَ عشر على يَدِ رَجُلٍ يُدعى «فرانزا جورج» . ففي عام ١٦٨٣ حاصَرَ الجيشُ العثمانيُّ مدينةَ «فيينا» وقطع عنها المُؤَنَ والإمداداتِ ، حتى انتشرتْ فيها مجاعةٌ مريرةٌ ، وتَفَشَّى بين أهلِها مرضُ «الدوسنطاريا» مما أَوْهَنَ[8] مقاومتَها وكادت تُعلِنُ تسليمَها . وفي هذه اللحظاتِ الحرجةِ تَطَوَّعَ «فرانزا» — وهو من أصلٍ بولنديٍّ عاش أعواماً

---

(١) رغبة في الاطلاع و المعرفة . (٢) تأكل (٣) مضغهـــا .
(٤) مقبولا . (٥) أعطاه . (٦) طحنها . (٧) القش . (٨) أضعف .

Marfat.com

عديدةً بين الأتراكِ وعَمِلَ تَرْجُماناً لهم – بِحَمْلِ رسالةٍ خاصةٍ إلى « دوق اللورين » زعيمِ جيشِ الحلفاء بُغْيَةَ الإسراعِ في إنقاذِ المدينة . وانْسَلَّ « فرانزا » بين خطوطِ الجيشِ العثمانيِّ مُتَخَفِّياً في زيٍّ تركيٍّ والمطرُ ينهمرُ ، فأحسَّ به ضابطٌ عثمانيٌّ فدعاه إلى خيمتِه واستَجْوَبَه ، ولما لم يكتشفْ لديه ما يَريبُهُ[1] أَخْلَى سبيلَه بعد أن قَدَّمَ إليه فنجانَ قهوة . وقام « فرانزا » بإيصال الرسالةِ إلى الدُّوق ، وعاد من حيث أَتَى يحملُ إلى المدينةِ المنكوبةِ ما يبعثُ على الأمل . واعترافاً بالجميلِ نَفَحَهُ[2] سكانُ المدينةِ مبلغاً من المال ومَنَحُوه حقَّ المواطنةِ وامتيازاً خاصاً بممارسةِ الأعمال التِّجاريةِ في المدينة . وجاء جيشُ الحلفاءِ وتَمَكَّنَ من فَكِّ الحصارِ عن المدينةِ وهزم الجيشَ العثماني . وكان من الغنائمِ التي غَنِمَها جيشُ الحلفاء خمسمائةِ كيسٍ مملوءةٍ بحبوبٍ غريبةٍ تنبعثُ منها رائحةٌ زكيةٌ لم يَسْبِقْ لأَحَدٍ أن رآها . وثار الجَدَلُ حول ماهِيَّتِها[3] وماذا يفعلون بها ، حتى أنهم قرّروا أخيراً طَرْحَها في نهرِ الدانوب . وهنا ظهر « فرانزا » فجأةً وهالَهُ[4] ما أَقْدَمَ على فِعلِه مواطنوه ، فطلب منهم أن يأخُذَ تلك الأكياسَ ، فقدَّموها له عن طِيبِ خاطر . وسرعان ما افتتح « فرانزا » أوَّلَ مَقْهىً في أوروبا ، وقد أَبْدَى روادُ مقهاه شيئاً من التَّأَفُّفِ[5] لدى شُرْبِها على الطريقةِ التركيةِ الثقيلةِ فقام بتجاربَ مختلفةٍ نجح معها في تحضيرِ قهوةٍ مستساغةٍ ذاتِ نَكْهَةٍ طيِّبَةٍ بعد تخفيفِ حِدَّتِها بقَطَراتٍ من اللبن يُضيفها إليها ويقدِمها في فناجينَ كبيرة . ولم يَقْتَصِرْ الأمرُ على ذلك ، بل طَلَبَ إلى خَبَّازٍ أن يصنعَ له أقراصاً صغيرةً مُحَلاَّةً يُقدمُها مع فناجينِ القهوة ، وهي العادةُ التي ما زالت جارِيةً في بعضِ الأوساطِ الغربيةِ والشرقية ، ولا سيَّما في الصباح . وبذلك استعاد « فرانزا » روادَ مقهاه فازدحم بالوافدين الذين استطابوا شُرْبَ القهوةِ على ذلك النحو ، ومن ثَمَّ أَخَذَت المقاهي تنتشرُ في البلدانِ الأوروبية : أما القارةُ الأمريكيةُ فقد عَرَفَت

---

(١) يثير شكوكه . (٢) أعطاه (٣) طبيعتها . (٤) أثار دهشته . (٥) عدم الاستحسان.

Marfat.com

القهوةَ في أواخرِ القرنِ السابِـــع عشر وراحت تنتشرُ فيها المقاهي بشكلٍ واسعٍ في الثُلُثِ الأولِ من القرنِ الثامنَ عشر ولا سيّما في المدن الكبيرةِ مثلِ نيويورك وبوسطن وفيلادلفيا. ويُعْتَقَدُ أن المهاجرين الهولنديين حملوا معهم القهوةَ إلى نيويورك وأطلقوا عليها « أمستر دام الجديدة » .

ومن القصصِ الطريفةِ التي تُروَى حول نقلِ شجرةِ البُنِّ إلى العالَم الجديد تلك المغامرةُ التي قام بها ضابطٌ فرنسيٌّ شابٌّ في البحرية ، وكان قد عُيِّن قائداً للمُشاةِ في جزُرِ « المارتينيك » . فقد بلغ أسماعَه النجاحُ الباهرُ الذي أحـــرزه الهولنديون في نَقلِهِم شجرةَ البُنِّ من جنوبِ الجزيرة العربية إلى جزرِ الهند الشرقية ، فصمَّمَ على أن يحذُوَ حَذْوَهم[1] في نقـــلِ تلك الشجرةِ إلى جزر « المارتينيك » وشجَّعَه على ذلك تشابهُ الخصائص[2] المُناخيةِ بين المنطقتين . وحَدَثَ أن قام عام ١٧٢٠ بزيارة إلى باريس في عهدِ لويسٍ الخامس عشر ملكِ فرنسا ، وكان قد عَلِمَ من مصدرٍ خاص أن لدى الملك بضعَ شُجيراتِ بُنٍّ نادرةٍ أمَرَ بِغَرسِها في بيتٍ خاصٍّ في حديقةِ قصرِه ، فتَقَدَّمَ من طبيبِ الملكِ الخاص ، تَدفعُه حماسةٌ وطنيةٌ مُضطرمةٌ[3] ورغبةٌ جامحة[4] ، وطَلَبَ منه أن يَتَوَسَّطَ لدى الملكِ لِمَنْحِه إحدى تلك الشجيرات الثمينة . وأُجيبَ الضابطُ إلى طلبه وحملها معه في مغامرةٍ طويلة دامَتْ نحو شهرين عَبْرَ المحيطِ الأطلسيِّ متحدِّياً حَملاتِ القراصنةِ[5] والعواصفَ البحريةَ الهوجاء[6] وتَناقُصَ كَمِّيَّة الماءِ في السفينة لدرجةٍ حَدَتْ بقائدها إلى تَقْنِين[7] الماءِ الأمرُ الذي جعله يُشرِكُ الشجيرةَ الأثيرةَ[8] لنفسه بالنَّزرِ[9] اليسير من الماء الذي كان يَحْصُل عليه في أثناء الرحلةِ الشاقة . وما أن وَطئت قدماه أرضَ « المارتينيك » حتى غَرَسَ الشجيرةَ

---

(١) يفعل مثل ما فعلوا .
(٢) الصفات .
(٣) مشتعلة .
(٤) قويـــة جـــارفة.
(٥) لصوص البحار .
(٦) الشديدة .
(٧) توزيعه بمقدار معلوم .
(٨) المفضلة .
(٩) القليـــل .

Marfat.com

وتَعَهَّدِها بعنايةٍ فائقةٍ فَنَمَتْ وتَرَعْرَعَتْ وأزهرت وحَمَلت الحبوبَ الزُّمُرُّدِيَّةَ التي يُقال إنها كانت أصلَ جميعِ أشجارِ البُنّ في العالم الجديد ، وبَلَغَتْ أشجارُ البنّ في « المارتينيك » مع إطلالة عام ١٧٧٧ م نحو تسعةَ عشرَ مليون شجرة .

وفي المملكة العربية السعودية خاصةً والجزيرةِ العربية عامة تَحْتَلُّ القهوةُ مكانةً رفيعةً باعتبارها عُنوانَ الكَرَمِ والضيافةِ العربية ، فأَنَّى حَلَلْتَ تجدْ مُضيفاً طَلْقَ[1] المُحَيّا يُسارعُ إلى تقديمِ القهوةِ إليك في عباراتِ الترحيب .

وفي البادية يَحْرِصُ البَدويُّ على اقتناءِ القهوةِ ودِلالِها الصفراءِ اللامعةِ وأدواتها الملازمةِ لها كالمِحماسِ والمِنْفَاخِ والهاوِن ، أَضِفْ إلى ذلك جَمْرَ شَجَرَ الأَرطَى أو الغضا أو السمر الذي يَتَأَجَّجُ في الوِجار .

أحد ابناء البادية يعد القهوة العربية قبيل وصول ضيوفه وقد ظهرت أمامه أدوات إعداد القهوة .

---

(١) باسم الوجه .

Marfat.com

والعربيُّ في بوادي المملكة يقطعُ في سبيل إكرامِ ضيوفه الفيافيَ والقفار. ويتحملُ المشاقَّ والعَنَتَ ليبتاعَ البُنَّ في المدينة، ويحافظُ عليه حِفاظَهُ على أعزِّ الأشياءِ لديه، كلُّ ذلك ليَقْرِيَ ضَيفَه إذا ما حلَّ به في مجاهلِ الصحراء.

أما الحَضَرِيُّ في المملكة فقد كان قبلَ أن تَطْغَى الحضارةُ الحديثة بوسائلها المستحدثة على مَراسِمِ القهوةِ وأدواتها التقليديةِ يُخَصِّصُ في منزله حجرةً خاصةً يُطلق عليها «القهوة» وهي المجلسُ الذي يستقبلُ فيه ضيوفَه، ويبالغُ في أن تَبْدُوَ «قهوتُه» في أَبْهَى حُلَّةٍ وأجملِ منظر، فالبُسُطُ الفاخرةُ والزرابيُّ المزركشةُ تُغَطِّي أرضَها، والأرائكُ ذاتُ المرايا الصغيرةِ تنتشرُ في جَنَبَاتِها، والكَمَرةُ قد صُفَّتْ على رُفوفِها الدِّلالُ الصُّفرُ اللامعةُ وأباريقُ الشَّايِ من كل حجمٍ وشكلٍ و«البيتات» غُصَّت بالبُنِّ والشايِ والهيلِ والزَّعفرانِ والعُودِ والنَّدّ.

ولتقديم القهوةِ العربية ولشُربِها عاداتٌ وتقاليدُ محترمةٌ لا يجوزُ لأحد أن يتجاوزَها فهي أولُ ما يُقَدَّمُ للضيفِ ترحيباً وتكريماً إذ يَتَقَدَّمُ السَّاقي حاملاً دَلَّته الصفراءَ الزاهيةَ بيدِهِ اليُسرى قابضاً بيدِهِ اليمنَى على عَدَدٍ من فناجينِ القهوةِ العربيةِ المُمَيَّزة، فيصُبُّ للضيفِ أو للضيوف رَشفَةً صغيرةً، يَحُولُ كِبرُ الفنجانِ فيها دون تَأَثُّرِ أصابعِ الضَّيفِ بسُخُونةِ الشَّراب، فإذا ارْتَشَفَها الضَّيْفُ صَبَّ له الساقي رَشْفَةً أخرى، ويَظَلُّ يُتابِعُ الصَّبَّ له حتى يَهُزَّ الضيفُ فنجانَه هَزَّةً صغيرةً يَتَوَقَّفُ بعدَها الساقي عن الصَّبِّ، وإلاَّ فَيَظَلُّ يَصُبُّ».

Marfat.com

والقهوةُ العربيةُ في البوادي تزدادُ عُذوبةً على نَغَماتِ الشِّعرِ وَوَسْوَسَةِ الخَمْر .

وزراعةُ شجرةِ البن مع ما حَقَّقَه شربُ القهوةِ من نجاحٍ وما لَقِيَهُ من استحسان أخَذَتْ تَتَطَوَّرُ بسرعةٍ هائلةٍ فانتقَلَتْ زراعتُه من اليمن إلى بلدانٍ أخرى كثيرةٍ أهمُّها البرازيلُ وجمايكا وكوبا وفنزويلا والمكسيك وغيرها . والقهوةُ في هذه البلدان تُشَكِّلُ جزءاً كبيراً من دَخْلِها الوطنيِّ ، وليس ذلك فحَسْب بل إن القهوةَ أوجَدَتْ العملَ للملايين من البشرِ لا سيّما أن مؤسساتٍ صناعيةً كبيرةً تعتمدُ اليوم على هذه السلعةِ التجاريةِ الرائجةِ في تأمينِ أرباحٍ هائلةٍ عَبْرَ تزويدِ الأسواقِ الاستهلاكيةِ بأصنافٍ عديدةٍ من القهوة تُعِدُّها أَيْدٍ خبيرة .

المناقشة :

(١) كيف طغت الحضارة الحديثة على بعض مقومات مجالس القهوة العربية ؟
(٢) لخص قصة اكتشاف القهوة . وبين رأيك فيها .
(٣) كيف افتتح أول مقهى في أوروبا ؟
(٤) ذكر الكاتب عدة أدوات لصنع القهوة في البادية . اذكرها وبيّن فائدة كل منها .
(٥) لتقديم القهوة العربية وشربها عادات وتقاليد محترمة . وضحها .
(٦) ينصح الأطباء بعض المرضى بالإقلاع عن شرب القهوة . لماذا ؟

Marfat.com

المَرأة العربيّة في الجَاهليّة وَالإسْلام

كانت المرأةُ في العصرِ الجاهليِّ ، تتَبَوَّأ[1] مَكانةً عاليةً في الأسرةِ وفي القبيلةِ وفي المجتمع ، ثمَّ جاء الإسلامُ فزَادَها رِفْعَة .

كانت المرأةُ العربيةُ في الجاهلية تَزْهُو[2] بأبنائِها السادةِ الماجدين، وحَقَّ لها أن تُزْهَى بهم ، لأنهم بعضُها ، وثمَراتها الجنيّةُ الشهية ، التي حَمَلَتها وتعهدتها حتى أنضجَتها ، فهي الوعاءُ الذي ضمّهُم أجنّةً[3] ، وهي التي حَضَنَتْهُم وأرضعتهم ورَبّتهم أطفالاً ، فإذا كانت كريمةَ العنصرِ وأنجَبَت[4] نُسِبَ إليها قِسْطٌ من نجابةِ بنيها ، وإن كانتْ غير كريمة[5] وولَدَتْ ولداً وضيعاً ذُمّتْ به وذُمَّ بها .

فَلا عَجَبَ إن افتَخَرتْ الأمّ المنجِبَةُ[6] بأبنائها، وإن افتخَرُوا بها ، لأنهم يَدينون لها بكثيرٍ من عَظَمَةِ نفوسهم ، وسلامةِ أبدانِهم ، وشهرَتِهم ومجدِهم ، لذلك سَمّاها العربُ مُنجِبة . وقَد رفَع العربُ من أقدارِ المنجبات ، فَنَوَّهوا[7] بهنَّ ، وعَدّوهُنَّ مُثُلاً عاليةً يرمُقونهَا[8] ويَقيسون[9] عليها ، وضرَبوا ببعضهنَّ المثَل فقالوا : أنجَبُ من « ماويّة » ، وأنجبُ من « فاطمةَ بنتِ الخُرْشُب » . وأنجبُ من « أمّ البنين » وأنجبُ من « عاتكة » .

أما « ماوية » فقد أنجَبَتْ أربعةً كُلّهم سادَة . وأما فاطمةُ بنت الخُرْشُب فقد وَلَدَت أربعةً كلٌ منهم سادَ في الجاهليةِ وقادَ جيشاً . وقد سُئِلَتْ : أيّ بَنِيكِ أفضل ؟ فقالت : الربيعُ ؛ بل عِمَارةُ ؛ بل قيسٌ ؛ بل أنَسٌ ، ثمَّ قالت :

---

(١) تحتل . (٢) تفخر . (٣) جمع جنين . (٤) ولدت . (٥) وضيعة .
(٦) كثيرة الأبناء . (٧) مدحوهن . (٨) ينظرون إليها نظرة إجلال . (٩) و يقتدون بها.

Marfat.com

ثَكِلْتُهُم [1] إن كُنتُ أعلَمُ أيهم أفضل ، هم كالحلْقَةِ المفْرَغةِ [2] لا يُدرَى أينَ طَرَفَاها .

وأما « أمُّ البنين » ، فهي ابنةُ عمرو بن عامرٍ الفارسِ البطل، وَلَدَت مالكاً مُلاعبَ [3] الأسنةِ ، وطُفَيْلاً الفارس ، وربيعةَ الكريمَ الذي كان يسمّى ربيعَ المُقْتِرين [4] ، وسلمياً البطلَ المخاطر ، ومعاويةَ الحكيم الحليم ، وهي التي افتَخَرَ بها حفيدُها الشاعر لبيدُ بنُ ربيعة أمام ملكِ الحيرة النعمانِ بنِ المنْذِرِ في قولـه :

نحن بنو أُمِّ البنينَ الأربعة ومن خيارِ عامرِ بنِ صَعْصَعَة

وأما عاتكةُ فهي بنتُ هلالِ بنِ مرَّة ، ولدت ثلاثةً من سادَةِ قريش .

وكان الأبناءُ يحفظون لأمهاتهم صنيعَهُنَّ ، ويُدركون حقوقَهُنَّ عليْهِم فيُؤدّونها ، ويَبَرُّونَهُنَّ [5] على خير ما يَبر الولدُ والديه .

فالابنُ يحمي أُمّه من المهانةِ أيّاً كان مَصدرها . وأيّاً ما كانت نتائجُ هذه الحماية . فقد حاول عمرُو بنُ هندٍ أن يَسْتَذِلَّ أمَّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهِل، فثارت وثارَ ابنُها عمرو ، وقال في ذلك قصيدته المشهورة ، وَخَطَبَ بها في سوقِ عُكَاظ .

وكثيراً ما افتخرَ الأبناءُ بأُمّهاتهم كقولِ الشنفَرَى :

أنا ابنُ خِيَار الحِجرِ بيتاً ومَنْصِبا وأُمّي ابنةُ الأحرارِ لو تَعْرِفينها

وكَقَوْلِ السَمَوْءَلِ بنِ عادياء :

صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأخْلَصَ [6] سِرّنَا
إنَاثٌ أطَابَتْ [7] حَمْلَنَا وَفُحُولُ

---

(١) فقدتهم . (٢) المعتمة ، الملتحمة تماماً . (٣) لقب مالك – والأسنة : الرماح . (٤) البخلاء .
(٥) يكرمونهن . (٦) نَقّاه . (٧) المراد : جعله طيباً طاهراً نقياً ليس فيه فحش .

Marfat.com

ولقد كان الأبناءُ يستجيبون لمشورةِ أمهاتهم : من ذلك أن بشرَ بنَ أبي حازم ، وكان عبداً ، هَجا أوسَ بنَ حارثةَ الطائي ، وذكرَ أُمه سُعْدَى ، فأغار أوسٌ على بِشر ، فَهَرَب منه ، ثمَّ قَدر بِشرٌ عليه ، فأشار بعضُ الناس بقتلِه ، قال له أوس : هَجَوتَني ظالماً ، فلا مفرَّ من قَطْعِ لسانك ، أو حَبْسِك حتى تموت ، أو قَطْعِ يَدِكَ ورِجْلِك ، ثمَّ دَخَل على أُمّه سُعْدَى فقالت له : يا بُنيّ ، ماتَ أبوك ، فَرَجَوْتُك لِقوْمِك ، فأصبَحْتُ أرجوك لنفسك ، زَعَمْتَ أنك ستُنَكّلُ (١) بِرَجُلٍ هَجَاك ، فمن يمحو ما قاله غيرُه ؟ قال : فماذا أصنع ؟ قالت : تَكْسُوهُ حُلّتَك ، وَتحمِلُه على راحلتِك (٢) ، وتعطيه مائةَ ناقة ، فإنه لا يغْسِل هجاءَه إلاّ مَدْحُه ، فَفَعَل ما أمَرَتْه به أُمه ، فمدحه بشرٌ بقصيدةٍ محا بها هجاءَه السابق ، وأقْسَمَ ألاّ يمدَحَ غيره ما عاش .

ثم جاء الإسلام ورَسَمَتْ أسماء بنتُ أبي بكر للمرأةِ المسلمةِ مثَلاً أعلى للأمّ في شجاعتِها وإبائِها. وَضَربَ ابنُها عبدُ الله ابنُ الزبير مثلاً أعلى للابنِ البارِّ الذي يَهْتَدِي بمشورَةِ أُمّه في الموقِفِ الضَّنْكَ (٣) .

ذلك أنَّ عبدَ الله لَمّا حاصَرَهُ الحجّاجُ الثّقَفيّ ثمانيةَ أشْهُرٍ رأى أصحابَه قد يَئسوا، وتخَلّوا عنه ، وأرسل إليه الحجاجُ يَعْرِضُ الصّلْحَ عليه ، فَقَصَدَ عبدُ الله إلى أُمّه وقال لها : يا أماه ، لقد خَذَلَني الناسُ كما تَرَين ، وَعَرَضَ عليَّ خُصُومي صُلْحاً يَحْقِنُ (٤) الدّماء فماذا تَرَيْن :؟ قالت إن كنتَ تَعْلَمُ أنك على حقّ ، وأنك إليه تدعو فامْضِ له ، فقد قُتِلَ عليه أصحابُك ، وإن كنتَ إنما أرَدْتَ الدنيا فَبِئْسَ العبدُ أنتَ ، أهْلَكْتَ نفسكَ وأهلكتَ من قُتِلَ معك . وإن قلتَ : كنتُ على حقٍّ فلما وَهَنَ أصحابي ضَعُفْت ، فهذا ليس فِعْلَ الأحرار ، ولا أهلَ الدين ، وكم خُلُودكَ في الدنيا ؟ القتلُ أحْسَن . واللهِ لَضَرْبَةٌ بالسيف في عِزٍّ ، أحَبّ إليَّ من ضَرْبَةِ السّوْطِ في ذُلّ . قال عبدُ الله : إني أخافُ إنْ

---

(١) ستنتقم . (٢) دابتك . (٣) الصعب . (٤) يحفظ .

Marfat.com

قتلوني أن يمثّلُوا بي ، قالت : يا بني ! إن الشاةَ لا يَضُرّها سَلْخُها بعد ذَبحها .

فدنا منها عبدُ الله وقبّلَ رأسَها ، وقال : هذا والله رأيي ، ولكِنّني أحْبَبْتُ أن أعْلَمَ رأيكِ فَزِدْتِنِيَ بصيرةً مع بصيرتي .

أما البنتُ في الجاهلية فإن الفكرةَ الشائعةَ عنها أن البناتِ كُنَّ بغيضاتٍ إلى الآباءِ جميعاً ، وفي هذا الحُكْمِ بعض الحَيْفِ[1] لأن كثيراً من الآباءِ كانوا يحِبّونَ بناتِهِم ويُعزّونهُنَّ ويحدبون[2] عليهنَّ .

من ذلك أن معنَ بنَ أوس كان له ثلاثُ بنات ، يُؤْثِرُهُنَّ ويَعْتَزّ بهنَّ ، ولا يحِبَّ أن يكون له بَدَلَهُنَّ بنون لأن في الإناثِ من هنَّ أصلَحُ من الذكور ، ولأنهنَّ وَفِيّاتٌ لآبائهِنَّ ، يمَرّضْنَهُمْ إذا مَرِضُوا ، وَيُعدْنَهُمْ[3] إذا سَقِموا.

ويتجلى حُبّ البنتِ في قولِ عامرِ بنِ الظّرِب لِصَعْصعَةَ بن معاويةَ لما خَطَبَ إليه ابنتَه : يا صعصعة . إنك أتيتَني تشترِي[4] مني كبدي ، وأرْحَمَ وَلَدي عندي ، والحسيبُ كُفْءُ[5] الحسيب ، والزّوْجُ الصالحُ أبٌ بعدَ أب .

وفي قَولِ عُتْبَةَ لابنِ أخيه عثمانَ بنِ عتبةَ لما خَطَبَ إليه ابنتَه : مَرْحباً بابنٍ لم أَلِدْه ، أقرَبِ قريبٍ خُطِبَ إلى أحَبّ حبيب ، فَأكْرِمْها يَعْذُبْ على لساني ذِكْرُك ، ولا تُهِنْها فَيَصْغُرَ عندي قَدْرُك .

وكان بعضُ الآباءِ يَخْشَون على بناتِهِم من الحزنِ عليهم إذا ماتوا ، وينصحونهُنَّ ألاّ يَخْمِشْنَ الوجوه ، وَيحْلِقْنَ الشّعر ، لذلك كان الشعراءُ أحياناً يمدحون البنتَ تكريماً لأبيها . وكان بعضُ الآباءِ يستشيرون بناتِهم ، ويَعْتَدّونَ[6] بآرائهِنَّ ، فمثلاً كان لَقيطُ بنُ زرارةَ يستشيرُ ابنتَه دَخْتَنوس ، ويستَصْحِبها معه في حروبه ويرجعُ إلى رأيها .

---

(١) الظلم . (٢) يعطفون . (٣) يزرنهم في أثناء المرض . (٤) يقصد تطلب
(٥) مساو له وجدير به . (٦) يعتزون .

Marfat.com

وإذا ما أجارَتْ [1] البنتُ رجلاً نَفَذَ أبوها إجارتَها ، ولو أنها كانت تشعُرُ بِضَعَتِها [2] ما أجارَت ، ولو أن أباها لا يَعْتَدّ بها ما أمضى إجارَتَها . ومن ذلك أن جماعةَ بنتَ عوفٍ الشيبانيّ أجارَتْ مروانَ بنَ زنباع من مطارِدِيهِ . فحماهُ أبوها منهم .

وكثيراً ما كان الرّجُلُ يُكنَى [3] باسم ابنته كما يُكنَى باسم ابنهِ . من ذلك أن ربيعةَ والدَ زهير كُنِيَ بأبي سُلْمَى . وكُنّيَ والدُ حنظلةَ الطائي بأبي عَفْراء . والنابغةُ الذبيانيّ بأبي أمامة .

ثمّ جاء الإسلامُ فزاد البناتِ إعزازاً . فقد أوصَى النبيّ صلى الله عليه وسلّم بهنّ خيراً كقوله : « من ابتُلِيَ من هذه البناتِ بشيء فأحسَنَ إليهنّ . كُنّ له سِتراً من النار » .

وكان صلى الله عليه وسلم المثلَ الأعلى في العطفِ على البنات . كان يُصلي وهو يحملُ على عاتقهِ حفيدتَه أُمامةَ بنتَ العاص ، وكان يُقَبّلُ بنتَه السيدةَ فاطمةَ إذا قَدِمَ من سَفَره . ويكنّيها بأمّه . وقد اقتَدى به كثيرٌ من المسلمين في عطْفِهِم على بناتِهِم .

المناقشة :

١ ــ لمَ كان العرب في الجاهلية يفخرون بالمرأة المنجبة ؟

٢ ــ ماذا قصدت فاطمة بنت الخرشب بقولها إن أولادها كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طَرَفاها ؟ ومتى قالت ذلك ؟

٣ ــ كان الأبناء في الجاهلية يبرون أمهاتهم ويحمونهم من المهانة . استشهِد على ذلك من القطعة .

٤ ــ لم يكن وأد البنات في الجاهلية قاعدة عامة . وضّح ذلك .

٥ ــ كان النبي صلى الله عليه وسلم المثَل الأعلى في العطف على البنات . استشهِد على ذلك من القطعة .

---

(١) حمت . (٢) بصغر شأنها ومهانتها . (٣) يلقب .

Marfat.com

ورق البردي

ورقُ البَرْديّ هو الورقُ الذي ابتكره قدماءُ المصريين ليدوّنوا عليه وثائقَهم وما وصلوا إليه من رقيٍّ حضاريّ رفيع . وفضلُ هذا الورق على الحضارة الإنسانية عظيم . فقد حفظ لنا ثروةً هائلةً من المعارف والعلوم التي توصل إليها المصريون القدماء وغيرُهم . فمن مخطوطات البردى عرفنا أن المصريين القدماء هم أولُ من وضع التقويم الشمسيّ الذي لا يزال متّبعاً في أرجاء المعمورة. وأنهم أولُ من ألّف برديّاتٍ في الجراحة والطبّ الظاهري وبعضِ قواعد علم الحساب ومبادئ الجبر وهندسة المسطحات والمجسمات مما لم تعرفه أوروبا إلاّ بعد ذلك بثلاثة آلاف عام .

كذلك عرفنا من أوراق البرديّ أن المصريين القدماء هم أولُ من اكتشف القلم . والحبرَ الأسود ، والورقَ الذي لا يزال يعرف في اللغات الأوروبية الحديثة باسمه المصري القديم[1] « بابيروس — Papyrus » مع تحريف قليل .

ولم يقتصر استعمال ورق البردي على مصرَ القديمةِ وحدَها . بل انتشر منها إلى سوريا والإمبراطورية الأيونية والإمبراطورية الرومانية الغربية والشرقية . فكانت لفائفُ البرديّ المرْكَبَ الضخم الذي نقل إلينا أرقى ما توصلت إليه تلك الحضارات الزاهيةُ من عِلْمٍ وفلسفةٍ وأدبٍ وفن . وكان البرديّ يحتلّ المركز الثاني بعد نسيج الكتان بين صادرات مصر في تلك العصور الغابره .

ولعلّ البرديّ قد ساعد على انتشار الكتابة وتطورها إذ كانت مهنةُ الكتابة من المهن المرموقةِ في مصر القديمة ، وكان الملوكُ والأمراءُ والنبلاءُ والتجّارُ يستخدمون الكُتّاب

---

(١) Paper .

Marfat.com

لحفظ سِجِلاّتهم وحساباتهم وقراراتهم ووثائقهم . وكثيراً ما كان الآباء يوصون أبناءَهم بأن يتعلموا الكتابةَ لأنها مهنةٌ تضمن لهم المكانةَ الرفيعةَ والحياةَ الرغدةَ والمركزَ المرموقَ في المجتمع .

وينمو البرديّ بغزارة في البقاع الضحلة المياه التي يبلغ ارتفاعُ الماء فيها نحو ثلاثة أقدام . ويمتدّ الجذرُ الرئيسي لِنَبْتَةِ البردي أفقياً ، ويبلغ سُمكه سُمْكَ رُسْغِ الرجل ، وطولُه نحو خمس عشرة قدماً . ومن الجذر الرئيسي تنبثقُ جذورٌ صغيرةٌ تَضْرِب عمودياً في الأرض الموحِلة وتَظهرُ منها السيقانُ إلى ارتفاعِ ست أقدام أو أكثر ، وهي سيقانٌ مثلثةٌ مستدقةُ الأطراف ، فمن رءوس السيقان ذات الزهرة المفردة كانت تُصنَعُ أكاليلُ الأزهار ، ومن جذورها كانت تصنعُ الأواني ويُتّخَذُ الوقود . ومن السيقان كانت تصنعُ القواربُ والأشرعةُ والحصرُ والقماشُ والحبال ،

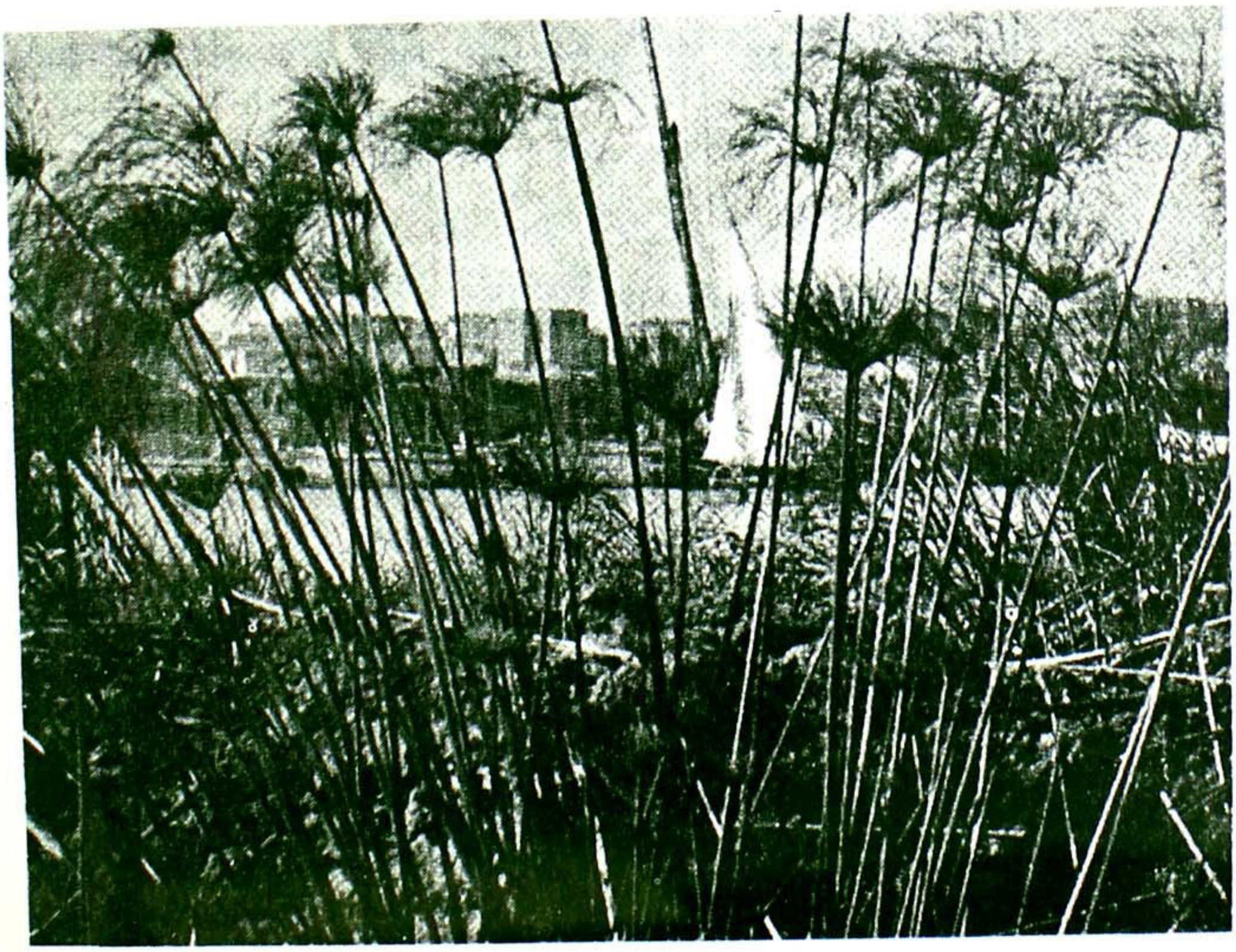

إحدى مزارع أشجار البردي الحديثة الواقعة على ضفاف نهر النيل في مصر .

Marfat.com

فضلاً عن صناعة الورق منها . هذا وكان السواد الأعظم من الناس يتخذ من الإسفنج الإسفنجي في وسط الساقَ طعامـاً يأكله مطبوخـاً أو على حالته الطبيعيـة . ويُذكَرُ أنَّ الكهنةَ كانوا يتخذون منـه مادةً لصنع صنادِلهـم ، كما أن نُسالةَ السيقان كانت تستعمل في سَدّ الشقوق بـين ألواح المراكب . وكان نبات البرديّ إلى جانب ذلك يستخدم في بنـاء الزوارق الشراعية الصغيرة الخفيفة السريعة التي تصلحُ للملاحة في البِرَك والمياه الضحلة وفي مياه نهر النيل العميقة عـلى حدّ سواء .

وقد حَظِي البرديّ لدى المصريين القدماء بمكانة رفيعة فزخرفوا معابدهم بنماذج بديعة من أوراقه ومن أزهارهِ التي تسمى أزهار اللوتس ، واتخذَت أعمدةُ المعابد وتيجانها شكل ساق البرديّ التي تنتهي بزهرة ذاتِ أهدابٍ ناعمة .

وبقي البرديّ محتفظاً بمكانتِه حتى القرنِ الثامن الميلادي ، حين امتدّت الفتوحاتُ الإسلاميةُ إلى سمرقند شرقاً ، واستطاع العرب الوقوفَ على سرِّ صناعة الورق في الصين التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي . وعند ذلك أخذت صناعةُ ورق البردي في التدهور وبخاصة بعد ظهور أساليبَ متطورةٍ لصناعة الورق من الخِرَقِ ونسيج القطن ولُبِّ الخشَب الذي يُحَوَّل إلى عجينة تُعالَج بموادَّ كيميائيةٍ تجعل منه المادةَ المُثْلَى لصناعةِ الورق في عصرنا الحاضر . ومع انتشار الورق الجديد استطاع ورقُ البردي البقاءَ في الميدان حتى القرنِ الثاني عشر الميلادي . وقد كان لاستصلاحِ الأراضي على ضفّتي النيل لتوسيع الرقعةِ الزراعيةِ في الآونةِ الأخيرةِ الأثر المباشرُ في انقراض نباتِ البردي من البلاد ، وانطوت صفحةُ البردي الناصعة ، وانطوى معها سرّ صناعة ورق البردي القديمة .

وفي السنوات الأخيرة بدا أن استهلاك الورق أخذ يرتفع بصورة هائلةٍ مع انتشار دور الطباعة في العالم وكثرتِها ، تلك الدورُ التي تقذفُ إلى الأسواق سيلاً جارفاً مـن المطبوعات . وقد أدّى ذلك إلى تفكير مصر في الإفادةِ من خبرة الصين في مجال صناعة

Marfat.com

الورق . وكانت الصين هي المنتجةَ الأولى للورق في الخمسينات من القرن العشرين لكثرة قش الأرز لديها . ولما كانت مصرُ تزرع مساحاتٍ شاسعةً من الأرز فقد رُئيَ إمكانُ الشروع في إنشاءِ مصانعَ للورق تعتمد على قش الأرز ، وبُدِئَ في دراسة صناعة الورق وأساليبها المتقدمةِ في الصين ، وتطوَّرَ هذا التفكيرُ إلى البحث في صناعة ورق البردي من جديد وهو الورق الذي ارتبط بالتراثِ المصري القديم ، وجرت محاولاتٌ عديدةٌ لإماطةِ اللثامِ عن سرّ صناعه ورق البردي القديمة وجُلِبَت كميةٌ من جذور البردي من الحبشة والسودان ، وهما الموطن الأصلي للبرديّ ، فزُرعت في مصر ، وبعد التجارب العديدة أنشئت أربعُ مزارعَ كبيرةٍ على ضفّتي النيل على مقربة من القاهرة . ثم تلا ذلك إنشاءُ « معهد ورق البردي » العائم على مياه النيل في منطقةِ الجيزة وهو بمثابة مُتحَفٍ ناشئٍ لورق البردي .

على صفحة النيل الهادئة يجثم «معهد البردي» العائم .

وقد توصّلَت الدراساتُ الحديثةُ التي تجري في مصر حول صناعة ورق البردي تمهيداً لإحيائها من جديد إلى أن المادةَ الأساسيةَ في صنع ورق البردي هي ذلك اللب النسيجيّ الذي تحتويه الساقُ . وتتلخص صناعةُ ورق البردي في استخلاص ذلك اللب ثم تَكبسِه وصقلِه .

Marfat.com

وتتم الآن صناعةُ ورق البردي في ذلك المعهدِ العائم بأن تُقْطَعَ سيقانُ البردي في المزارع بمُدًى كبيرةٍ بعنايةٍ فائقةٍ حتى لا تصيبَها أيةُ كَدَمات من شأنها أن تضرّ بلُبِّ الساق الذي يُعتبر قِوامَ صناعةِ ورق البرديّ . ثم تُقَصّ الأجزاء السفلى الغليظة من السيقان على طول قدمين ويُسْلَخ لحاؤها حتى ينكشف اللبّ الناصعُ البياض الذي يُقَطّع إلى شرائحَ طويلة ذاتِ سُمْكٍ واحد تقريباً ويبلغ عرضُ الشريحة منها نحو أربعةِ سنتيمترات وهو عرضُ كتلة اللب . وتجَفّف هـذه الشرائحُ وتوضعُ في

تستعمل مدى حادة لسلخ لحاء قصب البردي بعناية فائقة .

مستودعاتٍ خاصةٍ لاستعمالها في المستقبل . وعند استعمالها في صناعة ورق البردي تُنقَعُ مراتٍ عديدةً في الماء في أحواضٍ مطليةٍ بالمينا ومصنوعةٍ من الخزَف الصيني ثم تُخفَقُ بمطرقةٍ خشبية أو توضعُ على منضدةٍ مغطاةٍ بقماش نظيف وتُمَرَّر عليها أسطوانة . وتتكرَّر عملية النقع والخفقِ حتى تتشبّعَ الشرائحُ تماماً بالماء . وبهذه الطريقة يمكن التخلصُ من العناصر العضوية الغريبة غير المرغوب فيها ، ومن ثمّ تبرز الألياف النسيجيةُ من الشرائح التي تغدو جاهزةً لعمل صحائفَ منها . ويُقَصّ بعضُ هذه الشرائح إلى طول أربعين سنتيمتراً وبعضها الآخرُ إلى طول ثلاثين سنتيمتراً وهي الأطوالُ

Marfat.com

التي كانت عليها صحائفُ البردي في العصور القديمة . وتؤخَذ بَعضُ الشرائح من فئة الأربعين سنتيمتراً وتُصَفّ أفقياً على نحو متداخلٍ فوق قطعة من اللبّاد السميك في حجم الورقةِ المطلوبة مغطاةٍ بمُلاءة من قماش القطن بدلاً من الكتّان الذي كان المصريون القدماء يستعملونه، ثمَّ تُصَفّ شرائح من فئةِ الثلاثين سنتيمتراً فوقهابشكل متعارض . وهنا يقوم عاملٌ بتمرير مدحاةٍ من المطاطِ فوقها لاستنزاف الماء من الصحيفة ، ثم تغطى بقطعة ثانية من اللباد وقماش القطن وتوضع تحت مكبس لولبيّ وتُضغط بشدة حتى يتم تجفيفُها فتتماسك الشرائح بعضُها ببعض ومن ثمَّ يمكن الحصول على ورقة بردي صالحةٍ للكتابة عليها بقلم الرصاص أو قلم الحبر الجاف أو السائل . ليس ذلك فحسب ، بل تصلح أوراق البردي التي تصنع في مصنع البردي للرسم بالألوان الزيتية والمائية على حدٍّ سواء زيادة على أنه يتوفرفيها جميعُ الخواص التي يتطلبها ورق الكتابة والطباعة في عصرنا الحاضر .

لوحة مصرية رسمت بالألوان على قطعة من ورق البردي المصنوع في « معهد ورق البردي » .

Marfat.com

وجدير بالذكر أن مكتبةَ الإسكندرية القديمة التي أحرقها «يوليوس قيصر» كانت تضمّ نحو ثمانمائة ألف مجلّدٍ من ورق البردي ، وتتطلع الجهودُ المبذولةُ في مصر الآن لإنتاج ورق البردي إلى أن يرجع إلى تلك المكتبة سابقُ مجدها حتى تعودَ منارةً للعلوم والفنون والآداب .

المناقشة :

١ ــ أظهرت أوراقَ البردي أن المصريين القدماء كانوا أول من اكتشف عدة أشياء اذكر تلك المكتشفات مستعيناً بما قرأت .

٢ ــ تستخدم سيقان البردي وجذوره في صنع عدة أشياء . وضح ما يصنع من السيقان وما يصنع من الجذور ؟

٣ ــ حظي البردي من المصريين القدماء بمكانة رفيعة . وضّح ذلك .

٤ ــ لمَ أخذت مصر الآن في العمل على إعادة صناعة ورق البردي ؟ وما الخطوات التي اتخذتها لتحقيق ذلك ؟

Marfat.com

الطبّ عِند العربُ

نبغ في الطب من العرب كثيرون ، رجالاً ونساء ، وكان لهم نظام خاص يتّبعونه ، ورئيسٌ يمتحنهم ويجيزُ[1] النابغين منهم . وبلغ عددُ الأطباء في زمن المقتدر بالله في بغداد ثمانمائةٍ ونيّفاً وستين طبيباً .

ولم يقتصر النبوغُ في الطبّ على الرجال ، فقد نبغ من النساء عددٌ غير قليل ، كأختِ الحفيد بن زُهرٍ الأندلسيّ وابنتِها ، وكانتا عالمتين بصناعة الطبّ والمداواة ، ولهما خبرةٌ جيدة بمداواة النساء .

وكان الفحص الطبي عند العرب متقدماً ، فقد كانوا يفحصون البول ، ويَجُسون النبض ، وانتقدوا كثيراً من آراء أطباء اليونان في هذا الشأن وأصلحوها وعلّقوا عليها. والثابتُ أنه كان لهم حظ وافر من صدق النظر في التشخيص والعلاج .

لقد كان أطباءُ العرب يفحصون العليلَ بدقة وعناية مستخدمين ما كان لديهم من الوسائط المعروفة ، فترى الطبيب يسأل المريض عما يشكومنه ، وعن عاداته وطريق معيشته ، وعن الأمراض التي أُصيب بها في حياته ، وعن أحوال أسرته الصحية ، ومناخ بلده ، وغير ذلك من الأسئلة المعينة على حسن التشخيص ، كما يفعلُ الأطباء في عصرنا الحاضر .

ولاحظ أطباء العرب مُلْتَحَمَةَ العين ولونَ الجلد وما قد يكون عليه من حرارة أو برودة ، ومن نعومة أو خشونة ، كما لاحظوا هيئة اضطجاعِ المريض في فراشه ،

---

(١) يصرح لهم بمزاولة المهنة .

Marfat.com

وحالةَ تنفسه وعمقه ، وتتبعوا سير المرض يوماً بعد يوم ، ودوّنوا ما لاحظوه من ذلك كله .

وثبت من مؤلفات الأطباء العرب أنهم فوق حذقهم في تشخيص الأمراض أتقنوا التفريق بينها ، وأسهموا في تقدم الطبّ الباطني ، وأضافوا إليه إضافاتٍ قيمة ، وقد وضعوا – لأول مرة – وصفاً دقيقاً لبعض الأمراض المعدية . ففرّق ابنُ سينا مثلاً بين الالتهاب الرئوي والالتهاب البلوري . وبين التهاب السجايا الحاد والثانوي ، وبين المغص المعوي والمغص الكلوي .

وكان الرازي أولَ مَن وصف في دقة ووضوح مَرَضَيْ الجُدَري والحَصبة ، وكان ابنُ زُهرٍ أوّلَ من وصف أنواعاً معينة من الخراج والالتهاب .

وكان العربُ أوّلَ من استخدم المُرْقِدَ[1] في الطب والعمليات الجراحية والكاويات في الجراحة ، وأوّلَ من وجّه النظر إلى شكل الأظافر عند المصابين بالسل ، ووصفوا علاجَ اليَرَقَان[2] والهواء الأصفر . واستعملوا الأفيونَ في معالجة الجنون ، ووصفوا صبَّ الماء البارد لمعالجة النزيف . وعالجوا خَلْع الكتف بما يعرَف في الجراحة بِرَدِّ المقاومة المفاجئ . وهم أول من كتب في مرض الجذام وأقواس الأسنان ، ونسبوا البواسير إلى قبض المعدة وأشاروا إلى المأكولات النباتية علاجاً لها .

وأثبت الوزير « لسان الدين بن الخطيب » أن مرض الطاعون ينتشر بالعدوى ، وذلك في عصر لم تكن العدوى فيه ولا الجراثيم معروفةً لدى أحد .

وكان ابن سينا أولَ من كشف مرض الانكلستوما في الفصل الخاص بالديدان المعوية في كتاب « القانون في الطب » . وهذا المرض يصيب الآن نحو نصف سكان المعمورة ، وقد بلغ ما كتب عنه من المقالات والكتب إلى عام اثنين وعشرين وسبعمائة وألف نحو خمسين ألف مرجع .

---

(١) المنوم . (٢) مرض يصيب الإنسان ، ويسبب اصفرار الجلد .

Marfat.com

وقد سَمَّى ابنُ سينا هذه الطفيليةَ االدودةَ المستديرة ، وأعاد « دوبيي »اكتشاف هذه الدودة في إيطاليا عام ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف ، أي بعد أن كشفها ابنُ سينا بتسعمائة سنة تقريباً .

وجاء في كتاب « القانون » لابن سينا ، ما يدلّ على أن العرب عرفوا السل الرئوي . وأشاروا إليه بوضوح . وقالوا بانتقال الأمراض بالماء والتراب .

وفي هذا الكتاب أول وصفٌ لداء الفيلاريا (مرض الفيل) وانتشاره في الجسم ، وأوّلُ وصفٍ للجمرة الخبيثة التي كان العرب يسمونها النار الفارسية .

كذلك قال الرازي بالعدوى الوراثية . وكان الطبري أولَ من كشف الحشرة التي تسبب داء الجرَب .

وكان من أطباء العرب من يرى الوهم والحالات النفسية من العلل التي تؤثر في البدن . ومن الأمور التي يجدر بالطبيب أن يحسب حسابها . ولذلك سار الكثير من أطباء العرب في معالجة مرضاهم على أساس رفع الوهم المسيطر عليهم . وتصغير شأن المرض . وعالجوا الأمراض العقلية بطرق إنسانية مبتكرة . ووضع بعضُ أطبائهم الرسائلَ والمؤلفاتِ فيها . فكتَب ابنُ عمران كتاباً عن « المالنخوليا » وكتَب ابنُ الهيثم عن « تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان » . وكثيراً ما عالج الأطباء العربُ الأمراض العصبية والعقلية بطرق فيها حذق ومهارة .

ولم يُهمل العرب طبَّ العيون لأن أمراضها كانت منتشرة في البلاد الحارّة كمصر والعراق . وبقيت تعاليمهم في هذا المرض سائدةً حتى القرن السابع عشر للميلاد .

وقد شرَح العرب عيون الحيوانات . وكسبوا من ذلك خبرة واسعة ومعارفَ قيمة . فعرفوا ما يسبب حركة المُقلة[1] . وما يسبب حركة الحَدَقة[2] ، ووصف

---

(١) شحمة العين : السواد والبياض منها . (٢) سواد العين الأعظم .

Marfat.com

عضلاتِ العين ووظائفَها ، وكتب ابنُ ماسويه عن أمراض العين كما وضع « حنين بن اسحق » كتاباً سمّاه « المقالات العشر في العين » وترجمه « مايرهوف » إلى الإنجليزية ، ووضع « علي بن سينا » رسالة في تشريح العين وأمراضها الظاهرة والباطنة . وقد تُرجمت تلك الرسالة إلى اللاتينية وكان أثرها في أوروبا عميقاً في أثناء القـــرون الوسطى .

وكتب « ابن الهيثم » في وصف العين ، وبحث في قضايا البصريات وفي طبيعة الإبصار ، وقال إن النورَ يدخل العين وليست العين هي التي تخرج النور وان شبكية العين هي مركز المرئيات ، وإن هذه المرئيات ينقلها عصب البصر إلى المخ ، وإن وَحْدةَ النظر بين العينين عائدةٌ إلى تماثل الصور على الشبكتين .

ويُعَدّ كتابُ صلاح بن يوسف الكحال أكبرَ مرجع عربي قديم في أمراض العين ، وقد جعله على فصول في وصف العين ، ووصف البصر ، وأمراض العين ، وأمراض الملتحمة ، وأمراض القرنية ، وأمراض الحدقة ، وأدوية العيون .

وكتب بعض أطباء العرب في تشريح الشرايين والأوردة في الرئة ، ووصف « ابن النفيس » الدورة الدموية الرئوية لأول مرة في التاريخ ، وكشف قبل « سرفيتوس » بثلاثة قرون أن الدم يُنَقَّى في الرئتين .

وقد أخذ العرب الجراحةَ عن اليونانيين والهنود ، وبلغوا فيها شأواً بعيداً ، وأولُ من اهتم بها « الرازي » وشرح علي بن عباس المجوسيّ عملية الحصاة .

وفي أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ازدهر العصر العباسي بأبي بكر محمد بن مروان بن زهر وقد جمع بين الطب والجراحة .

وكان الزهراويّ أشهرَ من برع في العمليات الجراحية واستعمال الآلات والأدوات ، ووضع كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » وجعله في ثلاثة أقسام : الأول في الطب ، والثاني في الأقرباذين والكيمياء والثالث في الجراحة .

Marfat.com

وفي هذا الكتاب إشارة إلى تفتيت الحصاة داخل المثانة.. وقد تُرجم إلى اللاتينية وبقي مدة طويلة مرجعاً لأطباء أوروبا .

ودفعت الجراحةُ العرب إلى استخدام المخدرات في العمليات كالحشيش والأفيون ، وربما كانوا مخترعي الاسفنجةِ المخدرة التي كثر استعمالُها في القرون الوسطى ، وأخذوا خيوطَ الجروح من أمعاء القطط والحيوانات الأخرى، وكانوا أول من استخدم الأوتارَ الجلدية في خياطة الجروح بعد العمليات الجراحية .

ويمكن القولُ إنه حينما كانت الجراحة في ذِروتها عند العرب كانت محتقرةً في أوروبا، وكان الجراحون في نظر الناس أنجاساً، ولم يكن يشتغلُ بالجراحة سوى الحلاقين والجزارين ، وكانت المدارسُ الطبية في أوروبا تتجنب تعليم الجراحة من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها لا تليقُ بالأطباء المحترمين ، وأنه لا يجوزُ لهم أن يغيروا ما خلقه الله ، ففي عام ألف ومائة وثلاثـــة وستين صدرَ قرار يوجب على المدارس الطبية ألا تُعلِّمَ الجراحة ، وذلك في زمن كان العربُ فيه يجعلون للطب مَقاماً رفيعاً ، ويعدُّون الجراحةَ فرعاً منفرداً من فروع الطب له تقديرُه واحترامـــه .

المناقشة :

(١) كيف كان أطباء العرب يفحصون المريض بدقة وعناية ؟

(٢) أتقن أطباء العرب التفريق بين الأمراض . وضح ذلك .

(٣) كيف كان الأطباء العرب يعالجون حالات الوهم والأمراض النفسية ؟

(٤) عمّن أخذ العرب الجراحة ؟ وكيف برعوا فيها ؟

(٥) عندما كانت الجراحة متقدمة عند العرب كانت محتقرة في أوروبا . متى كان ذلك ؟ وما الدليل عليه ؟

Marfat.com

يَومُ عَمّورِيَّة (*)

١ السيف أَصْدَقُ إنباءً (١) من الكُتُبِ ... في حَدِّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ
٢ بِيضُ الصَّفائِحِ (٢) لاسُودُ الصَّحائِفِ (٣) في ... مُتُونِهِنَّ (٤) جَلاءُ (٥) الشَّكِّ والرِّيَبِ
٣ أين الرِّوايةُ بل أين النُّجومُ وما ... صَاغُوهُ من زُخْرُفٍ فيها ومن كَذِبِ
٤ يا يومَ وَقْعَةِ عَمّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... عَنْكَ المُنَى (٦) حُفَّلاً (٧) مَعْسُولَةً (٨) الحَلَبِ (٩)
٥ أَبْقَيْتَ جَدَّ (١٠) بني الإسلامِ في صُعُدٍ ... والمشركينَ ودارَ الشِّرْكِ في صَبَبِ (١١)
٦ تدبيرُ مُعْتَصِمٍ باللهِ مُنْتَقِمٍ ... للهِ مُرْتَقِبٍ في اللهِ مُرْتَهَبِ (١٢)
٧ لم يَغْزُ قَوماً ولم يَنْهَضْ إلى بَلَدٍ ... إلاَّ تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ من الرُّعُبِ
٨ لولم يقدْ جَحْفَلاً (١٣) يومَ الوَغَى (١٤) لغدا ... من نفسِهِ وَحْدَهافي جَحْفَلٍ (١٥) لَجِبِ (١٦)
رمى بِكَ اللهُ بُرْجَيْها فَهَدَّمَهَا ... ولو رَمَى بِكَ غيرُ اللهِ لم يُصِبِ
١٠ أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسيفِ مُنْصَلِتاً (١٧) ... ولو أَجَبْتَ بغيرِ السَّيفِ لم تُجِبِ
١١ حتى تَرَكْتَ عَمُودَ الشِّرْكِ مُنْقَعِراً (١٨) ... ولم تُعَرِّجْ (١٩) على الأَوْتَادِ والطُّنُبِ (٢٠)
١٢ خَلِيفَةَ اللهِ جازَى اللهُ سَعْيَكَ عن ... جُرْثُومَةِ (٢١) الدِّينِ والإسلامِ والحَسَبِ

(*) لأبي تمام ، يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله ، أبا إسحق محمد بن هرون الرشيد ويذكر فتح عمورية .
(١) إخباراً . (٢) السيوف العريضة . (٣) القراطيس المكتوبة . (٤) ظهورهن .
(٥) وضوح . (٦) جمع منية ، وهي الرغبة والأمل . (٧) كثيرة . (٨) صادقة .
(٩) النتائج . (١٠) حظ . (١١) انحدار . (١٢) مخوف . (١٣) الجيش الجرار .
(١٤) الحرب . (١٥) الجيش الكبير . (١٦) كثير العدد . (١٧) مصقولا ماضياً .
(١٨) منقلعاً . (١٩) تمل وتقم . (٢٠) الحبال يشد بها السرادق . (٢١) أصل الدين .

Marfat.com

١٣ بَصُرَتَ بالرَّاحَةِ الكُبْرى فلم تَرَهَا تُنَالُ إلاَّ على جِسْرٍ من التَّعَبِ
١٤ إنْ كان بين صُرُوفِ[١] الدَّهْرِ من رَحِمٍ[٢]
مَوْصُولَةٍ أو ذِمَامٍ[٣] غيرِ مُنْقَضِبِ[٤]
١٥ فَبَيِّنَنْ أَيَّامِكَ اللاتي نُصِرْتَ بها وبينَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبَ النَّسَبِ

المناقشة :

(١) يرى أبو تمام أن الحرب هي، التي تحسم المشكلات . أين ما يشير إلى ذلك في القصيدة . وما رأيك في ذلك ؟
(٢) بم وصف أبو تمام السيوف في البيت الثاني ؟
(٣) إلام يشير أبو تمام في البيت الثالث ؟
(٤) يلخص أبو تمام آثار يوم عمورية في بيت واحد . عيّنه واشرحه .
(٥) ما الأوصاف التي أسندها الشاعر الى المعتصم في البيت السادس ؟
(٦) وصف الشاعر المعتصم في البيت الثامن فماذا قال ؟ وما رأيك في هذا الوصف ؟
(٧) في البيت الحادي عشر تشبيه وضحه .
(٨) في البيت الثالث عشر حكمة وضحها .
(٩) لم تخيّر الشاعر غزوة بدر في الخامس عشر ؟ بيّن وجه الشبه بين يوم بدر ويوم عمـــورية .
(١٠) تتجلى في القصيدة براعة أبي تمام في استعمال المحسنات اللفظية ، بيّن ذلك بأمثلة من القصيدة .

---

(١) أحداث . (٢) قرابة . (٣) عهد. (٤) غير مقطوع ؛ متصل .

Marfat.com

فَاتح القُدس

هذا الذي أَخَذَ الدنيا بسيفِ الظَّفَر[1] ، ثم جادَ بها بيدِ الكَرَم ، هذا الذي رَوَّعَ[2] أوروبةَ مرتين : مرةً حين قَهَرَ جيوشَها بسيفه ، ومرةً حين شَدَهَ[3] نفوسَها بِنُبْلِه . هذا الذي كان النموذَجَ الأَتَمَّ للقائدِ المنصور ، وكان المثلَ الأعلى للحاكمِ المسلم . وكان الصورةَ الكاملةَ للفارسِ النبيل ، والمسلمِ الصادق . وكان المحرِّرَ الأعظمَ . حَرَّرَ الشامَ وفِلَسْطينَ من استعمار الأوروبيين نَحْواً من مائةِ سنة .

هذا الذي انتزعَ من أصدقائهِ ومن أعدائهِ أعظمَ الإعجابِ ، وأصدقَ الحب ، وترك في تواريخ الشرقِ والغربِ أكبرَ الأمجاد . وأَعْطَرَ السجايا[4] . وكان اسمُه من أَضْخَمِ الأسماءِ التي رَنَّتْ في سَمْعِ الزمان ، وَدَوَّتْ[5] في أرجاءِ التاريخ ، وخَلُدَتْ على وجهِ الدَّهر : « صلاحُ الدين الأَيُّوبي » .

سَقَطَتْ على أقدامِه الدُّوَل . ووقفَتْ على أعتابِه ملوكُ الفِرَنْجَة ، ودانَتْ[6] له الرِّقاب . وانقادَتْ إليه الخزائن .

إن من يَقرأُ سيرةَ صلاحِ الدين الأيوبي لَيَعْجبُ أَشَدَّ العَجَبِ من أن يَنْبُغَ هذا الرجلُ العظيمُ جداً . في ذلك الزمانِ الفاسدِ وأن يَتَغَلَّبَ على العدوِّ القوي

---

(١) النصر والفوز . (٢) أخاف . (٣) أدهش . (٤) الخصال والصفات . (٥) أحدثت صوتاً هائلاً .
(٦) خضعت .

Marfat.com

كان المسلمون قبلَ نورِ الدين وصلاحِ الدين على شَرِّ حالٍ من الانقسام، حالٍ لا يُمْكِنُ أن يَصِلَ إلى تَوَهُّمِها وَهْمُ[1] أحدٍ مهما يُبالغْ في تَصَوُّرِ الشر، فقد كان في الشامِ وهي بُقعةٌ ضَيِّقَةٌ من الوطنِ الإسلاميِّ من الدُّوَلِ بمقدار ما كان فيها من البُلدان. ففي كلِّ بلدةٍ دولةٌ مستقلة، وفي كلِّ دولةٍ ملكٌ أو أمير، فكيف ظهر هذان البَطَلان الخالدان، في مثلِ ذلك الزمان؟

وكانت قد دَهَمَت الشامَ قبلَ صلاحِ الدين حملتان صليبيتان، جاءتا كَمَوْجِ البحرِ ليس لهما أولٌ وليس لهما آخرُ، ساقَهُما الطَّامِعون في تلك البلادِ باسم الغَيْرَةِ على النَّصْرانيّة، وإنْقاذِ أرضِ المسيح من أيدي المسلمين.

وكانت لهم دول، دولٌ لا دولةٌ واحدة، فلهم في القُدْسِ مملكة، وفي أَنطاكِيَّةَ إمارة، وفي طَرَابُلُسَ حكومة، دولٌ وإماراتٌ طالتْ جُذورُها وبَسَقَتْ[2] فروعُها، وحَسِبَ المسلمون أنَّها امْتَلَكَتْ الشّامَ إلى الأَبَد. فكيف استطاع صلاحُ الدين أن يَصْنَعَ من ضَعْفِ المسلمين قُوَّة، ومن انقسامِهم وَحْدةً حتى واجَهَ بهم أوروبةَ كُلَّها، وأَزالَ ما أَمْكَنَ من بقايا الحملتين الماضيتين، ورَدَّ الحملةَ الثالثةَ الهائلةَ التي رَمَتْه بها أوروبا؟

إنه ما رَدَّ العدوانَ بِعَدَدِ المسلمين وعُدَدِهم، ولكنْ بالسِّلاحِ الوحيدِ الذي لا يَنفعُ في هذا المَقَامِ غيرُه: «بالإيمان.»

غَيَّرَ صلاحُ ما كان بنفسه من الفساد، فَغَيَّرَ اللهُ على يديه ما كان في قومِه من الضَّعف والتَّخاذُل، كان يَلْهُو ويُعطي نفسَه هواها، فَتَابَ وأَناب، ورَجَعَ إلى اللهِ، فَأَرْجَعَ اللهُ إليه النَّصْر. استَمَدَّ أخلاقَه وسيرتَه من إرْثِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، في التَّقوى والصَّلاح، فأعطاه اللهُ إرثَ محمد في الغَلَبَة والظَّفَر. تَمَسَّكَ بالدين، وأقام دولتَه على أساسٍ من الإسلامِ متين، فاستطاع بهذه الدُّوَلِ المتفرقةِ الهزيلةِ أن يُحاربَ أوروبةَ كُلَّها، أوروبا الحانقةَ الحاقدة المتعصبةَ

---

(٧) خيال. (٨) طالت وارتفعت.

Marfat.com

التي اجتمع مُلوكُها جميعاً على حربِ فِلَسْطين. وقَرَّبَ أهلَ العِلمِ والدِّين ، وكان كلما نَزَلَ بلداً دعا علماءَه ، ومن كان لا يأتي منهم أبوابَ السلاطين أخذ أولادَه وذهب إليه ، وكان يَحْرِص على صلاةِ الجماعة ، ولم يَتْرك الصلاةَ قَطُّ إلاّ في الأيامِ الثلاثةِ التي غاب فيها قبل موته ، وكان يصومُ حتى في أيامِ المعارك ، وكان مكثِراً سَماعَ القرآن ، يَبْكي من خَشْيةِ اللهِ عند سماعه ، ويواظبُ على مجالسِ العِلْمِ والحديث ، حتى في ليالي القتال ، لم يترك صلاةَ الليلِ إلاّ نادراً ، يلجأُ إلى اللهِ كلما دَهَمَتْه الشدائد ، وضاقَتْ عليه المسالك ، فيجدُ الفَرَجَ والنَّجاة ، لأنها إن سُدَّت أبوابُ الأرضِ أحياناً ، فإن بابَ السماء لا يُسَدُّ أبداً ، وكان يقيمُ الحقَّ لا يبالي ولا يُحابِي . وكان اعتمادُه على الله ، ما اسْتَكْثَرَ قَطُّ عدواً ، ولا خافه ، ولا فَقَدَ أعصابَه قَطُّ في هزيمةٍ ولا ظَفَر ، ما غَضِبَ لنفسِه قط ، ولكنَّه إذا غَضِبَ للهِ ، لم يجرؤْ أحدٌ أن يَرفعَ النظرَ إلى وجهه ، وصار كالأسد الكاسر لا يَقِفُ أمامَه شيء . وكان حَسَنَ العِشْرة ، طيِّبَ الأخلاق ، حافظاً للأخبارِ والنوادر ، يُجيد ركوب الخيل ، ويخوض المعارك ، وأيَّ معارك ؟

ليس في تاريخ الغرب والشرق جيش خاض من المعارك أكثر مما خاضها جيشُ صلاحِ الدين . لقد ضَرَبَ كُلَّ رَقْمٍ قياسيٍّ إلى ذلك العصر ، خاض أربعاً وسبعين معركةً في مُدَّةِ ولايته على الشامِ في أقَلَّ من تِسعَ عشرةَ سنة ، وخاض حروباً ما عَرَفَتْ مثلَها أرضُ فلسطين وديارُ الشام إلى ذلك العصر ، حروباً لا تُقَاسُ بها القادسيةُ ولا اليَرْموك ، حروباً جُرِّبَ فيها كلُّ سلاح : السيفُ والرمحُ والدبَّاباتُ والمَجَانيق ، والشجاعةُ والكيدُ والذكاءُ والاختراعُ والمُروءةُ والشَّهامة . وكان صلاحُ الدين ظَافِراً فيها جميعاً .

كانت حروباً استُعْمِلَت فيها المنجنيقاتُ التي تَقْذِفُ الصخورَ الهائلةَ كالمدافعِ الثقيلةِ اليوم ، والسِّهامُ المتلاحِقَةَ كالرَّشَّاشَات ، يُمَهَّدُ للمعركةِ بآلاف القذائف ، وبالضربِ الذي يستمرُّ يومين وثلاثة . واستعملَت الأكباش ، وهي عرباتٌ ضَخْمَةٌ

Marfat.com

مُصَفَّحَةٌ لها رأسٌ ثقيل يَنقبُ الأسوار ، والدباباتُ ، وهذا هو اسمُها القديم ، وكانوا يَفْتَنُّون فيها حتى اخترعَ الإفرنجُ في حصارِ عكّا دبابةً ثقيلةً صَنَعُوا منها ثلاثاً ، في كلٍّ منها أربعُ طبقات ، فجاءتْ أعْلَى من السُّور ، وحَصَّنُوها بالحديدِ والجُلودِ المُسْقَاةِ بِمَوَادَّ يعرِفونُها تَمنعُ الحريق ، ولم تُؤَثِّرْ فيها قذائِفُ المسلمين ولا النارُ التي كانوا يُلْقُونَها ، وجَزِعَ المسلمون وخافوا ، فقال لهم صانِعٌ من دِمَشْقَ اسمُه ابنُ شَيْخِ النَّحَّاسين : أنا أصنعُ لكم ناراً تَحْرِقُها ، فاستَصْغَروه ، فلما أَلَحَّ أجابوه ، فاسْتُمْهِلَ يومين ثم صَنَع أشياءَ خَلَطَها ووَضَعَها في قُدورٍ ثلاث ، وألْقَاها فانفجرتْ كالقنابل ، بِمِثْلِ دَوِيِّ الرَّعْد ، وأَحْرَقَت الدبَّابات ، وكَبَّرَ المسلمون ، وكان يوماً عظيماً . ولما عَرَضُوا عليه الجوائزَ أباها ، وقال : عَمِلْتُ ذلك لله !

وجاء العَدُوُّ مرةً بكَبْشٍ (مُصَفَّحٍ) عظيم ، فأَحْرَقَه المسلمون ، ثم خافُوا أن يَنْسَحِب ، فَرَفَعُوه وهو يَشْتَعِلُ بالآلاتِ حتى قارَبَ السُّور ، فَصَبُّوا خَرَاطِيمَ الماء ، وأَخَذوه والإفْرَنجُ ينظرون مَشْدوهين ، فوجدوا فيه أربعمائةٍ وخمسةً وعشرين رِطْلاً من الحديد .

واستعملوا الحيلةَ لما ضاقَتْ المِيرَةُ[1] على عكّا في أثناءِ الحصار ، وفَشِلَت كلُّ محاولةٍ لإمدادِها بالأغذية . تَطَوَّعَ جماعةٌ من المسلمين فَحَلَقُوا لِحاهُم ولَبِسُوا لِباسَ الإفرنج ، وحَمَلُوا معهم الخَنَازير ، وتَكَلَّمُوا الفَرَنسية ، ورَكِبُوا زَوْرَقاً ضَخْماً ودخَلُوا بحيلةٍ من أَعْجَبِ حِيَلِ الحروب .

ومن هذه الحِيَلِ أن صلاحَ الدين كان يعرف القاعدة العسكرية ، وهي أنَّ الجيشَ ليس المُرابِطَ في الجَبْهة ، ولكنَّ الشعب كلَّه جيش ، لذلك كان يَسْتَغِلُّ كلَّ ما لديه للحرب ، حتى اللصوص جَمَعَهُم ليتخَلَّصَ من شَرِّهم ، ولكنَّه لم يَحْبِسْهم بل استخدمَ مهارتَهم ، فكانوا يَسْرِقون لـه أمراءَ الإفرنجِ وجنودهم من فُرُشِهم بطرقٍ عجيبة ، وطالما انْتُزِعَ أُمَرَاءُ من تَحْتِ لُحُفِهِم[2] والخناجِرُ

(١) المئونة . (٢) جمع لحاف .

Marfat.com

على أعْناقِهم ، والمُخَدَّرُ في أجسامهم ، فلم يَرَوْا أَنْفُسَهم إلاَّ أمامَ صلاحِ الدين.

وَيَومَ حِطِّين اتَّبَع صلاحُ الدين خُطَّةً حربيةً عجيبة ، حين أَجْبَرَ الإفرنجَ على ملاقاتِه في المكانِ الذي تَخَيَّره هو ، وتَحَصَّنَ فيه ، ويومَ نَجح في استردادِ القُدْسِ أَتى من النُّبْلِ والكَرَمِ والمُروءَة ، ما لم يَفْرَغْ بعدُ مؤرخو الإفرنجِ من الكلام فيه .

استَرَدَّ القدسَ بعد ما اغتصبها الإفرنجُ إحدى وتسعين سنة . أَفَنَشُكُّ في استردادِها اليوم ، وقداغتصبها اليهودُ بضعَ سنين ؟ استَرَدَّها وحَولَها . يَحامي عنها ، دُوَلُ أوروبةَ كلُّها وملوكها ، أفلا نَسْتَرِدُّها اليومَ وحولَها حَفْنَةٌ من شُذَّاذِ الأفاق ؟

لقد كانت للصليبيين دول . استمرت أكثرَ من مائةِ سنة . فأين تلك الدول ؟

إن الأمةَ التي أَخْرَجَت صلاحَ الدين ، وهي أسوأ من حالنا اليوم حالاً . وأكثرُ عيوباً ، لا تَعْجَزُ عن أن تُخرجَ اليومَ مثلَ صلاح الدين .

إن نكبةَ فلسطين بالصليبيين كانت أَشَدَّ بمائةِ مرةٍ من نَكْبَتِها بإسرائيل . وقد مَرَّت بِسَلام ، فهل نَشُكُّ في أننا سنُنْقِذُ فلسطين ؟ وإذا عَجِزنا نحن أن نَعُودَ إلى مثلِ سيرةِ صلاحِ الدين ليكتبَ لنا مثلَ نَصْرِ حِطِّين ، فسَيَخْرُجُ من أبنائِنا وأحفادِنا من هم أَنْقَى منا وأَطْهَرُ ، وسَيَسْتَرِدُّون فلسطين .

المناقشة :

(١) كان المسلمون قبل صلاح الدين في حالة سيئة . وضح ذلك .

(٢) كيف استطاع صلاح الدين أن يجعل من ضعف المسلمين قوة ؟

(٣) ما موقف صلاح الدين من العلماء ؟

(٤) ضرب جيش صلاح الدين كل رقم قياسي في خوض المعارك إلى العصر الذي عاش فيه . أين ما يثبت ذلك في القطعة ؟

(٥) ما الحيلة التي استعملها المسلمون عندما منعت الميرة عن عكا ؟

(٦) اتبع صلاح الدين في يوم حطين خطة حربية عجيبة . ما هي ؟

(٧) لِمَ يثق الكاتب في قدرة المسلمين على استرداد القدس من اليهود ؟

Marfat.com

Marfat.com

مَراجعُ الكِتَابْ

١ ــ الدكتور أحمد الحوفي — المرأة في الشعر الجاهلي

٢ ــ شاعر النيل حافظ ابراهيم — ديوانـــه .

٣ ــ معالي الشيخ حسن عبد الله حسن آل الشيخ — دورنا في الكفاح : آراء صريحة في مجتمعنـــا .

٤ ــ الاستاذ حسن عبد الله القرشي — أنا والناس .

٥ ــ المستشرق جوستاف لوبون ترجمة الاستاذ عادل زعيتـــر . — حضارة العرب .

٦ ــ فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند — الزواج والمهور .

٧ ــ الاستاذ علي الجارم — قصة العرب في اسبانيا (مترجم).

٨ ــ فضيلة الشيخ علي الطنطاوي — رجال من التاريخ .

٩ ــ الاستاذ قدري طوقان — العلوم عند العرب .

١٠ ــ الاستاذ قدري طوقان — الخالدون العرب .

١١ ــ الاستاذ محمد أحمد جاد المولى وزميلاه — قصص العرب (الجزء الأول) .

١٢ ــ الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني — الخنساء : شاعرة بني سليم .

١٣ ــ فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة — ابن تيميـــة .

١٤ ــ الدكتور محمد رياض وزميله — افريقيا : دراسة لمقومات القارة .

١٥ ــ الاستاذ محمد عطية الابراشي — أعلام الثقافة العربية .

١٦ ــ فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف — المسلمون وعلم الفلك .

١٧ ــ مجلة الحفجي

١٨ ــ مجلة قافلة الزيت

١٩ ــ مجلة الهلال

Marfat.com

المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
آيات لأولي الالباب	٥
من أدب المخاطبة	٧
الحذر من الاعداء	٩
قدرة الله ونعمته	١٠
قصة سليمان	١١
من هدي الحديث الشريف	١٤
الهُدى والعلم	١٦
جلالة الفيصل يصف والدهُ العظيم	١٧
وفـاء	٢١
من أمثال العرب	٢٧
الخنســاء	٢٩
التدخين	٣٢
الحيتــان	٣٥
جولة في المملكة المغربية	٤١
الحِطْبة والخاطبة	٤٥
شيخ الاسلام ابن تيمية	٤٨
كيف نستعيد فلسطين	٥١
وصف الشمس	٥٧
تحلية الميــاه	٥٩

Marfat.com

الموضـــوع	الصفحـــة
كيف ينبغ المبتكرون ؟	٦٣
أفضل الاصحاب	٦٦
قفوا بي (شعر)	٦٨
ابو الكيميـــاء	٧٠
هنـــا (شعر)	٧٤
لله في خلقه شئون	٧٥
لمن تصفو الحيـــاة ؟	٧٩
عالم الجليـــد	٨٢
كيف تختار مهنتك ؟	٨٦
أمـــانة	٨٩
بصمات الأصابع	٩٢
الجمل في تراث شبه الجزيرة العربية	٩٦
بلاغة الإيجاز وبلاغة الإطناب	١٠٠
معارك النصر العربية في رمضان	١٠٤
المسلمون وعلم الفلك	١١٤
آثارنا التاريخيـــة	١١٩
وصف أكول (شعر)	١٢٢
أخطار الذباب	١٢٤
حضارة العرب في الأندلس	١٢٨
صفحة مشرقة من تاريخ العرب العلمي	١٣١
كسوة الكعبة المشرفة	١٣٧
القهـــوة	١٤١
المرأة العربية في الجاهلية والإسلام	١٤٨
ورق البردي	١٥٣
الطب عند العرب	١٦٠
يوم عمورية	١٦٥
فاتح القدس	١٦٧

Marfat.com

اسم الطالب _____ مدرسة _____

دار الاصفهانى للطباعة - جدة

Marfat.com

اسم الطالب _____ مدرسة _____

دار الاصفهانى للطباعة - جدة

Marfat.com